

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٩٤

العدد السادس عشر

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٩٤

العدد السادس عشر

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

رئيس التحرير : الأستاذ الدكتور سليمان عبد الستار خاطر
سكرتير التحرير : السيد الدكتور توفيق الحسينى عبده

ترسل المقالات والابحاث على العنوان التالى :

الأستاذ الدكتور سليمان عبد الستار خاطر

معهد البحوث والدراسات الافريقية

جامعة القاهرة

ص.ب ١٢٦١٣ اورمان / جيزة

(ج.م.ع)

كلمة رئيس التحرير

آمل أن يصدر هذا العدد رقم ١٦ وقد استقر معهد البحوث والدراسات الافريقية في مبناه الجديد بعد تزويده بالتجهيزات والأثاث الجديد بداية لانطلاقة جديدة في سبيل تعميق وتأصيل الدراسات الافريقية .

ومما يساعد على ذلك أن النية متجهة نحو تحديث مكتبة المعهد بإدخال المراجع المختلفة والرسائل في الحاسب الآلى لتسهيل الفائدة وتعظيمها ، وفي نفس الوقت فقد استقر الرأي على انشاء مركز افريقى للمعلومات كوحدة ذات طابع ذاتى لخدمة كل من يطلب أى معلومة عن القارة الافريقية بجانب تدريب العاملين في المعهد وفي غيره على دورات الحاسب .

هذا فضلا عن الاتجاه نحو عقد المحاضرات العامة الاسبوعية على مستوى المعهد بجانب حلقات النقاش العلمى على مستوى الأقسام الستة .

وفي نفس الوقت فان المعهد يتلمس طريقة حثيثا للاتصال بالهيئات المختلفة التى تهتم بالشئون الافريقية داخل مصر وخارجها لنسج الخيوط التى تربطه بهذه المؤسسات .

وبالإضافة الى ما سبق يعد المعهد الندوات التى تتناول أوضاع القارة وتأصيلها علميا فقد أعد هذا العام ١٩٩٤/١٩٩٥ م ندوة عن (الجذور التاريخية للمشكلات الافريقية المعاصرة) بالاشتراك مع لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة ، وندوة أخرى بمناسبة يوم أفريقيا فى يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٩٥ م وهو اليوم الذى انبثقت فيه منظمة الوحدة الافريقية عام ١٩٦٣ كبداية لعهد أفريقى جديد يعمل من أجل التنمية ويوطد أركان السلام ، وكان موضوع الندوة (الاتجاهات الحديثة فى البحوث والدراسات الافريقية) .

وهكذا فان المعهد يفتح ذراعيه لكل هواء نقى يأتى من أى اتجاه
طالما أن هذا الهواء سوف يقوى بنيانه ويمده بالقوه والنماء •

ونأمل أن يأتى اليوم ويكون الوعى الافريقى لدى الجميع سواء فى
مصر أو غيرها من الدول ، تلك القارة المليئة بالخيرات والموارد ولكنها
تنادى عن يقدم لها يد العون لاستغلال هذه الثروات ليس لفائدة دولها
فقط ولكن للعالم أجمع •

وفقنا الله لما فيه خير مصرنا العزيزة وقارتنا السمراء البكر ، انه على
كل شىء قدير ،،

عميد الكلية

((ا.د. / السعيد ابراهيم البدوى))

المحتويات

صفحة

- ١ — بى بورية وثورة التمن ضد البريطانيين (١٨٩٨) . ١ — ٤٠
د.د عبد الله عبد الرازق ابراهيم :
- ٢ — الطعام ، الثقافة ، السكان
(دراسة فى انثروبولوجيا الطعام) . ٤١ — ٨٤
د. توفيق الحسينى عبده .
- ٣ — أضواء جديدة على مقاومة الامر عبد القادر الجزائرى
للاستعمار الفرنسى (دراسة وثائقية) . ٨٥ — ١٣٢
د. ماهر عطية شعبان :
- ٤ — الكهرباء فى اقليم غرب افريقية . ١٣٣ — ١٦٩
د. سلطان فولى حسن :
- ٥ — عرض الكتاب . ١٧١ — ١٨٨
The Third World, Conceptual Fram work in Geography.
د.د السعيد ابراهيم البدوى :

بيى بوريه وثورة التمن ضد البريطانيين

(١٨٩٨)

د. عبد الله عبد الرازق ابراهيم

استاذ مساعد بمعهد البحوث

والدراسات الافريقية

المحتويات :

مقدمة :

أولا : أسباب الثورة •

ثانيا : نشأة الزعيم بيى بوريه وتولييه القيادة •

ثالثا : بيى بوريه والصراع مع القوات البريطانية •

رابعا : مقاومة بيى بوريه للبريطانيين •

خامسا : المرحلة الاخيرة من المقاومة •

سادسا : الخاتمة •

BAI BUREH AND THE TEMNE REVOLUTION AGAINST BRITAIN (1898)

By : Dr. ABDALLAH ABD EL RAZEK IBRAHIM

Britain bought an area on the west coast of Africa to provide a shelter for liberated slaves. On this area the foundations of the colony of Serra Leone were established by Britain.

Relations between the Africans of this Colony and the British grew tense conducing to the flare-up of a revolution against British administation led by Bai Bureh, who belonged to the Temne tribe. The said revolution was the first of a series of disturbances that took place against Britiain in 1898.

Causes of Revolution :

Scholars hold different viewpoints about the causes of the revolution. Some of them attribute it to the attempt by Africans to realise their independence, while others see the causes in the light of the hut tax levied by Britain on the Africans. The present paper believes that the causes are interconnected and multifarious, and that the hut tax coupled with malpractices of British governors in the Colony and the bad system of administration are the most eminent causes of the revolution.

Life History of Bai Bureh :

Viewpoints differ concerning his life history. It is well known that he spent his childhood in the town of Rogoblan, which forms Part of Kasseh Prvince. His father was one of the Professional warriors. The father sent the son for training on the art of war in which Bai Bureh showed a master ability. He gained such a wide reputation that made the council of elders of Kasseh elect him to the post of chief of the tribe,

It is believed that though he apparently belonged to the Temne tribe. his roots are traced back to the Loko. Bai Bureh adoped Islam and was influenced by its teachings that spread from the north. He had a number of assistants who had a knowledge of Arabic language. Besides he developed amicable relations with the Islamic Teacher Bukhara.

Bai Bureh abided by terms of treaties concluded with the British since 1871. However, differences erupted between him and the British because of their interference in disputes among local chiefs. His relations with the British Party gravely deteriorated, and as a consequence he came to challenge the authority of British officials at Kasseh.

Development of the rift between Britain and Bai Bureh :

The rift between Britain and Bai Bureh developed because of British interference in local differences in Sierra Leone, on the pretext of the right given to her by virtue of its treaties with local chiefs. Differences reached a climax when British governor Frederick Cardew recalled Bai Bureh to his office. Bai Bureh declined to go though he accepted to pay the fine levied on him by the British governor.

On August 14th 1896 Britain declared the protectorate on Sierra Leone. Captain Sharpe was appointed British representative there. He imposed the hut tax on Africans paving the way for the revolution.

Bai Bureh's struggle against the British :

Bai Bureh stood against Britain when it tried to impose by force its rule on Kasseh, and collect the taxes it levied. Britain made use of the West India battalion which was led by Richard Norris to reinforce Kasseh Police troops. Bai Bureh's troops successfully attacked the town of Port Locke and Bai Bureh used the espionage intelligence strategy to amass information about his enemies.

The British troops faced fierce resistance and Britain was compelled to recall military reinforcements to conquer Bai Bureh troops. Britain followed scorched land strategy and raided secure villages. John Marshall later seized Kasseh; and Bai Bureh asked the missionary Elba to mediate between him and the British who insisted on his unconditional surrender.

The battle with the British continued until he fell in captivity of the British forces on November 11th, 1898. He was put under house arrest in one of the suburbs of Freetown for some time. Later on he was exiled to Gold Coast where he remained till 1905 when he was permitted to return to Kasseh he died in 1908.

اهم الاختصارات الواردة في البحث

- ADLB : Aborigines Department Letter Book.**
- ADMP : Aborigines Department Minute Papers.**
- C. O. : Colonial Office.**
- ECM : Executive Council Minutes.**
- GCDSS : Governor's Confidential Despatches to Secretary of State for Colonies.**
- GDSS : Governor's Despatches to the Secretary of State for Colonies.**
- NALB : Native Affairs Letter Book.**
- NAS : National Archives of Senegal.**
- P.R.O. : Public Record Office.**
- SLA : Sierra Leone Archives.**

— مقدمة : —

من الأمور المعروفة أن بريطانيا وهي تحارب تجارة الرقيق ، وجدت أنه لا بد من البحث عن مكان على الساحل الأفريقي لايواء الرقيق الذين تم تحريرهم من المستعمرات البريطانية وكانت منطقة فريتون بسيراليون هي أنسب مكان لتحقيق هذا الهدف ، واشترت الحكومة البريطانية قطعة من الأرض على الساحل الغربى لأفريقيا ، صارت فيما بعد نواه لمستعمرة سيراليون .

ورغم أن هذه المستعمرة نشأت خصيصا للرقيق المحرر ، ورغم أن بريطانيا أخذت تتوسع تدريجيا من الساحل الى الداخل كلما زاد عدد الرقيق الوافد الى المنطقة ، ورغم أن بريطانيا أقامت علاقات حسنة مع سكان الساحل وخصوصا حول فريتون ابتداء من عام ١٧٨٧ وحتى اعلان المجمية فى عام ١٨٩٦ — رغم كل هذا فان ثورة كبرى نشبت بين البريطانيين وبين سكان سيراليون بزعامة أحد الحكام المحليين من قبيلة تمن (Temne) فى الشمال يدعى بى بوريه (Bai Bureh) ، وتلتها ثورة أخرى فى عام ١٨٩٨ هى ثورة الماندى (Mende) واضطرت بريطانيا الى توجيه الحملات لقمع الثورتين ، بل اهتمت عام ١٨٩٨ كله فى حروب مستمرة مع سكان سيراليون فى الداخل حتى قضت على هذا التمرد .

ما هى أسباب ثورة بى بوريه وقبيلة تمن ضد البريطانيين ؟ ومن هو هذا الزعيم الأفريقى ؟ وما هو الدور الذى لعبه فى مقاومة التوسع البريطانى داخل سيراليون ؟ ، وكيف تطورت الحرب بينهما حتى اخمدت هذه الثورة الأفريقية .

نحاول من خلال هذا البحث القاء الضوء على هذه التساؤلات لاعطاء صورة متكاملة عن شخصية أفريقية لعبت دورا فى مقاومة التوسع الأوروبى فى القارة ، ورغم هذا الدور الواضح الذى أزعج القوات البريطانية فى محمية سيراليون الا أن الكتابات عن هذا الزعيم لاتزال محدودة ، ولا تتفق مع حجم الثورة التى قادها من أجل مقاومة الاستعمار البريطانى — انها محاولة لكشف النقاب عن شخصية أفريقية سجلت صفحات رائعة من المقاومة الوطنية الأفريقية ضد أقوى الدول الاستعمارية فى القرن التاسع

اولا : اسباب ثورة التمن

اختلف المؤرخون حول الأسباب التي أدت الى ثورة بى بوريه ضد الوجود البريطانى فى سيراليون ، واعترف الحاكم البريطانى فى سيراليون ويدعى فريدرك كارد (Fredrick Cardew) بأن الرغبة فى الاستقلال كانت الدافع الحقيقى وراء هذه الثورة (١) .

وهناك من رأى أن الثورة كانت بسبب ضريبة الكوخ التي أدت الى ثورة الأهالى ضد الوجود الأجنبى بشكل عام ، وأكد هذه المقولة تشامبرلين فى مجلس العموم البريطانى بعد اندلاع ثورة بى بوريه (٢) .

ان الأسباب الرئيسية لهذه الثورة الأفريقية كثيرة ومشعبة ، ولم تكن بسبب ضريبة معينة كما رددوا أو اجراء محدد ، بل هى تراكمات تجمعت وتصرفات أو اجراءات بريطانية أتخذت ، وقوانين للحد من سلطات الرؤساء أتخذت تتسرب الى الداخل فأحس الرؤساء الأفارقة أن نفوذهم بدأ يتقلص ، فكان عليهم التصدى للأوربيين حفاظا على حقوقهم التقليدية وعاداتهم التي ورثها عبر أجيال خلت ، ويمكن أن نحدد أسباب الثورة فى النقاط التالية :

١ - عندما احتل البريطانيون سيراليون عام ١٧٨٧ قامت علاقات من الود بين البريطانيين وسكان هذه المنطقة ، وظل التعاون قائما حتى عام ١٨٩٦ (وهو عام اعلان المحمية فى سيراليون) - حيث كان الرؤساء يحتفظون بمناطق نفوذهم ، ويمارسون سلطاتهم على أتباعهم ، وكانوا على اتصال مباشر بالمستولين البريطانيين والحاكم العام البريطانى بل كانوا يجتمعون فى عواصم الولايات لحل مشكلاتهم ، وقد قبل الرؤساء المفوضون الدخول فى معاهدات مع البريطانيين على أمل الحصول على بعض الامتيازات التجارية فى خلال تعبيد الطرق المؤدية الى الداخل (٣) .

(١) P.R O. C.O. / 267/438 Telegram of 10 May 1898, Governor to the Secretary of State.

Hansard 4 th Series LVII, 5 May 1898. (٢)

Michael Crowder : West Africa under Colonial Rule, (٣)
Lonodon 1979, p. 233.

وفي مقابل هذه الخدمات كان الرؤساء على استعداد للسماح لحكومة سيراليون بالتحكيم في المنازعات بل واتخاذ القرار النهائي بشأن الصراعات التي ربما تنشأ بينهم ، وخلال الفترة من أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن الماضي اضطرت الحكومة البريطانية الى ممارسة المزيد من السلطة على المناطق الشمالية الداخلية خوفا من محاولة الفرنسيين احتلالها على أساس عدم وجود تفوذ بريطاني فعلى ، واضطرت حكومة المستعمرة الى اختراع مؤسسات تضمن لها السيطرة ، وإبقاء الطرق مفتوحة لكل المسافرين ، وحاولت بريطانيا منع الرؤساء من شن حروب عبر الحدود المتنازع عليها مع الفرنسيين . وفي عام ١٨٩٠ اتخذت بريطانيا أول خطوة في هذا المجال بتعيين اثنين من المندوبين المتنقلين أحدهما للجزء الداخلي الشمالي والآخر للجزء الجنوبي ، وفي نفس الوقت أنشأ البريطانيون قوة حدود بوليسية للدفاع عن المنطقة ، وكانت كل هذه الاجراءات عاملا في تقليص تفوذ الرؤساء الذين أعلنوا الثورة لاسترداد مكائهم السابقة .

٢ - بعد اعلان الحماية البريطانية في ٣١ أغسطس ١٨٩٦ قامت بريطانيا بتسوية مشكلاتها مع فرنسا في العام التالي ، ووقعت الدولتان اتفاقيات لرسم الحدود بينهما ، وكان على بريطانيا أن تهرض سيادتها داخل المناطق التي استولت عليها ، فنص قانون الحماية على تقسيم سيراليون الى خمسة أحياء (مناطق) ، وعينت لها مندوبا بريطانيا له سلطات كاملة ، وقد أدى هذا الى وجود نظام جديد يختلف عن النظم السابقة ، هذا بالإضافة الى تغييرات سياسية في النمط التقليدي لهيكل نظام الحكم ، وكانت هذه التنظيمات الجديدة سببا في التزعاج السكان ورؤسائهم وقيامهم بالثورة .

٣ - قامت الحكومة بإنشاء ثلاثة أنواع من المحاكم تضم محكمة لمندوب الحي ، وأخرى لرئيس المنطقة ، وثالثة برئاسة الزعيم الأفريقي ، ووجد الرؤساء الأفارقة أن كل سلطاتهم قد سلبت منهم خصوصا في

القضايا المتعلقة بالأرض ، والصراعات القبلية ، وقضايا الاجرام والسلب والنهب وغيرها (١) .

وأدرك الرؤساء الأفارقة أن كل هذه التنظيمات تعنى المزيد من أحكام قبضة الحكومة من خلال مندوبيها ، وتقليص سلطة الرؤساء الأفارقة ، وكان رد الفعل الطبيعي اعلان الثورة .

٤ - قامت حكومة المستعمرة - بناء على مرسوم المحمية - بالاحتفاظ بحقوق استغلال المناجم ، وموافقة الحاكم على كل الأراضى التى منحت من أجل جمع محصول المطاط أو زيت النخيل ، هذا بالإضافة الى سيطرة الحكومة على ما أسمته بالأراضى البور (Waste land) ، والمعروف أن الأراضى فى قطر الأفارقة تمثل جزءا أساسيا من كيانهم ولم يعترفوا بما يسمى بالأرض البور لأنها مزارع لنباتات برية من زيت النخيل أو أراضى مقدسة بها شجيرات الجمعيات السرية ، أو مدافن مقدسة للرؤساء السابقين ، وكان هذا التغيير والسيطرة على هذه الأراضى ذات الطبيعة الخاصة واعتبارها أرضا بورا من أسباب ثورة الرؤساء ضد هذا الوجود الأجنبى (٢) .

٥ - ومن أهم الأسباب التى أدت الى قيام ثورة الرؤساء بزعامة بيبى بوريه ضد الوجود الأجنبى فى سيراليون - تلك الضريبة التى فرضتها الحكومة على المنازل ، وكانت فى الأصل عبارة عن خمس شلنات فى العام للمنزل المكون من غرفتين ، وعشر شلنات للمنزل الأكثر من ذلك - لكن صارت خمس شلنات لكل المنازل بصرف النظر عن مساحتها ، ولذا أطلق عليها ضريبة الكوخ (hut-tax) ، وقد تحدد الأول من يناير ١٨٩٨ موعدا لجمع هذه الضريبة فى ثلاثة أحياء هى حى رونيثا (Ronietta) وحى بانداجوما (Bandajuma) وحى كارين (Karene) (٣) .

Hargreaves, J.D. : The Establishment of the Sierra Leone Protectorate and the Insurrection of 1898, Cambridge Historical Journal, XII, (1956) pp. 63-6 .

Parliamentary Papers 1899, LX. Report on the Insurrection in the Sierra Leone Protectorate (Chalmer's Report. I. II. (٢)

Chalmers Report, Vol. II, Evidence of W.T.G. Lawson, Paragraph 1753. (٣)

وقد اتحد التجار ورجال الصحافة والرؤساء المحليين من أجل معارضة هذه الضريبة على اعتبار أن هذه الضريبة قد حرمتهم من إدارتهم التقليدية ، وفهم الرؤساء أن هذه الضريبة تعنى أنهم لابد أن يدفعوا للحكومة عن الأماكن التي ينامون فيها ، وأنهم لم يعودوا يتحكمون في منازلهم ، وأدركوا أن دفع الضريبة يعنى حرمانهم من السيادة والسلطة في أوطانهم (١) .

لقد كان ضياع حق الرؤساء يعنى ضياع السلطة والهيبة التي يتمتعون بها بين شعوبهم ، ولذا فانهم اتحدوا من أجل استعادة نفوذهم ، وأصبحت ضريبة الكوخ هي الشرارة التي أشعلت نار الثورة .

٦ - عندما سيطرت بريطانيا على المناطق الداخلية من سيراليون - بدأت في توطين الرقيق المحررين ، وكان عليها إلغاء هذه التجارة على الساحل وفي الداخل ، ورغم الدافع الاقتصادي وراء هذا القرار ، ورغم ما في إلغاء الرق من عوامل إنسانية - فإن هذه التجارة كانت تشكل مصدر رزق لعدد من الرؤساء ، ولذا فانهم ثاروا عندما قامت الحكومة بإلغاء الرق وتحرير الرقيق المنزلي ، وعلى هذا يمكن القول أن إجراءات إعادة توطين الأفارقة والقضاء على تجارة الرقيق - كانت من عوامل قيام الثورة لإعادة هذه التجارة (٢) .

وباختصار يمكن القول أن عوامل عديدة تشابكت وتفاعلت ولكن أهمها جميعا هي فقدان الرؤساء لسيادتهم ، وقيام بريطانيا بإلغاء الرق وفرض السيادة البريطانية على المناطق الداخلية ، وحرمان الرؤساء الأفارقة من حقوقهم التقليدية ، وهذا ما ساعد على ازدياد شعور الكراهية نحو بريطانيا ، ونحو قوة البوليس التي أنشأتها . وقد لخص كاردو أسباب هذه الثورة في رسالة بعث بها الى تشامبرلين في ٢٨ مايو ١٨٩٨ جاء فيها : « ان الأسباب الحقيقية كانت الرغبة في الاستقلال والبقاء على الأوضاع القديمة مثل غارات الرق ، انها تمرد الرؤساء الذين انكشفت

(١) Crowder, M. : Colonial west Africa, collected essays, Chapter 4, London 1978, p. 73.

(٢) Sierra Leone Archives, Governor's Confidential Despatches to the Secretary of State, Cardew to Chamberlain, 28 May 1898.

سلطاتهم ، والذين عانت ثرواتهم من جراء الغاء الرق ، ان الرؤساء رأوا في النظام الجديد ضياعا لسلطاتهم ، وخافوا من تعليم أبنائهم في مدارس الارساليات أساليب جديدة لا تتفق والنظم المحلية ، وفوق كل هذا فان ضريبة الكوخ كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير ، وبعدها الثورة .

وبعد فرض الضريبة كتب عدد من الرؤساء وعلى رأسهم بيبى بوريه سلسلة من الالتماسات الى الكابتن ولفرد شارب (Wilfred Sharpe) الذي تولى مسئولية حى كارين ، واشتكى الرؤساء من الادارة الجديدة ، وذلك بعد ثلاثة أشهر من اعلان مرسوم المحمية (١) .

وقد أعد الرؤساء الالتماس بعد أن حضر ممثل الحكومة الى مدينة بورت لوكو (Port Loko) لشرح المرسوم الجديد ، اجتمع عشرة رؤساء للتشاور وفوضوا أحدهم وهو فودى يوس (Fodi Yunis) رئيس بورت لوكو لكتابة الالتماس وتقديمه وقدم الرؤساء التماسات أخرى الى الحاكم البريطانى في فريتون ، وانتظروا حضوره من لندن ، ولما التقى بهم حاول اقناعهم بضرورة فرض الضريبة للدفاع عنهم ، وطالب الرؤساء بتخفيف ضريبة الكوخ (٢) .

وأمام اصرار الزعماء والرؤساء الأفارقة وافق كاردو على منح بعض الاعفاءات على أن تؤجل الضريبة للعام التالى (أى عام ١٨٩٨) وأن تكون خمس جنيهاً على كل المنازل ، وتجاهل كاردو باقى مطالب الأفارقة ، وأعرب عن عدم استعدادده لتغيير قانون المحمية ، ولما أحس تشامبرلين وزير المستعمرات بقسوة كاردو - طالبه بالاستجابة لبعض المطالب الوطنية ، فرد عليه كاردو يؤكد أن قانون (مرسوم) المحمية يطبق بشكل هادئ ، وأن أخرج الفترات هي فترة جمع الضريبة - لكنه أخبره أن عددا بسيطا من الضباط البريطانيين يكفى لجمع الضريبة دون أية اضطرابات (٣) .

Chalmers Report, Vol. II Appendix XIV, Petition of Temne chiefs to Captain Sharpe 17 December 1898. (١)

Hargreaves, J.D. : Op. cit., p. 66. (٢)

HSLA/GCDSS 18/97 Governor to Secretary of State, 23 March 1898. (٣)

ولم تجد الالتماسات أية استجابة من الادارة البريطانية ، وكان باركرز (Parkes) وهو أحد مندوبي الأحياء هو الذى طالب بالصبر والأناة عند جمع هذه الضريبة حتى لا يفقد الناس ولاءهم للحكومة البريطانية (١) .

ورغم المعارضة العامة لهذه الضريبة وغيرها ، لم يقبل الحاكم كاررو الغاء الضريبة ، وتمسك بمبدأ دفع المحكومين ضرائب للحاكم مساهمة في الدفاع عنهم ، وتأمين حياتهم والعمل على رخائهم وادخالهم في سلم الحضارة (٢) .

لقد كان رؤساء التمن أكثر الزعماء تأثرا بهذه الاجراءات الجديدة وكانوا لا يرغبون بأى حال من الأحوال فى أن تؤول سلطاتهم الى الحكام البريطانيين ، ورغم أن رغبتهم فى التخلص من الحكم البريطانى لم تكن واضحة قبل فرض الضرائب عليهم - الا أنهم كرهوا مبدأ التبعية للحكم الأجنبى ، وكان عليهم اما الاستسلام وقبول الأمر الواقع وبالتالي ضياع سيادتهم واما الثورة ، وهض هذا الكابوس القابع على رؤسهم ، وكانت كرية الكوخ هى التى عجلت بالاتجاه الى طريق الثورة (٣) .

من هو زعيم هذه الثورة ؟ وما هو دوره فى وقائع الصراع مع البريطانيين ؟

SLA/NALB 211/97 Parkes to Col. Secretary 14 Sept. 1897. (١)

P.R.O. CO. / 267/438 Ghvernment's Conf. Desp. of (٢)
28 May 1898.

P.R.O. C.O. 267/439 Gov.'s Conf. Desp. 28 July 1898. (٣)

ثانيا - نشأة الزعيم بيبى بوريه وتولييه القيادة

اختلفت الآراء حول نشأة الزعيم بيبى بوريه ، ولا زالت شخصيته يكتنفها الغموض بسبب قلة المصادر التي كتبت عنه ، وما تزال حياة بيبى بوريه في حاجة الى المزيد من الدراسات حتى تتضح معالم هذا الزعيم وأهم أعماله خصوصا أن الدور الذي قام به في نشر الدين الاسلامي أثناء العمل مع المجاهد بخاري لا يقل عن دوره في مقاومة الوجود والتوسع الأوربي في داخل سيراليون .

قضى بيبى بوريه أيام طفولته في مدينة (Rogbolan) التابعة لولاية كاسيه (Kasseh) تلك الولاية أو المقاطعة التي تشمل مساحة صغيرة جنوب التقاء فرع نهر سكارسز مع أنهار مابول (Mabole) (١) .

وكان والده من المحاربين المحترفين ، ولذا فانه أرسل ابنه حسب تقاليد العائلة الى مركز مشهور للتدريب على فنون الحرب والقتال في بندمبوجوا هون (Pendembu Gwhun) ، وقد أظهر الشاب نبوغا وتفوقا أثناء التدريب لدرجة أن المشرفين أطلقوا عليه لقب كياليا (Kebalai) أي المحارب الذي لا تمتلىء سلته قط بسبب عدد الرجال الذين قتلهم في المعارك . و نظرا لأن بيبى بوريه هو اللقب الرسمي لرئيس اقليم كاسيه - ولبس لقباً شخصياً - فانه أصبح مشهورا به بعد أن أصبح رئيسا لهذا الاقليم في مايو ١٨٨٧ (٢) .

ونظرا لشهرة هذا الرجل ، فان مجلس الشيوخ في اقليم كاسيه استدعاه لتولى منصب الرئيس ، ورغم أن التقاليد الملكية تعارض ذلك ، لكن في حالة عدم وجود مطالب وراث للعرش فان هذه الخطوة كانت مقبولة ، وسمح البريطانيون لهذا الزعيم بتولى المنصب لأن هذا أفضل في نظرهم لأنه تنقصه الحقوق الوراثية الملكية ، وصار بيبى بوريه رئيسا

(١) انظر الخريطة شكل رقم (١)

Fyfe Christopher : History of Sierra Leone.
London 1962, p. 501.

(٢)

حريريا الى يقدم خدمات ومساعدات الى الرؤساء المجاورين لمساعدتهم
أثناء الحروب ، وفي مقابل هذه الخدمات يحصل على بعض الحقوق مثل
حقه في استبعاد المسجونين الذين يقعون في الأسر •

وقد قاد بيبى بوريه جماعات التمن ضد البريطانيين لدرجة أن الناس
ادعوا أنه من هذه القبائل ، بينما رأى آخرون أنه من جماعات اللوكو
(Lokko) وأنه كان ينوي استعادة مكانة هذه الجماعة في منطقة بورت
لوكو (١) •

وقد زاد الأمر غموضا حول أصله خصوصا أنه هو نفسه أخبر الحاكم
البريطاني كاردو قبل تقييه أنه من جماعات التمن (٢) •

ويحاول كريستوفر فايف (Fyfe) التوفيق بين الرأيين ، فيرى أنه جزئيا
من أصل اللوكو (٣) •

وكما اختلفت الآراء ، وتشعبت الاتجاهات حول أصل هذا الزعيم
نجد أنه هناك اختلافا حول الديانة التي اعتنقها ، وهذا يوضح الغموض
الذي يحيط بهذه الشخصية الأفريقية ، والتي تحاول المصادر الأوربية
التقليل من أهميتها ، حيث يرى البعض أنه كان يعتنق إحدى الديانات
التقليدية ، وأنه كان عضوا في جماعة سرية تدعى كيفا (Keia) أو كيفونج
(Kefung) وهي التي تمنح أعضائها قدرات خاصة مثل القدرة على
التخفى ، والعيش تحت الأرض أو تحت الماء لفترات طويلة (٤) •

ويرى آخرون أنه تأثر بالدين الاسلامي الذي جاء الى المنطقة مع
قبائل السوسو (Susu) والبولاني والماندنغو (Mandingo) تلك القبائل
التي هاجرت الى انهار سكارسز والمناطق الشمالية من سيراليون خلال
القرن التاسع عشر ، وتزاوج أعضاء من هذه القبائل من جماعات التمن
واللوكو واللمبا ، وصار الدين الاسلامي يسيطر على حياة الناس في هذه

Hirst, E. and Kamara, I. : Benga, London 1958, p. 39. (١)

SLA/GCDSS 43/99 Cardew to Secr. of State 10 Feb. 1899. (٢)

Fyfe, Christopher : Op. cit., p. 432. (٣)

Crowder, M. : Op. cit., p. 74. (٤)

المناطق - ويرى أصحاب هذا الرأي أن بيى بوريه عندما صار رئيسا تأثر بالدين الاسلامى فى أمور كثيرة ، وأنه قد تأثر بعمق التطورات الاسلامية القادمة من الشمال ، وأنه احتفظ بالموظفين الذين يكتبون باللغة العربية ، وأن معظم مراسلاته مع قسم الشئون الوطنية كانت بهذه اللغة ، كما يرى أصحاب هذا الرأي أن بيى بوريه كان على علاقة بأسرة من التجار المسلمين الذين هاجروا الى أرض التمن (١) .

ورغم كل هذه الأعمال التى تتم عن ارتباط وثيق بالدين الاسلامى فإن أصحاب هذا الرأي لم يقرروا صراحة أنه اعتنق الدين الاسلامى ، وهذا مما يزيد الأمر تعقيدا . والتساؤل البديهي كيف يواصل بيى بوريه اعتناقه احدى الديانات المحلية وهو الذى شارك الزعيم الدينى فى حركة جهاده ، لنشر الدين الاسلامى .

فقد قامت ثورة ضد الزعيم المسلم بخارى فى عام ١٨٧٦ بسبب اصرارها على فرض تعاليم الدين الاسلامى ، بل وقام الناس بقتل الامام الرئيسى وطردها بخارى من المنطقة (٢) .

وقد بحث بخارى عن مكان يلجأ اليه فى منطقة النفوذ البريطانى فى كامبيا (Kebalai) وهناك التقى بأحد الزعماء العسكريين ويدعى كياليا (Kehalia) ورتب بخارى معه على أن يقوم كياليا بالتوجه الى المناطق المجاورة الداخلية من أنهار سكارسز ، وإلى منطقة يوننى (Yonni) لتجنيد الشباب المحارب (٣) .

وقام كياليا بجمع جيش ضخم من الشباب بلغ أكثر من أربعة آلاف مقاتل ، وفى يناير ١٨٢٨ قاد بخارى هذا الجيش فى محاولة للجهاد ضد رعاياه - لكن الفرنسيين عينوا دودا (Dowda) قاضيا لمدينة فوريكاريا فى

(١) Hirst and Makara : Op. cit., pp. 13-17.

(٢) NAS / 76/21/7135/ Letter of Bokhari to Gov Havelock
26 January 1882.

(٣) SLA/ADMP 32/82. W.B. Harding to Gov. Havelock
28 January 1882.

مكانه ، وأثمرت جهود بخارى وكياليا لكن الفرنسيين اتهموا البريطانيين بمساعدة بخارى ، وطالبوا بالقبض عليه ، وكان الرد البريطاني أن معاهداتهم مع حكام أنهار سكارسز مجرد معاهدات صداقة وليست حماية رسمية ، وبالتالي ليس في مقدورهم القبض على الأشخاص (١) .

وبعد رسم الحدود بين مناطق النفوذ البريطانية والفرنسية طلب انبريطانيون من السكان طرد بخارى من المنطقة ، وفعلوا تم طرد هذا المجاهد الاسلامي ، وظلت مشكلة تولي السلطة في كاسيه قائمة حتى استشهاد بخارى في عام ١٨٨٥ ، وبعدها تولي كيباليا المنصب رسميا في عام ١٨٨٧ واتخذ لقب بيبى بوريه لأنه طوال فترة حروب بخارى والتي امتدت لأكثر من عشرين عاما - كان كيباليا من أنجح القواد الذين جذبوا الأتباع (٢) .

ويتضح من ارتباط بيبى بوريه مع الزعيم الديني بخارى ، وقيامه بجمع المحاربين الشباب لنشر الدعوة الاسلامية ، ثم توليه المنصب في كاسية بعد مصرعه - ان الرئيس الجديد كان مسلما قلبا وقالبا ، وأنه لم يكن من الذين ظلوا على دياتهم المحلية ، وبالتالي فنحن أمام زعيم مسلم ، ومجاهد من أجل نصره الدعوة الاسلامية في هذا الجزء من شمال سيراليون وهو بذلك لا يختلف عن زعماء الجهاد الذين ظهروا في المنطقة بل وفي نفس الفترة أمثال سامورى تورى في غينيا ، والشيخ محمد الأمين ، والزعيم المجاهد الحاج عمر القوتى التكرورى في بلاد السنغال ، وأيضا رابع فضل الله في اقليم تشاد (٣) .

وعندما صار بيبى بوريه رئيسا لكاسية التى تبعد حوالى خمسة وعشرين

(١) SLA/GLLB - 81/82 Gov. Havelock to Barc .. March 1882.

(٢) La Ray Benzer : Op. cit., p 246.

(٣) لمزيد من الدراسة حول هذه الزعامات الاسلامية انظر :
عبد الله عبد الرازق ابراهيم : المسلمون والغزو الاوربي لافريقيا ،

ميلا عن بورت لوكو تعهد بالابقاء على شروط المعاهدات مع البريطانيين والتي وقعت في عام ١٨٧١ ، وكان عليه أن ينفذ الاتفاقيات ، وقرارات المحاكم التي أصدرها الحكام السابقون ، كما كان عليه أن يحفظ الطرق في ولايته مفتوحة أمام كل التجار ، وأن يحول أية منازعات مع الرؤساء الى مدينة فريتون للتحكيم ، وفي مقابل هذا يحصل على معاش سنوى قدره عشرة جنيهات من الحكومة •

ولم يناقش بيى بوريه شروط المعاهدة ، أو السلطات المخولة له لكن بمجرد توليه السلطة ظهر له أنها لا تعنى الكثير بالنسبة له ، وفي أواخر عام ١٨٨٨ حدث نزاع حول الأرض بين بيى بوريه وزعيم آخر مجاور له هو بيى انفجا (Bai Inga).

وعندما علم البريطانيون بالمشكلة ، حذر القائم بالأعمال في فريتون الرئيسين بضرورة الالتزام بشروط المعاهدات مع البريطانيين وأفادهما بأن الحاكم الجديد ، ويدعى السير جيمس شوهاى (James Shaw Hay) سوف يحل المشكلة فور وصوله (١) •

وعندما وصل الحاكم الجديد استدعى الرئيسين الى فريتون ، وناقش معهما المشكلة ووافق الرئيسان على عرض الأمر على ثلاثة من الرؤساء البارزين للتحكيم (٢) •

وأدرك بيى بوريه أن الحكم ليس فى صالحه ، ورفض قرار المحكمين وخول الحاكم فى اصدار القرار النهائى ، وجاء قرار الحاكم مخيبا لآمال بيى بوريه الذى أخذ يستعد للحرب ، وأرسل اليه الحاكم تحذيرا بتوقيع أشد ألوان العقاب عليه اذا لجأ الى أسلوب القوة ، وقبل بيى بوريه الأمر الواقع لكن المرارة من الحكم لأوربى أخذت تتسرب الى نفسه •

(١) SLA/ADLB 88/88 Maltby to Bai Inga 30 October 1888.

(٢) SLA/ADMP 7/88 Memo from Lawson to Gov. 23 Nov.

وبعد ستة أشهر دخل بيبى بوريه فى صراع جديد مع البريطانيين عندما وصلتهم الأنباء بأنه يعد جيشا لمساعدة رؤساء منطقة لمبا (Limba) (١) .

وكان الموقف قد تدهور عندما قاد كاريمو (Karima) أحد زعماء قبائل السوسو جيشا واستولى على عدة مدن فى لمبا ، وطلب الرؤساء من بيبى بوريه المساعدة فى طرد الغزاة من مناطقهم ، وفعلا قاد تحالفا من اللمبا واللوكو والتمن ضد السوسو ، وخشى البريطانيون من اتساع نطاق الحرب داخل مجال النفوذ الفرنسى ، وحاول باركرز - المقيم البريطانى حسم النزاع ، ودعا الرؤساء الى مباحثات سلام لكن بيبى بوريه لم يحضر ، وكذلك النائب كاريمو ، ولما أرسلت قوات الشرطة لاحتضار بوريه لم تجده فى المدينة (٢) .

ورغم تهديدات باركرز بضرورة حضور بيبى بوريه ، ورغم تحطيم قوة خصمه كاريمو - الا أنه رفض الحضور ، وواصل الحرب ، واضطر باركرز الى التهديد باستخدام القوة اذا لزم الأمر (٣) .

وفى منتصف سبتمبر ١٨٨٩ ذكر رجال الشرطة أنهم لم يجدوا بيبى بوريه فى مدينة رويالان ، ولذا أرسل الحاكم (هاى) مجموعة أخرى للبحث عنه ، وكلف فى نفس الوقت الضابط المسئول بأن يتصل به ويخبره بأن التقارير الواردة عنه سيئة ، وأنه لابد من حضوره للدفاع عن التهم الموجهة ضده ، والا اعتبر مخالفا للمعاهدة مع بريطانيا (٤) .

ورغم كل هذه التهديدات لم يستجب بيبى بوريه ، وواصل تحديه للحكومة البريطانية لمدة ستة أشهر ، وكل ما فعله الحاكم هاى هو تكليف

(١) SLA/ADLB 397/79 Parkes to Alimami Bomboh Lahai, 14 October 1889.

(٢) SLA/ADLB 432/89, Parkes to Garrett 6 Nov. 1889.

(٣) Crowder, M. Op. cit , p. 78.

(٤) SLA/ADLB 639/90 Gov. to Acting Insp. General of Police, 15 September 1890.

قوة الشرطة بالقبض عليه دون أية مخاطرة ، ولما أدرك بيى بوريه الأخطار الكامنة وراء تهديدات الحكومة - أرسل خطابا الى المقيم باركز شرح فيه موقفه ، ورد عليه باركز بأن هذا ليس كافيا ، وأنه غير مقتنع بما ورد في خطابه وأنه لا بد له من الحضور الى أى مكان يوجد فيه ممثل بريطاني ليشرح له الموقف بنفسه ، وهدد باركز بأنه اذا لم يحضر فانه سوف يعامله كعدو ، وبالتالي سيتخذ اجراءات فعالة ضده (١) .

ومرة ثانية لم يتأثر بيى بوريه بهذه التهديدات ، ولم يحدث كلام الحاكم أية تأثيرات بل على العكس أفادت التقارير أنه يجمع الشباب ، ويعد المحاربين لشن هجوم جديد على ساندا العليا (Upper Sanda) وأصدر الحاكم تعليماته الى قوة الشرطة في هذه المنطقة بأن تكون على أهبة الاستعداد ، وأن تقوم بحملات هجومية اذا تطلب الأمر ، وأن تطلب من بيى بوريه التوجه الى فريتون (٢) .

وأمام هذا الاصرار والتحدى من جانب بيى بوريه أدرك الحاكم هاى - أنه يواجه خصما عنيدا فشلت المساعي السلمية في احضاره ، ولذا عرض في عام ١٨٩١ على المجلس التنفيذى للمستعمرة كل ما يتعلق بالاضرابات في ساندا ، وأوضح أنه من الضروري استعراض القوة حتى تفرق قوات بيى بوريه ، ووافق المجلس بالاجماع على استخدام القوة لوضع نهاية لهذا الرئيس المعاند والذي يرفض الامتثال لأوامر الحكومة البريطانية لكن الحاكم رأى أن ضرورة ارسال قوات عسكرية في الوقت الحالى صعب بسبب اقتراب موسم الأمطار ، وأجل الفكرة الى ما بعد ذلك .

ويتضح من هذا أن الحكومة قد عجزت بوسائلها التقليدية ، وأسلوبها الدبلوماسى في اقناع بيى بوريه على الحضور ، وأنها اضطرت الى استخدام القوة بسبب عنف وصلابة هذا الرئيس الافريقى الذى يواصل تحديه للسلطة البريطانية خصوصا عندما واصل بيى بوريه عملياته العسكرية في ساندا العليا ، وحطم المدن داخل منطقة بيى انجا (Bai Inga)

SLA/ADLB 223/91 Parkes to Bai Bureh 2 April 1891. (١)

SLA/ADLE 253/91 Gov. to Insp. General of Police (٢)

15 April 1891.

لقد كان اصرار بيى بوريه على تجاهل أوامر الحكومة البريطانية ، وقيامه بغزو المناطق المجاورة يعنى استخدام القوة ، والدخول في صراع مع القوات البريطانية ، فكيف تطورت الأحداث ، وما هو موقف بيى بوريه من هذا الصراع والتحدى لسلطة الحكومة البريطانية •

ثالثا - بيى بوريه والصراع مع القوات البريطانية

أمام هذه التهديدات المستمرة من جانب قوات بيى بوريه للمناطق المجاورة قررت حكومة فريتون ارسال حملة عسكرية على أن يكون شباب المحاربين مجندين وطنيين بها وأن تستعين الحملة ببعض محاربي بيى بوريه حتى لا يحدث شك في أعين الافارقة - لكن حكومة لندن رأت أن تشارك في الحملة فرقة من قوات الهند الغربية بقيادة الكولونيل ألفرد بيردن اليس (Alfred Burden Ellis) وقد نجحت هذه الحملة ، وتحقيق السلام بشكل تدريجي ولكنه كان سلاما مؤقتا ، ووافق الرؤساء في منطقة أنهار سكارسز بمن فيهم بيى بوريه على الامتثال لأوامر الحكومة البريطانية (١) •

وفي أوائل عام ١٨٩٤ أفادت التقارير الواردة الى فريتون أن بيى بوريه يستعد للهجوم على موريا وكان على الحاكم الجديد السير فريدرك كاردو (Frederick Cardew) أن يقدم له تحذيرا بعدم القيام بهذا الهجوم (٢) •

وفي الثالث من مارس تحالف بيى بوريه مع سوراكاتا (Surakata) أحد رؤساء السوسو والذي كان يحارب الفرنسيين ولجأ الى مناطق النفوذ البريطاني ، وسمح له البريطانيون بالاستقرار في كامبيا بشرط عدم شن غارات على مناطق النفوذ الفرنسي (٣) •

ولما حدث هذا التحالف مع بيى بوريه قرر الحاكم كاردو طرد سوراكاتا ، والقبض على بيى بوريه ، وفعلا قامت قوة من الشرطة بقيادة الكابتن شارب ، والكابتن الكسندر تاربت (Alexander Tarbet) بالتوجه الى منطقة بيى بوريه ، وعندما وصلت القوة الى روبالان

SLA/ECM. 20 April 1892

(١)

SLA/GCDSS encl. I to Conf. Desp., 37/94 Police Report from Kambia, 24 April 1894.

(٢)

SLA/ECM 28 May 1894.

(٣)

اكتشفت أنه قد رحل تاركا عددا من الشباب المحارب والذي قاوم هذه هذه القوة البوليسية . وخشى كاردو من أن يؤدي الفشل في القبض على بيى بوريه الى ترك آثار سيئة في حي لوكو (Loko) مما جعل الناس ينظرون باحتقار الى قوات الشرطة ، واقترح وضع مجموعة من فرقة الهند الغريبة في بورت لوكو ، وكتب الى بيى بوريه يطالبه بالاستسلام دون شروط والا فانه سيوقف الاتصال معه ويقبض عليه عندما تسمح الظروف بذلك (١) .

ورد بيى بوريه على كاردو مفيدا أنه لم يرفض الحضور الى بورت لوكو - لكن البوليس عندما جاء الى مدينته ، قام بالسلب والنهب ، وحمل عددا من زوجاته ، وذكر أنه مستعد للحضور للدفاع عن نفسه لكنه يخشى الحضور في الوقت الحاضر من بعض الأعمال الشريرة (٢) .

وبعد أن ضمن كاردو سلاية بيى بوريه تم تحديد لقاء بينهما ، وفي أثناء اللقاء طالب كاردو أن يدفع بيى بوريه غرامة قدرها خمسين بندقية خلال شهر والا قبض عليه وعزل من منصب الرئاسة لفترة معينة (٣) .

ودفع بيى بوريه الغرامة ، وتخلص من العقوبة التي كانت مدمرة له ، وظلت علاقة بيى بوريه مع البريطانيين محدودة حتى اعلان الحماية على سيراليون في أغسطس ١٨٩٦ ، وظل يحصل على معاشه السنوي - لكن بعد الحماية وتقسيم سيراليون الى خمسة أحياء اكتشف أن مقر الحي الذي تقع فيه كاسيه هو كارين (Karene) على الشاطئ الأيسر لنهر مابول (Mabole River) . وجاء فرض ضريبة الكوخ على السكان بمثابة الشرارة التي أشعلت نار العداء من جديد بين بيى بوريه الذي تزعم تحالف الرؤساء ضد البريطانيين - وبين البريطانيين ، وهنا تبدأ مرحلة جديدة من الصراع بين الأفارقة والبريطانيين ، لكن طابعها في هذه المرة سيشهد عنفا ، وكفاحا مسلحا لن يتوقف الا بالقبض على هذا الزعيم العنيد .

(١) SLA/GCDSS No Number Gov. to Sec. of State, 13 June 1894

1894

(٢) SLA/NALB. 5 and encl 94 Bai Bureh to Parkes, 31, May 1894.

1894.

(٣) SLA/GCDSS, No Number 94 Governor to Secretary of State 13 June 1894

وفي أواخر يناير عام ١٨٩٨ ، وبعد فترة قصيرة من تولى الكابتن شارب منصب مندوب الحي - بدأ في جمع الضريبة من حي كارين ، وقام بجمعها أيضا من رجال الشرطة الذين احتجوا على أساس أنه من غير المعقول إجبارهم على دفع ضرائب على منازل اضطروا لاستئجارها نتيجة فشل الحكومة في إعطائهم منازل مناسبة لهم ولأسرهم ، وانتشرت الاشاعات بأن بيى بوريه قد استعد لمعارضة هذه الضريبة وأنه ينوي مهاجمة حصن كارين ، وهذا ما أثار قلق الكابتن شارب الذي حاول جمع الضريبة من بورت لوكو ، ورفض التجار دفع الضريبة خوفا من هجوم المعارضين لها عليهم ، وقام شارب بالقبض على الرئيس الأعلى للمدينة ويدعى بخارى بامب (Bokari Bamp) وحذره من العواقب الوخيمة اذا أساء شعبه للتجار ، وأطلق سراحه بعد تعهده بالقيام بما طلب منه - ولما رفض بعض التجار الدفع ، قام شارب بالقبض عليهم ، واستدعى بخارى بامب مع عدد من الرؤساء الذين رفضوا التعهد بعدم تعرض الأهالي للتجار ، كما رفضوا مساعدة الحكومة في جمع الضريبة ، وكان رد شارب هو القبض عليهم وارسالهم الى فريتون ، وتعيين رئيس جديد هو سوري بونكى (Sorie Bunki) (١) •

ووسط هذه التغيرات - انتشرت الاشاعات بأن بيى بوريه ينوي مهاجمة بورت لوكو في الوقت الذي رفض فيه الرؤساء دفع الضريبة ، وهرب عدد كبير من السكان خارج المدينة واتصل شارب بالحاكم العام وأخبره بأنه لا يستطيع مغادرة المدينة المهجورة خوفا من هجوم بيى بوريه، وطلب من الحاكم ارسال عشرين رجلا لمساعدته في القبض على بيى بوريه الذي صار يشكل خطرا على المنطقة (٢) •

واستعدت القوة البوليسية بقيادة تاربت وتحرك مع شارب وستة وأربعين من رجال الشرطة نحو اقليم كاسيه ، وعلى طول الطريق كان شباب بيى بوريه المختبىء وراء الاعشاب يمتطرون رجال الشرطة وابلا من الحجارة ، ورد تاربت باطلاق النيران عليهم ، وبادلهم الشباب المحارب بالقاء كرات اللهب المشتعل ، وكان هذا يعنى بداية الحرب واللقاء المسلح بين الرئيس بيى بوريه وقوات الشرطة البريطانية •

La Ray Denzer : Op. cit., p. 252.

(١)

SLA/GCDSS encl. to 15/98 Gov. to Major Norris.

(٢)

وهنا نجد أنفسنا أمام السؤال :

هل كان يبي بوريه قادرا على المواجهة مع هذه القوات البريطانية المدربة على أحدث الاسلحة ؟

لقد استخدم يبي بوريه نظام التحالف مع جماعات التمن في الشمال، وكان يجمع المحاربين ، وينظمهم داخل جيشه ، كما اتفق مع الرؤساء على منع أية تحركات في الانهار واقامة المتاريس على طول الطرق البرية، واعتمد يبي بوريه على نظام الجواسيس الذين كان يرسلهم الى القرى المجاورة لتفقد خطوط الدفاع ، ومعرفة عدد السكان ، وكيفية الهجوم أثناء الاشتباكات ، وكان من السهل على رجال يبي بوريه الاقتراب من الحمالين البريطانيين والوقوف على مدى استعداداتهم ، وكان بعض المرشدين للقوات البريطانية من رجال يبي بوريه ، ولذا فانهم كانوا يقودون القوات البريطانية في أماكن مجهولة أو يضللوهم حتى لا يعرفون مواقع القرى ، وكان لاحتكاك يبي بوريه بالقوات البريطانية أثره في معرفة الكثير عن خططهم ، وهذا ما ساعده عندما دخل في حروب معهم ، ولم تتمكن هذه القوى المدربة على أحدث الاسلحة من القبض عليه بسهولة، بل تكبدت الكثير من الخسائر الى أن تم القبض على هذا الرئيس الافريقى .

وسوف نستعرض تطورات الحرب بين القوات البريطانية ويبي بوريه .

رابعا - مقاومة يبي بوريه للبريطانيين

عندما وصلت القوات البريطانية الى كارين ، كانت قوات التمن لملاقاتها ، وهاجمت القوات القادمة ، ووجد تاربت أن المدن مهجورة وأن الرؤساء قد انضموا الى يبي بوريه ، فأدرك شارب وتاربت أن استقرار الادارة البريطانية لن يتحقق الا بازاحة يبي بوريه ، والقضاء على تحالف التمن الذى استولى على معظم القوارب في الانهار وقطع الاتصالات بين كارين وبورت لوكو ووجد تاربت أيضا أن قوات يبي بوريه تحمل أسلحة أكثر تطورا مما يحمله البريطانيون ، ولذا فقد طلب قوات اضافية من فريتون .

وعلى الفور جمع الحاكم كاردو مجلسه التنفيذي الذى طالب باستعراض القوة لاجبار الاهالى على الولاء للبريطانيين ، كما وافق المجلس على ارسال فرقة الهند الغربية الى كارين لتدعيم القوة البوليسية هناك ، وفى نفس الوقت أرسل الحاكم الى وزير المستعمرات يحيطه علما بالموقف ، وبأن هناك مقاومة مسلحة ضد جمع الضريبة لكنه أعرب عن تفاؤله بحسم الأمر فى غضون شهر واحد (١) .

وفى ٢٤ فبراير ١٨٩٨ اتصل تاربت بالحاكم كاردو وأخبرها أن الموقف يزداد سوءا وأن المحاربين من قوات بى بوريه يواصلون غاراتهم وأن أعوانه يزدادون يوما بعد الآخر وأن التمن قاموا بالقبض على حليف بريطانيا سورى بونكى وقتلوه وأن الخراب قد انتشر فى مدينة بورت لوكو والمناطق المجاورة ، وأخيرا طالب بالمزيد من القوات لاحتلال كل هذه المنطقة ووقف عمليات الارهاب .

وعلى الفور تحرك الميجور ريتشارد جوزيف نورس (Richard, J. Norris) قائد قوات الهند الغربية من فريتون ، ومعه تعليمات بالبقاء فى كارين ومساندة قوات الشرطة التى تعمل فى حى كاسيه للقضاء على المتمردين ، والقبض على بى بوريه . ولما وصل نورس أنزل قواته فى روبات على أنهار سكارسز ، وتقدم سيرا الى كارين ولم يتعرض له أحد ، وعندما وصل الى حامية كارين ، وجد الجنود فى حالة من التوتر ويتوقعون الهجوم فى أى لحظة ، كما أن كميات المؤن لديهم غير كافية .

وأدرك نورس أن المناطق المحيطة بالحامية تحت سيطرة قوات بى بوريه ، وأن نقص المؤن سيجعل من المستحيل البقاء لأكثر من ثلاثة أيام فى كارين ، واقترح الجلاء وترك المنطقة ولكن الحاكم كاردو عارض هذا الجلاء لأن ذلك سوف يظهر ضعف الحكومة ويزيد من اندلاع الثورة وتوسعها فى حى كارين بل وربما فى كل أجزاء المحمية (٢) .

P.R.O. C.O. 267/437 Comf. Desp. 22 Gov. to Sec. of State, (١)
22 Feb., 1898.

SLA/GCDSS encl. 4 to 15 198 Report from Capt. Sharpe (٢)
to Col. Sec. 2 March 1898.

ولما ازداد الموقف خطرا في حي كارين طلب شارب من نورس اعلان الأحكام العرفية في الحي وأن يتولى مسئولية كل من بورت لوكو وكارين (١) .

وبعد اعلان الأحكام العرفية تحرك نورس الى بورت لوكو في محاولة لابقاء الاتصال مع كارين ، وعلى طول الطريق كان شباب المحاربين يقذفون القوة بالحجارة من داخل المخايء واضطرت القوة على مدى عشر ساعات أن تقصف المدن والقرى حتى توقف هجوم المحاربين وأخيرا وصلت الى بورت لوكو ، وعلى الفور طلب نورس امدادات عسكرية جديدة من فريتون ، وبمجرد تلقي كاردو تقرير نورس حتى أجرى مشاراة مع الكولونيل ارثر بورسوث (Arthur Bosworth) قائد القوات في غرب أفريقيا ، وتم اتخاذ قرار بأن الموقف ليس خطيرا ولا يحتاج الى أكثر من فرقة واحدة .

في ذلك الوقت هاجمت قوات التمن بقيادة بيبى بوريه مدينة بورت لوكو وذلك بعد ثلاثة أيام من اعلان الأحكام العرفية ، وشبت النار في منزل مجاور لمقر جمعية الكنيسة التبشيرية ، وبعدها أطلق الشباب النار على المدينة من اتجاه بورت لوكو القديمة واستمر القصف لمدة أربع ساعات ونصف وردت القوات البريطانية على هذا الهجوم ، ولم يتوقف القتال الا بعد تقهقر القوات الغازية ، وقامت القوات البريطانية بتوسيع نطاق الحرب وازالة الكثير من الأعشاب المجاورة بل وتحطيم كل الألواح داخل المنطقة .

ولما وصلت التعزيزات من فريتون بقيادة مستر فوكس (Fox) قامت القوات المشتركة باطلاق النيران على شباب التمن حتى تم طردهم من بورت لوكو لكن في اليوم الثامن من الاشتباكات قام شباب بيبى بوريه بمهاجمة كارين وتصدت لهم قوات الشرطة ، وأمام ازدياد عنف الهجوم - وصلت تعزيزات جديدة بقيادة الكابتن ستانسفيلد (Stansfield) الذي قام على الفور بإشعال النيران في مناطق الأعشاب

Sla/GCDSS enc 1.4 to 15 198 Report from Capt. (1)
Sharpe to Col. Sec. 2 March 1898.

المجاورة لمقر مركزه ، وفي ذات الوقت أرسل كاردو بناء على التقارير التي وصلته يطالب بالقبض على بى بوريه بأسرع ما يمكن .

ومنذ بداية الاشتباكات وحتى الأول من ابريل ١٨٩٨ كان بى بوريه وشبابه من المحاربين يسيطرون على الموقف حيث كانت المبادرة في أيديهم ، وكانت عملياتهم بسيطة ومؤثرة على القوات البريطانية التي لم يعرف قادتها الكثير عن طبيعة المنطقة أرض المعركة ، وحاول بى بوريه تجنب المواجهة المباشرة وفضل الغارات المفاجئة والهجوم من خلف أسوار محصنة (١) .

وباختصار كان بى بوريه يستخدم الجواسيس لمعرفة تحرك البريطانيين وكان ينفذ أسلوب الكر والفر ، وهو أسلوب يناسب التعامل مع القوات البريطانية التي تتحرك ببطء على طرق وممرات لا تعرف عنها شيئا وكان هذا الهجوم المستمر والعنيف من جانب قوات بى بوريه قد أجبر القيادة على ارسال المزيد من التعزيزات ، وكان الهدف النهائي هو القبض على زعيم هذه الثورة واعادة الأمور الى نصابها ، وفي أول ابريل ١٨٩٨ تحركت قوة بريطانية من ستة ضباط وتسعين جنديا وحوالي ٦٤٠ من الحمالين بقيادة الميجور بك (Major Buck) ، وكانت هذه القوة تشعل النيران في القرى التي تمر عليها ، ولم تكن مقاومة بى بوريه عنيفة طوال تحرك هذه القوة وظل بى بوريه يقود قواته ، ويطلق النار من خلف ستائر وحواجز حصنه ولكن بك استطاع السيطرة على مدينة بوتن (Buttlen) ، ومع استمرار القصف من جانب رجال بى بوريه اضطر البريطانيون الى ترك المدينة بعد اشعال النيران بها واتجهوا نحو (كاجينتا) حيث دارت معركة أخرى بين الطرفين وتفوق شباب التمن بعد اشتباكات عنيفة (٢) .

ولقد واجهت القوات البريطانية مقاومة عنيفة أثناء تقدمها نحو مدينتى رومارون (Komaron) وكاتينيا (Katenia) وهما من أقوى حصون بى بوريه ، واستخدم البريطانيون أبشع الوسائل من الحرق

Crowder, M. : Op. cit., p. 89.

(١)

(٢) انظر على الخريطة هذه المواقع شكل رقم (١) .

والإبادة للقضاء على مقاومة الشباب لدرجة أن الحاكم كاردو انزعج من أسلوب حرق المدن والقرى وطالب فقط بحرق المدن التي تقاوم القوات البريطانية .

واستمر الدعم البريطاني كما استمر توافد التعزيزات بسبب عنف مقاومة شباب بيى بوريه ، وغادر بوثورت الى بورت لوكو مع قوة من ثمانية ضباط و ٩٢ جنديا و ٣٠٠ من الحمالين وذلك لاعتقاده أن هذه المدينة أفضل كقاعدة من كارين ، ولما تلقى كاردو تقريرا من بوثورت عن خطورة الموقف صمم على التوجه بنفسه الى بورت لوكو .

وتوضع كل هذه الاستعدادات والتحركات والتقارير المتصلة حقيقة هامة هي أن بيى بوريه كان حتى هذا الوقت خصما عنيدا للبريطانيين ومحاربا قويا وشخصية لاتلين أمام التحديات وكلما زادت التعزيزات كلما ازداد اصراره على التحدى والمواجهة وهذه سمات القيادة المدربة والمخلصة لقضية وطنها .

وفي الخامس والعشرين من مارس بدأ كارسميث (Carr Smith) رحلة العودة الى بورت لوكو لكن قوات بيى بوريه اعترضته ودارت معارك عنيفة خارج مدينة ماتيتي (Matita) واضطر سميث الى العودة الى كارين بعد أن جرح هو نفسه مع ضابط آخر ، وتولى أحد الضباط قيادة الحملة (١) .

وما أن سمع الكولونيل بوثورث بهذه الأنباء حتى تحرك الى كارين لانتقاذ الحامية واختار مائة من الجنود وأربعة ضباط وبعض المعدات ، واجه هو الآخر مقاومة قوية من جانب رجال بيى بوريه في كل من ملال (Malal) ورميني (Rpmi) وقد تمكن في النهاية من الوصول الى كاجينتا - لكن المعارضة كانت أشد والهجوم أكثر عنفا لدرجة أن القوات البريطانية اصببت بالاعياء وحل عليها التعب واصيب بوثورث نفسه وسقط مغشيا عليه وفارق الحياة بسبب الحمى (٢) .

(١) La Ray Denzer : Op. cit., 259

(٢) P.R.O. C.O. 267/438 Conf. Desp. 39 Gov to Sec. of State
31 March 1898.

وحل جون مارشال (John Marshall) محل بوثرث ووجد انه من الضروري فتح الطريق الى كارين وقرر انشاء حامية احتياطية في روميني ، واخذ مارشال بقية الأربعين جنديا الى بورت لوكو حيث وصل الى هناك في اول ابريل بعد مقاومة عنيفة وجرح عدد كبير من جنوده ، وانخفضت الروح المعنوية لديهم واصيب الضباط بارهاق شديد من جراء الحروب المستمرة •

وقام مارشال ببناء مركزين مابين لوكو وكارين، وقسم المسافة بينهما الى ممرات قصيرة حتى يضمن سلامة ارسال الامدادات ، وان يجهز القواعد للقوارب المتقلة ، كما وضع في كارين امدادات تكفيها لمدة خمسة عشر يوما وبدأ أسلوب وسياسة الأرض المحروقة ، وكانت هذه الخطوة الجديدة من جانب مارشال بداية النهاية للمقاومة الوطنية بزعامة بيبى بوريه وهى مرحلة جديدة من النضال والمقاومة التى استمرت حتى سقوط هذا الزعيم الأفريقى العنيد الذى دوخ القوات البريطانية لمدة عام كامل وأجبر بريطانيا على ارسال المزيد من التعزيزات والمزيد من القوات لوقف نشاط هذا المجاهد الأفريقى والمناضل الوطنى ضد الوجود الأجنبى على التراب الافريقى •

خامسا - المرحلة الأخيرة من المقاومة

بعد أن اتبع مارشال سياسة الأرض المحروقة أخذ يشن الغارات على القرى التى تقاوم تقدمه أو تعترض طريقه ، واستطاع فى فترة وجيزة أن يسيطر سيطرة كاملة على الطريق مابين بورت لوكو وكارين وترك حاميات فى كل من روميني وكارين للحفاظ على القوات الحكومية وليمنع بناء أية حصون محلية وانتقل بعد ذلك الى توسيع نطاق الحرب فى كل المنطقة ، وتحرك هنا وهناك محطما كل القرى التى تعترض طريقه ورغم كل هذا فان مقاومة بيبى بوريه لم تضعف بل على العكس ازدادت عنفا مع ازدياد أساليب البريطانيين الوحشية وخاضت قوات الثمن بزعامة بيبى بوريه ثلاث معارك عنيفة كانت أشدها المعركة التى وقعت بالقرب من مدن كاتينيا وماتيتى فى الحادى عشر من ابريل ١٨٩٨ كما دارت

معارك أخرى في مدن كاجينتا في الثالث عشر، وفي مافوري (Mafouri) في الخامس والعشرين من نفس الشهر (١) .

ويتضح لنا من هذا العرض للمعارك ، والتواريخ المتقاربة بينها أن قوات بيى بوريه كانت تضاعف من هجومها على القوات البريطانية التي تستخدم أبشع وسائل القتال ، كما توضح هذه الحقائق أن بيى بوريه لا يزال يسيطر على الموقف وأن قواته لا تزال تكبد القوات البريطانية المزيد من الخسائر في العتاد والأرواح كما تبين هذه الحقائق قوة ايمان الأفارقة بقضايهم وبقينهم أن هذا المستعمر ماجاء الا ليفرض سطوته ويستغل خيراتهم وكان هذا من أهم عوامل الصمود والمقاومة حتى النهاية .

وبعد أن سيطر مارشال على اقليم كاسيه أخذ يوسع العمليات الحربية في اقليم سندا وكان يدمر كل مدينة أو قرية تعترض طريقه ، وكان يجمع الأهالي ويشرح لهم أن الهدف الأساسي من حملاته هو القضاء على بيى بوريه ، وخلال الأسبوعين الأخيرين من ابريل ١٨٩٨ ضاعف البريطانيون من حملاتهم ، ورغم أنهم سيطروا على كل المنطقة تقريبا الا أنهم فشلوا في الاقتراب من بيى بوريه أو القبض عليه لأنه كان قد انتقل الى الولايات المجاورة وكان يجمع المحاربين ويدعم صفوف المقاومة الوطنية (٢) .

وكان على مارشال أن يواجه هذه المقاومة الوطنية التي اندلعت في أجزاء أخرى من المحمية ، وقد عبر عن هذه الجهود التي يقوم بها مارشال في خطاب أرسله الحاكم الى وزارة المستعمرات شرح فيه خطط مارشال وأنه يتحمل المشاق بل وأنه يضطر في بعض الأحيان الى تدمير بعض القرى والمدن لكي يتمكن من القضاء على هذا الرجل الذي صار يقلق مضجع البريطانيين .

وطوال هذه العمليات العسكرية كان بيى بوريه هو المحرك لكل أعمال المقاومة الوطنية ، وظل على مسرح الأحداث يوجه العمليات ضد البريطانيين لكنهم عجزوا تماما عن السيطرة على الموقف أو القبض عليه لأنه كان دائما يخدعهم ، مما اضطر مارشال الى عرض مكافأة مالية شخصية لكل من يرشد عن مكانه ولكن دون جدوى .

(١) انظر هذه المواقع في الخريطة شكل رقم (١)

La Ray Denzer : Op. cit., p. 251.

(٢)

ورغم أن مارشال استخدم كل الوسائل المتاحة له ، ورغم أنه دمر العديد من المدن والقرى وسيطر على إقليم كاسيه . إلا أن بيى بوريه ظل على قيد الحياة وبالتالي استمرت المقاومة التي لم تتوقف إلا بالقبض عليه ، ومع ذلك فإن عملية القبض عليه تأخرت حتى انتهاء موسم الأمطار التي جاءت كثيفة بدرجة تعوق العمليات العسكرية (١) .

وعندما أدرك بيى بوريه أن البريطانيين مصممون على القبض عليه ، ونتيجة للدمار الذي حل بالقرى والمدن بسبب السياسة الغاشمة التي اتتبعها مارشال في حرق المدن والقرى . قام بعرض الوساطة على بريطانيا لإنهاء الحرب والتوصل إلى شروط للسلام ، واستعان بيى بوريه الذي عرض عليه بيى بوريه (Sir Alba) بأحد رجال التبشير ويدعى السير البا نقل رسالة شفوية للحاكم البريطانى توضح رغبته في السلام لكن جاءه الرد بأنه لا وساطة إلا باستسلام بيى بوريه دون قيد أو شرط (٢) .

ورفض كاردو كل المحاولات من أجل الوساطة على أمل أن يستسلم بيى بوريه ، وأرسل المسلمون في فريتون خطابات من بيى بوريه إلى السير دونالد (Donald Chalmers) المندوب السامى عبر فيها عن رغبته في السلام وطلبوا التحقيق في أسباب النزاع ، لكن فشلت وساطة شالمرز الذي بعث إلى بيى بوريه من خلال وزير الشؤون الوطنية رسالة تحمل تحياته الحارة وطلب منه أن يستمع إلى اقتراحات الحاكم الذي يرفض كل عروض الوساطة وهكذا أضاع البريطانيون فرصة تحقيق السلام مع زعيم وطنى كبدهم الكثير من المعاناة ، فكان لابد من جولة أخيرة تحسم هذا الموقف المعقد .

وفي ١١ نوفمبر ١٨٩٨ تمكنت فرقة بريطانية من تعقب بيى بوريه في منطقة كثيفة الحشائش ذات مستنقعات كثيرة وقاوم بيى بوريه لكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلا أمام هذه القوات البريطانية وحاول رجلان من الثمن الهرب من أرض المعركة لكن ضابطا من سيراليون تابعا

(١) P.R.O.C.O. 267/438 Conf. Desp. 39 Gov. to Sec. of State
27 May 1898.

(٢) SLA/Local Letter Book 405/98 Gov. to A. Elba, 10 June
1898.

للقوات البريطانية تعقبها واستطاع القبض على أحدهما ، وكا هو
بيى بوريه نفسه (١) .

وهكذا سقط هذا الزعيم الأفريقى بعد حوالى عام من النضال
والكفاح ذاق فيه البريطانيون الذل والهوان ، وما أكثر القيادات التى
تعاقبت والأموال التى أُنفقت والأرواح التى أزُهقت وما أشد الدمار
الذى حل بالمنطقة من أجل اخماد صوت الحرية وصموت التحدى لهذا
المستعمر البريطانى .

لقد جاءوا لنشر الحضارة وتمدين الأفارقة كما ادعوا فاذا بهم يحولون
الأرض الأفريقية الى ميدان للصراع والدمار وما سياسة الأرض
المحرقة التى اتتهجها البريطانيون فى سيراليون ، والألمان فى تنجانيقا
الا وسيلة لجلب الخراب وتدمير الحضارة الأفريقية التى عاشت
وترعرعت فى هذه القارة منذ قدوم الاسلام اليها فى القرن السابع
الميلادى .

لقد سقط هذا الزعيم بعد مرحلة طويلة من الكفاح وما أشبه
سقوطه بسقوط الزعيم عمر المختار فى ليبيا والذى أذاق الايطاليين
الهوان على مدى تسع سنوات ، وهكذا تكون نهاية الأبطال الذين
يناضلون حتى آخر لحظة من حياتهم غير مبالين بالمال والحياة فى سبيل
الدفاع عن أوطانهم وفى سبيل الحفاظ على بلادهم أمام هذه الموجة
الاستعمارية العنيفة التى اجتاحت القارة فى الربع الأخير من القرن
التاسع عشر .

وبعد القبض على بيى بوريه قررت الحكومة محاكمته فى كارين
لأنها شعرت أن المحاكمة اذا تمت فى فريتون فربما يثير ذلك سخطا
شعبيا كبيرا نظرا لما يتمتع به بيى بوريه من مكانة فى قوس الشعب
السيراليونى . وكانت خطة شارب أن ينتقم من هذا المجاهد الوطنى
الكبير بتقديمه الى المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى (٢) .

P R O. C.O. 267 end. to Conf. Desp. 273 Report of Capture (١)
of Bai Bureh from It. Col. Cunningham.

SLA/CMP. 149/98 District Commissioner (Karene to (٢)
Col. Sec. 14 November 1898.

وكتب كاردو الى وزير المستعمرات يفيد الرغبة في محاكمة بيى بوريه بتهمة الخيانة العظمى لكن الوزير طلب تأجيل هذه الاجراءات ، وهكذا تم حجز بيى بوريه فترة الى أن تصل التعليمات بشأنه من لندن ، وفي هذه الفترة حاول أحد الحراس من التمن مساعدته على الهروب لكن المحاولة فشلت ، وبعدها تقرر نقله الى فريتون وهناك كان يحصل على غذاء خاص ، وكان يعيش بمعزل عن بقية المسجونين .

وأخيرا توصل مندوب وزارة المستعمرات الى قرار أعلن فيه أن بيى بوريه نموذجاً لها حتى تحقق الاستقلال التام لهذه المستعمرة البريطانية البريطانيين ، ولأنه لم يقدم الى محاكمة من قبل ، وهكذا نجى بيى بوريه من هذه التهمة التي حاول شارب بكل وسيلة أن يلصقها به .

وأقام بيى بوريه في منزل في ضواحي فريتون في أوائل ابريل ١٨٩٩ ، وكان يقيم بالقرب من ملك الأشاتى المعزول برمه الأول ، وظل تحت الحراسة المشددة لأن الناس توافدوا على هذا المنزل لالقاء نظرة أخيرة على زعيمهم الذي صمد طويلاً وعلى هذا الخصم العنيد والمتحدى الأعظم للسيادة البريطانية ، وبعد القبض على هذا الزعيم توقفت حركة المقاومة الوطنية الى حين ، ونعم البريطانيون بسلام نسبي بعد انتهاء مقاومة بيى بوريه - لكن الحركة القومية اندلعت من جديد متخذة من صمود بيى بوريه نموذجاً لها حتى تحقق الاستقلال التام لهذه المستعمرة البريطانية في الستينيات من هذا القرن .

وسيطل نضال بيى بوريه ، وتحديه للسلطات البريطانية ووقوفه بشجاعة واقدام ضد كل الاجراءات البريطانية وضد ضريبة الكوخ بشكل خاص ، سيطل صمود هذا الرجل علامة مضيئة في التاريخ القومى الأفريقى الذى يحتاج الى مزيد من الدراسات حول هذه الشخصيات التي لم تجد من الأوربيين الا التجاهل التام ، والصاق تهم المجون والمخمورين والمجانين عليهم ، لقد ظل نضال بوريه مجهولاً لفترة طويلة لكن بالبحث في سجلات وزارة المستعمرات البريطانية نجد الكثير عن هذه الزعامات التي وقت وصمدت وتحدت الوجود الأجنبى .

لقد رفض الحاكم البريطانى عودته الى بلاده حتى لا يكون ذلك علامة ضعف بل ورأى أن ينقل الى ساحل الذهب مع عدد من الرؤساء

المعارضين للوجود البريطانى ، وفعلنا نقل بيبى بوريه الى ساحل الذهب (غانا حاليا) وظل هناك حتى سمح له أخيرا بالعودة الى وطنه فى عام ١٩٠٥ ، وعاد الى منصبه — لكنه كان قد بلغ من العمر عتيا ، فعاش فى حياة مسالة ولم تحدث أية اضطرابات حتى وافاه الأجل المحتوم فى عام ١٩٠٨ •

سادسا - الخاتمة

من هذا العرض لنضال وكفاح بيبى بوريه وتحديه للسلطات البريطانية نجد أنفسنا أمام زعيم من أبرز زعماء الصمود والتحدى للسيادة الأوربية على أرض أفريقيا ، وهو فى نضاله وصموده لا يقل كثيرا عن زعماء آخرين قاموا بأدوار بطولية أمثال سامورى تورى ، ومحمد الأمين والحاج عمر الفتوى ، وأحمد شيخو ، ورابع فضل الله ، وإذا كان هؤلاء الزعماء قد وجدوا حظا من المؤرخين الذين سردوا جزءا من نضالهم فان بيبى بوريه رغم مهاراته الخاصة لم يجد من الكتاب القدر الذى يليق بالدور الذى قام به •

لقد تجاهله الكتاب بل ، ومن أشار الى نضاله حاول اسدال الغموض حول أصله وتربيته ودوره النضالى ، بل وحدثت عدة اختلافات حول عقيدته الدينية ، وأنكر بعضهم أنه يدين بالاسلام رغم الأعمال العديدة التى تجعله أقرب الى الدين الاسلامى من غيره من الديانات المحلية لكن كان المقصود من هذا التضليل هو الحط من قدر هذا الزعيم ، والتقليل من جهاده بالرغم من الدور الذى قام به على مدى عشرين عاما كأعظم قواد الزعيم الدينى بخارى بالرغم من توليه القيادة بعد استشهاد هذا الزعيم •

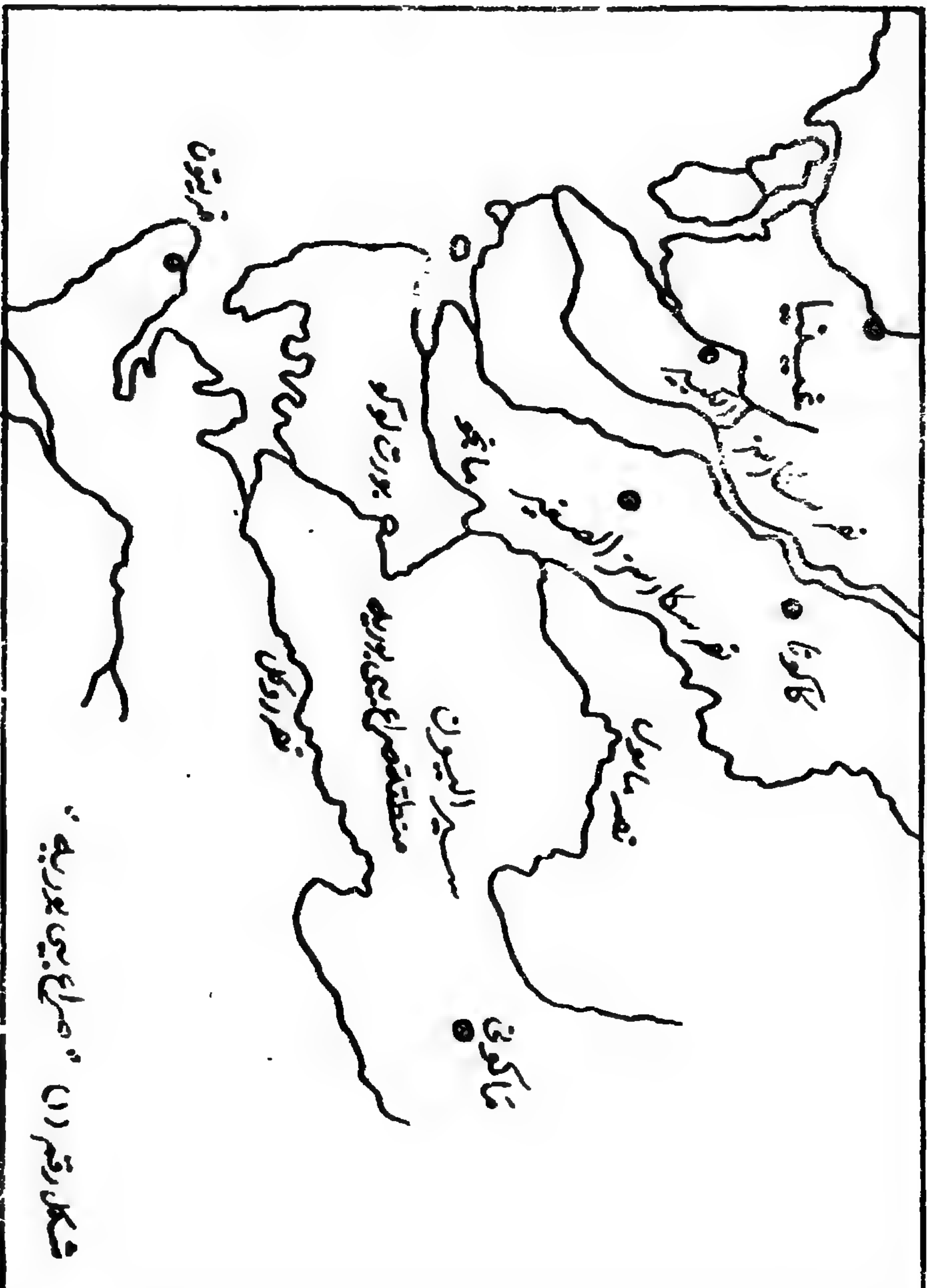
لقد كان بيبى بوريه زعيما من طراز خاص له طبيعة تختلف عن غيره من الزعماء فى مختلف أجزاء القارة الأفريقية • ذلك لأن سيراليون كانت منذ البداية من أوائل المستعمرات التى استقرت فيها بريطانيا بعد الغاء تجارة الرقيق وبعد تزعمها حركة توطن الرقيق فى بلادها الأصلية — فقد كانت سيراليون هى الملاذ لتنفيذ هذه السياسة وبالتالى فهى منطقة استقرار بريطانية دائمة بعكس بقية المستعمرات التى تم الاستيلاء عليها ابان

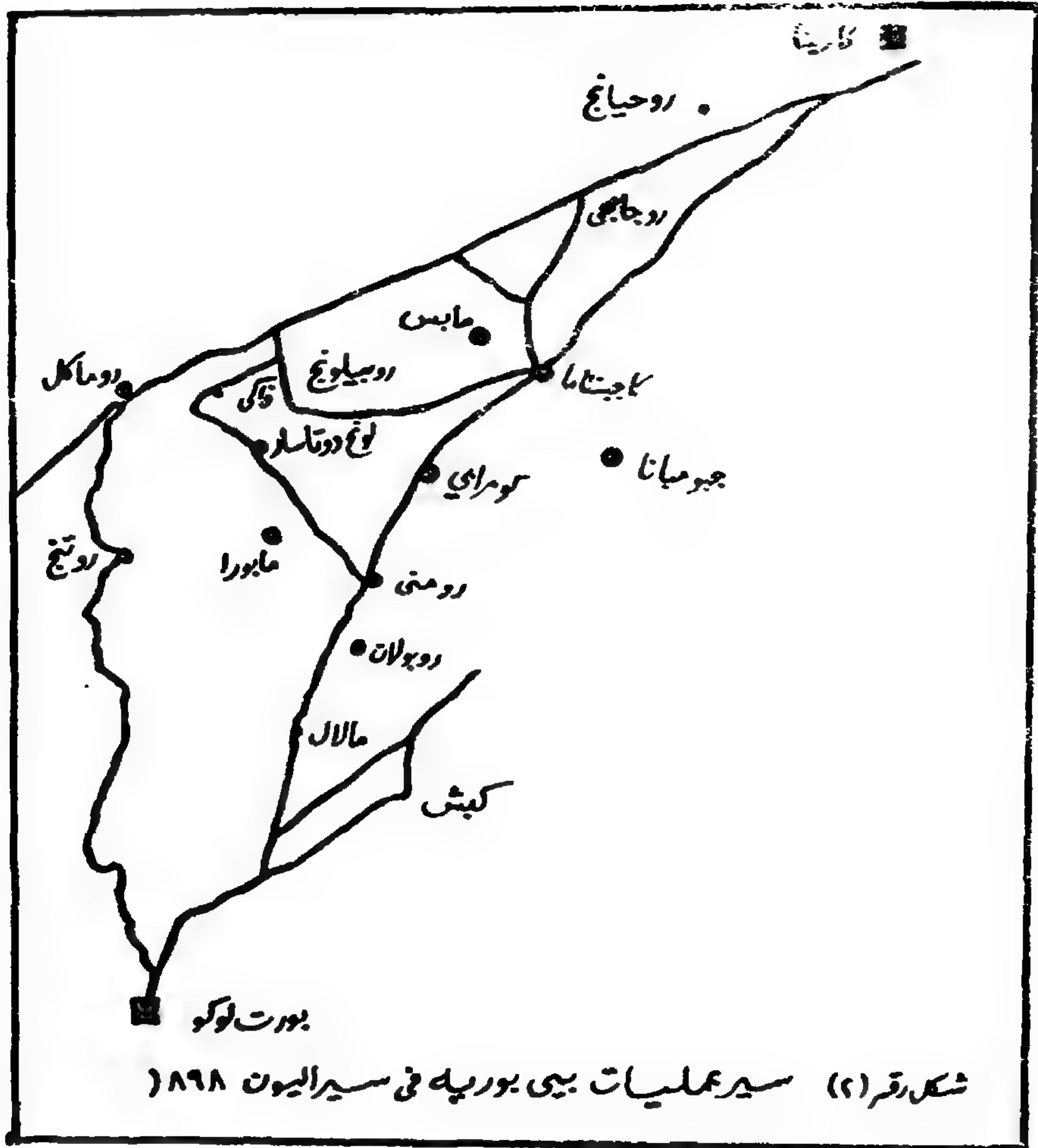
مرحلة الصراع على القارة بعد مؤتمر برلين لعام ١٨٨٤/١٨٨٥ لكل هذا لم تتضح صورة جهاد بيبى بوريه بسبب طبيعة المستعمرة الخاصة ولأن البريطانيين حاولوا طمس معالم هذا الصراع واعتبروه مجرد قائد وطنى نأثر ضد ضربة الكوخ .

وبالرغم من أن المصادر البريطانية حاولت التقليل من نضال بيبى بوريه واتهمته بأنه رجل مخمور ، وركزت على مهارة الرجل الأبيض وقدرته على التخطيط والمناورة - لكن عنف المقاومة والتحدى للسلطات البريطانية على مدى عام كامل أثبت أنهم أمام محارب عنيد يعرف فنون الحرب الحديثة ، ويعرف كيف يتعامل مع عدو أكثر منه عنادا وتقدما فى التسليح ويعرف كيف يجاريه ويوقع به الخسائر دون أن يصاب اصابات مباشرة ، لقد اعترف البريطانيون الذين تعاملوا معه بأنه كان محاربا من الطراز الأول وأنه كان يشرف بنفسه على عملياته العسكرية وأنه كان يجيد فن الضرب والاختفاء ، وهذا جعل المقاومة تستمر فترة طويلة وأجبر بريطانيا على ارسال المزيد من القوات على أمل انهاء هذا النأثر لكنه صمد وقاوم وناضل ، ولم تستطع بريطانيا - بقياداتها المتعددة وبأسلحتها المتطورة وبرجالها من قوات الحدود وقوات غرب أفريقيا - أن تنال من هذا الزعيم الا بعد أن لجأت لأسلوب الحرق والدمار أى أسلوب الأرض المحروقة التى تقضى على الأخضر واليابس ، وهذا أسلوب لا يتفق مع ما ادعاه الرجل الأبيض من أنه جاء الى القارة حاملا مشعل الحضارة الأوربية .

لقد ظل بيبى بوريه يقاتل ويحارب فى نفس الوقت الذى عرض فيه شروط السلام للحفاظ على وطنه - لكن المستعمر لم يقبل هذما الشرط وطالبه بالاستسلام دون قيود ، فرفض بيبى بوريه وظل يقاوم حتى سقط أسيرا على أرض المعركة وهذه سمة الأبطال الأفارقة الذين قاوموا حتى آخر قطرة من دمائهم .

ان دراسة حياة ونضال بيبى بوريه تجعلنا أمام بطل أفريقى قوى صمد وقاوم وتحدى أقوى دولة فى العالم فى القرن التاسع عشر ومن يفتش فى التاريخ الأفريقى سيجد كثيرين من الزعماء أمثال بيبى بوريه الذين قدموا أرواحهم رخيصة فى سبيل الحفاظ على أوطانهم وعلى حضارتهم الأفريقية وعلى استقلال بلادهم وحريتها .





المصادر والمراجع

اولا - الوثائق الاصلية باللغة الانجليزية

1. Public Record Office (P.R.O.)

C.O. 266 / 437

C.O. 267 / 438

C.O. 267 / 439

2. Sierra Leone Archives (SLA) :

SLA / Governor's Confidential

Despatches to Secretary of state
for colonies (CCDSS).

SLA / Native Affairs Letter Book
(NALB).

SLA / Aborigines Department Minute
Papers (ADMP).

SLA / Governor's Local Letter Book
(GLLB).

SLA / Aborigines Department Letter
Book (ADLEB).

SLA / Executive Council Minutes
(ECM).

3. Parliamentary papers 1899, LX Report on the Insurrection in the Sierra leone protectorate (Chalmers Report) I. II.

4. Hansard 4th Series LVII, 5 May 1898.

ثانيا : مراجع باللغة العربية :

– عبد الله عبد الرازق ابراهيم : المسلمون والاستعمار الأوربي
لأفريقيا ، سلسلة عالم المعرفة – الكويت ١٩٨٩ .

ثالثا – مراجع باللغة الانجليزية :

1. Hargreaves, J.D., : The Establishment of the Sierra Leone Protectorate and the Insurrection of 1898, Cambridge Historical Journal XII (1956).
2. Hirst, E. and Kamara, I.; Benga, London 1958.
3. Fyfe, Christopher; History of Sierra Leone, London 1962.
4. Michael Crowder; West Africa under Colonial Rule, Colonial West Africa. London 1978.

الطعام ، الثقافة ، السكان

(دراسة في أنثروبولوجيا الطعام)

مع أمثلة من أفريقيا

اعداد

دكتور / توفيق الحسينى عبده

بقسم الانثروبولوجيا بالمعهد

مقدمة :

يرجع الفضل الى علماء الانثروبولوجيا الاوائل في لقاء الضوء على مكونات الثقافة السائدة في المجتمعات وايضاح الدور الذي تؤديه كل منها في حياة الشعوب . وقد نال موضوع الطعام وما يتصل به من نظم اجتماعية وعادات وتقالييد عناية كثير من الباحثين الانثروبولوجيين . وبخاصة أولئك الذين تخصصوا في دراسة الانثروبولوجيا الاقتصادية من أمثال مالينوفسكى Malinowski وريموند فيرت R. Firth وهرسكوفيتز Herskovits . و نظرا للاهمية المتزايدة لموضوع الطعام في الوقت الحاضر ، فأن الحاجة ماسة الى انشاء فرع جديد من الانثروبولوجيا يسمى « انثروبولوجيا الطعام » يجمع كل ما يتصل بالطعام سواء أكانت نظم انتاج او استهلاك او توزيع وكذلك يشمل ايضا العادات والتقاليد المتصلة بالطعام ولا سيما ان هذا الموضوع بدأ يجذب باحثين وعلماء من تخصصات اخرى مثل علماء التغذية والبيئة والانثروبولوجيا الطبية . وقد اثمرت كل هذه المحاولات تراكم عدد هائل من الدراسات المتفرقة التي يمكن أن تكون لها قيمة علمية كبيرة لو وجدت المسار العلمى المحدد الذى توجهه مبادئ وأسس نظرية ، تمهيدا لارساء تعميمات مقبولة بناء على دراسات مقارنة لمشكلات الطعام في عدد كبير من المجتمعات . ولا سيما وقد تبين

ان الطعام ليس مجرد عامل اشباع بيولوجى بقدر ما هو عنصر ثقافى مقبول أو غير مقبول تبعا للثقافة السائدة فى هذا المجتمع او ذاك .

ولن يكون للبحث فى مجال « اثربولوجيا الطعام » مجرد فائدة نظرية او اكاديمية فقط ، بل ان مجالاته التطبيقية ستكون اعم واشمل . وستتضح الابعاد الاجتماعية والثقافية لمشكلات الطعام فى الدول النامية - كما هو الحال فى مجتمعات افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية - من خلال تناول التنوع الهائل للعادات والتقاليد والمعتقدات والنظم المتصلة بالامور الغذائية والطعامية عند هذه الشعوب ، ولا سيما بعد تعرض الكثير منها للنقص الشديد فى موارد الطعام التقليدية وذلك نتيجة لظروف وعوامل مختلفة ، واعتمادها على استيراد مواد الطعام من بلدان وثقافات تختلف عنها فى الثقافة والعقيدة والنظم الاجتماعية .

وحتى نتعرف على الجوانب المختلفة لمشكلات الطعام فى الثقافات المختلفة وبخاصة فى قارة افريقيا ، فان هذه الدراسة ستحاول القاء الضوء على بعض هذه الجوانب ، وهى تتألف من ثلاثة فصول وخاتمة ، يتناول الفصل الاول وسائل انتاج الطعام فى البيئات الطبيعية المختلفة واستعراض لانواع النشاطات التى يمارسها السكان لاستخلاص مقومات معيشتهم فى صورة حرف أو انشطة انتاجية متنوعة كالجمع والالتقاط ، والصيد والقنص ، وصيد السمك ، والرعى ثم الزراعة ، اما الفصل الثانى فيناقش الى اى حد ترتبط هذه الانشطة بالتنظيمات الاجتماعية وبخاصة التنظيم القرايى ، وكيف تتخذ المجتمعات ظلما قرايية معينة تتناسب مع طبيعة النشاط القوتى الممارس وكيف توزع ايضا على اعضاء المجتمع ، ويتناول الفصل الثالث استعراضا للعادات والتقاليد والعقائد المتصلة بالطعام لتعرف على مقدار تباينها وتنوعها فى ثقافات الشعوب وظمهم الاجتماعية وتختتم الدراسة بأهم النتائج التى توصلت اليها .

الاطار النظرى :

يعد البحث فى مجال الحاجات البشرية وبخاصة فى ميادين الغذاء والطعام او المآكل كحاجة بشرية لازمة الاشباع ، قديما جدا منذ عصر

فلاسفة اليونان القدماء ، فمن مجمل آراء افلاطون (١) الاقتصادية والسياسية ان الدولة تنشأ اساسا لتقوم بتلبية حاجات بنى الانسان ، اذ لا يوجد فرد يستطيع ان يكفى نفسه بنفسه ، لان حاجات الانسان كثيرة تستلزم عدة اشخاص لكى يمدونا بها ، ثم ينتقل افلاطون بعد ذلك الى مناقشة تقسيم العمل الذى يرى فيه ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية والاخلاقية الكثيرة التى يجنيها المجتمع من سيادة مبدأ تقسيم العمل - وذلك على غرار ما سيفعل دور كايم فيما بعد - فتقسيم العمل ضرورى للانسان من مطالب كثيرة اهمها المأكل والمسكن والملبس .

وقد طور برنسلو مالىنوفسكى الذى يعد ابو الاثربولوجيا الوظيفية دعوة افلاطون للبحث فى الحاجات الانسانية فى شكل نظرية ثقافية وزاد عليها اربع حاجات اخرى .

وتتلخص نظرية الحاجات Needs عند مالىنوفسكى فى ان البشر فى كل مكان عليهم ان يشبعوا سبع حاجات بيولوجية اساسية لكى يعيشوا . وهذه الحاجات السبع هى الحاجة الى الغذاء ، والتناسل ، والراحة ، والامن والحركة ، والنمو ، والصحة . ويوجد فى كل مجتمع فى العالم نوع من الاستجابة الثقافية لكل من هذه الحاجات . . . وتؤدي الاستجابة الثقافية للاحتياجات البيولوجية الاساسية بدورها الى خلق بعض الحاجات الثانوية وهى ثقافية اكثر منها بيولوجية ، وتتميز هى الاخرى بأنها مشتركة بين ابناء البشرية جميعا ، ولتوضيح هذا يمكن ان نقارن بين حاجة الجسم الى الغذاء ، التى تتم مواجعتها ببعض اساليب الحصول على الطعام ، وبين الحاجة الثانوية الى تدريب ابناء ثقافة ما على الاستخدام السليم والارتفاع بهذه الاساليب ومن الواضح ان مثل هذا التدريب ليس اقل ضرورة للوجود الانسانى من عملية الحصول على الطعام نفسه (٢) .

(١) حسن شحاته سقمان - تاريخ الفكر الاجتماعى .

مطبعة دار التأليف - القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٠ .

راجع :

(٢) Beals, R. & Hoijer, H. : An Introduction to Anthropology, Mac Millan Company, N.Y. 1967, P. 723.

ترجمة د. محمد الجوهري - الفصل العاشر - فى كتاب التغير الاجتماعى . دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ ص ٢٦٩ .

وسوف يقتصر هذا البحث على دراسة الحاجة الى الغذاء من خلال نظرية مالينوفسكى المشار اليها ، فكما تبين ان كل الاغذية تخضع لانتقاء ثقافى لاختيار انواع الطعام المرغوبة من بين الموارد المتاحة فى الاقليم او كما يسميها مالينوفسكى انها حاجة ثقافية اكثر منها بيولوجية ، والهدف من هذا هو التعرف على مدى عموميتها فى المجتمعات والثقافات المختلفة وبخاصة الثقافات الافريقية التى تتنوع بشكل يسمح بعقد المقارنات بين الانماط المختلفة من نشاط الانسان فى محاولاته لتأمين مصادر ومقومات حياته ، والى اى مدى تستخدم اساليب الحصول على الطعام وهى ما تعنيه النظرية بالحاجة الثانوية للأفراد .

المنهج المتبع فى الدراسة :

تحدد طبيعة الموضوع نوع المنهج الملائم للدراسة لذلك فسوف تسير الدراسة على اساس المدخل الثقافى الوظيفى Functional Cultural Approach الذى يستلزم ان ينظر الباحث الى العناصر الثقافية فى المجتمع على انها متكاملة ومترابطة . فالطعام كأحد العناصر الثقافية يعد عنصرا ثقافيا له محدداته وصلاته مع العناصر الاخرى ، كما يعتبر ايضا حاجة بيولوجية يسعى الانسان فى كل الثقافات الى اشباعها تبعا لما يتوفر فى البيئة من موارد .

وحيث ان الطعام يرتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة السائدة فى مجتمع ما ، فقد حدد علماء الاثربولوجيا الطبية الفرق بين الغذاء والطعام من منظور ثقافى ، فالطعام كظاهرة ثقافية ليس منتج عضوى يتألف من عناصر بيو كيمياوية يمكن ان تستخدمه كائنات حية بما فيها الانسان للبقاء على قيد الحياة ، انما تحدد الثقافة فى كل مجتمع انساني ما يعد كطعام صالح للاستخدام البشرى وما ليس كذلك . وهنا تحتاج الموارد الغذائية المتاحة فى الاقليم الى موافقة ثقافية حتى تصبح طعاما مقبولا ، كما ان اى مجتمع بشرى مهما كانت درجة تقدمه او بساطته لا يمكن له ان يستهلك

(١) Malinowski, B. : A Scientific Theory of Culture and other Essays, 1944.

(٢) Malinowski, B. : The dynamics of Change, 1945.

الإشارة الى الترجمة العربية .

كطعام كل المصادر الغذائية المتوفرة في البيئة المحيطة • فبسبب المحرمات الدينية او العقائدية او العادات المرعية تستبعد بعض انواع الاغذية من قائمة الطعام • لذلك يتعين التمييز بين « الاغذية » و « الاطعمة » فالغذاء هو مفهوم بيوكيماوى او مادة عضوية تغذى الكائن الذى يستهلكها وتبقى في صحة جيدة ، اما الطعام فهو ثقافى انسانى تحدده معتقداتنا عما يصلح كطعام أو ما لا يصلح من انواع الاغذية المتاحة (١) •

ويصنف العلماء (٢) البيئات الطبيعية التى يمكن ان تكون مجالا لاتاج الطعام الى ثمانية اقسام رئيسية هي :

١ - الاراضى الجافة : (الصحراء) : ويتراوح متوسط المطر السنوى الساقط عليها بين صفر - ١٥ بوصة مع الاختلاف في درجة الحرارة وهى مناطق نادرة النباتات محدودة الحياة الحيوانية ، اما موارد المياه الجوفية ان وجدت فهى موزعة بغير انتظام وتؤثر بشكل مباشر على توزيع الحياة الحيوانية والبشرية ، وتشكل الواحات مناطق الاستقرار الوحيدة ، حيث يوجد شكل بسيط من اشكال زراعة الحدائق والرعى المحدود • وتوفر البيئة الصحراوية مجالا بسيطا للرعاة وجامعى الطعام •

٢ - الغابات الاستوائية المطيرة : وتقع حول خط الاستواء حيث الامطار الغزيرة ودرجة الحرارة المرتفعة مما يؤدي الى نمو غزير للنباتات والاشجار المرتفعة بشكل يعوق احيانا الحياة الحيوانية والبشرية ، والمطر شبه يومى في هذه المناطق ، وليس هناك فصول واضحة للسنة حيث تزهر النباتات على مدار السنة ، ونادرا ما يخترق شعاع الشمس كثافة الاشجار ليصل الى ارض الغابة •

٣ - نباتات البحر المتوسط : وهى المحصورة بين الصحراء والبحر ويفصلها عن الصحراء سلسلة من الجبال حيث تقع في المنطقة المعتدلة ، وتتمتع بأمطار شتوية متوسطة وصيف حار جاف ، مما يساعد على نمو

Foster, George M. & : Medical Anthropology. (١)
Anderson, Barbarag. John Wiley & Sons N.Y. 1978., P. 265.

Hoebel, Adams : MAN, In the Primitive World, MC (٢)
Graw-Hill Books Company, Inc. N.Y. 1958, P. 178.

الاشجار ونباتات المنطقة المعتدلة ، وهى وفيرة ، ورغم انها محدودة المساحة الا انها كافية لامداد نماذج مختلفة من المجتمعات الانسانية بالطعام الكافى .

٤ - نباتات المنطقة المعتدلة : وهى غزيرة المياه دائمة الخضرة والانبات صيفا وشتاء ، ولكن النباتات البرية الصالحة للغذاء الادمى محدوده ويمكن ممارسة البستنه فيها ، ولكن تتطلب كثيرا من العمل لتهيئة الارض للزراعة . ونباتات المنطقة المعتدلة ملائمة لنوع الاستيطان البدائى ، ولقد وفرت الغذاء لانسان الحضارات الاولى منذ فجر التاريخ ، اما فى الوقت الحاضر فقد شهدت المنطقة غزوا هائلا واصبحت مأوى لاکثر من نصف سكان العالم .

٥ - نباتات المنطقة المتجمدة : نباتات هذه المنطقة تمر بشتاء طويل قارس وصيف قصير ، مما يجعل حصول الانسان على الطعام امرا شاقا اللهم الا بعض الصيادين الذين يعيشون على لحوم الحيوانات التى يصيدونها ويتخذون من جلودها ملابس لهم .

٦ - المنطقة القطبية والتندرا : وهى مساحات هائلة من الاراضى المتجمدة او المكسوة بالجليد تنمو عليها أحيانا بعض الشجيرات او الحشائش الفقيرة التى تتغذى عليها الحيوانات القطبية .

٧ - اراضى الحشائش : وهى مناطق البرارى والاستبس ، وهما نموذجين مثاليين للاراضى شبه الجافة التى تتخلل المناطق المعتدلة ، وعندما يقل الارتفاع تنمو على هذه الاراضى الحشائش الاستوائية المعروفة بالسفانا حيث يجود الرعى وتكثر الحيوانات البرية والمستأنسة ، كما هو الحال فى حيوان البيسون فى امريكا ، والانواع العديدة من الحيوانات فى دول شرق افريقيا والسودان ، وهى بيئة مناسبة لسكنى الشعوب البدائية حتى ولو لم تعتمد على استئناس الحيوان ، وهم يعيشون فى جماعات صغيرة كصيادين رحل او كزراع حدائق فى أودية الانهار . اما الرعاة ، فانهم يفضلون هذه البقاع كمصدر دائم ووفير بمواد الطعام

المختلفة ، ومن نماذج سكان هذه المناطق هنود السهول في أمريكا الجنوبية
والماساي في شرق افريقيا •

٨- المناطق الجبلية : فيما عدا المناطق المتجمدة الشمالية والمناطق
القطبية ، فان المناطق الجبلية يسكن افي تمثل مناطق جغرافية متميزة تنمو
عليها نباتات وزراعات المرتفعات ، وقد استطاع الانسان ان يتكيف مع
ظروف الارتفاع ويحصل على طعامه من زراعة المرتفعات ، كما امكن قيام
حضارات وثقافات مختلفة على هذه الجبال والمرتفعات رغم صعوبات
النقل والاتصال والمثل البارز لثقافة الجبال هو قبيلة الانكا Inka
في بيرو •

الفصل الأول

وسائل انتاج الطعام

تعتمد مصادر المعيشة المتاحة للشعوب على ثلاثة عناصر اساسية هي :
البيئة الطبيعية – الثقافة – السكان – فاما البيئة الطبيعية فتعيش على
مواردها بصورة مباشرة ، الشعوب التي تحترف جمع والتقاط الطعام
المكونة من الجذور والدرنات والحبوب والحشرات • أما الشعوب التي
تحترف الزراعة والانبات ورعى الحيوانات ويلبسون في الوقت نفسه بطرق
طهى واعداد الطعام لتكون نافعة ومستساغة فهم يعتمدون بدرجة اقل على
البيئة الطبيعية وهكذا كلما تقدمت وسائل انتاج الطعام قل الاعتماد على
موارد البيئة الطبيعية وتحرر الانسان من قيودها ، وكلما ازدادت معرفة
السكان بالوسائل الثقافية لتوفير الطعام كلما ازداد عددهم وابتعدوا شبح
المجاعة والفاقة عنهم •

ولا تحدد البيئة الطبيعية – لسكان مجتمع ما – بشكل قاطع كما
يذهب الى ذلك انصار الحتمية البيئية نوعية الطعام المنتج كما ونوعا في
كل الاحوال بل انه يمكن ان يتغلب الانسان على صعوبات البيئة ويتكيف
مع الظروف المحيطة به ، وذلك باستخدام الوسائل والطرق الثقافية مثل
استصلاح واستزراع اراضى الصحارى والقفار لتزهر وتخضر وتثمر
الثمار المتنوعة ، وكما فعل الافريقيون بتطهير اراضى الغابات من الحشائش
واحلال المحاصيل والزراعات القومية التي يحتاجون اليها وساعد على
ذلك الالمام بالطرق التقنية في الزراعة •

ان اى شعب مهما كانت درجة تقدمه او تأخره في سلم التطور البشرى
لا يمارس نشاطا اقتصاديا واحدا ، او وسيلة انتاجية بعينها او حرفة دون
غيرها ليستخلص طعامه عن طريقها • لذلك فعندما نستخدم الاصطلاحات
الحرفية او المهنية مثل الجمع والالتقاط ، والصيد والقنص ، وزراعة
الحدائق وزراعة الفأس والزراعة البسيطة والمتقدمة ، والرعى واستئناس
الحيوان ، فان هدفنا هو تسهيل التحليل والمقارنة ، كما ان تصنيف هذه
الفئات من الشعوب أو الثقافات يعنى مجرد وصف الوسائل المعيشية الغالبة

على نشاط سكان هذا المجتمع او غيره فانشطه الانسان متنوعه ، وكثيرا ما يجمع الشعب الواحد - وبخاصة في المجتمعات التقليدية - بين وسيلتين او اكثر من وسائل انتاج الطعام كالزراعة والرعى مثلا . وحتى ما يسمى بالرجل المتحضر في العصر الصناعي الحديث ، فانه يمارس احيانا الفلاحة في حديقة منزله او في مزرعته الخاصة ، ويخرج في نزهة للصيد البري او صيد السمك ، و احيانا اخرى يجمع الثمار البرية ، وقد يحتفظ - بجانب كل هذه المناشط - بقطيع من الحيوانات . وأهم وسائل انتاج الطعام التي تتخذ شكل حرف هـ :

الجمع والالتقاط :

وتعد حرفة الجمع والالتقاط من اولى الحرف التي مارسها الانسان منذ فجر التاريخ الانساني واكثرها بدائية كوسيلة للحصول على الطعام ، وهذا النشاط في ابط اشكاله لا يحتاج الى ادوات او معدات ، مجرد ايدي تلتقط الطعام واذرع تحمله الى الفم مباشرة ، ويسمونها حضارة « من اليد الى الفم » *From hand to mouth* ولازالت هذه الوسيلة تمارس في المجتمعات البدائية البسيطة حتى الآن ، كما هو الحال عند جماعات الاقزام في الغابات الاستوائية ، وقبائل البشمن في صحراء كلهاري بجنوب غرب افريقيا .

ومن الناحية التاريخية فان حرفة الجمع والالتقاط تعد قديمة قدم الانسان نفسه على هذه الارض . ويذكر عالما الانثروبولوجيا "ثقافية بيلز وهويجر ان الانسان كان جامعا للطعام خلال معظم فترات تاريخه ، فمنذ العصر الحجري القديم ، وايضا ما يقرب من ثمانية الى عشرة الاف سنة في العصر الحجري الحديث ، لم يكن اي مجتمع بشري يمارس اي شكل من اشكال انتاج الطعام وانتشر على مساحة واسعة من الارض ، ووضع بذلك الاسس العريضة للحضارة الانسانية . ولقد اعتمد الانسان الاول في غذائه على خليط من الاطعمة تتألف من لحوم الحيوانات وبعض النباتات مثلما تفعل كل الشعوب المتحضرة ، فيما عدا بعض الجماعات او الطوائف التي لديها تحريمات ذات طبيعة دينية أو عقائدية ، وكل الشعوب غير الزراعية لديها ادوات واسلحة كافية للصيد البري والصيد

نسبك ، الا ان مجتمعات جمع الطعام تتشابه في جوانب الثقافة
الآخري (١) .

ويلخص المؤلفان الخصائص العامة المشتركة فيما يلي :

١ - الكثافة السكانية في مجتمعات جمع الطعام قليلة عادة ،
واستثناء من هذه القاعدة يزيد عدد السكان في المجتمعات التي تقع على
شاطئ المحيط الهادى أو السهول العظمى لأمريكا .

٢ - مجتمعات جمع الطعام تكون عادة معزولة ، وغالبا تنتقل
باستمرار أو على فترات من مكان إلى آخر بحثا عن النباتات البرية
والحيوانات ، فهم يميلون إلى أن يكونوا رحلا ، بعكس المجتمعات
المنتجة للطعام فهي أكثر استقرارا .

٣ - جماعات جمع الطعام منظمة بصفة أساسية كجماعات عائلية
مكتفية ذاتيا أو في معظم الأحيان كآسر غير مترابطة ، لذلك فإن فعالية
الضبط الاجتماعى والتفاعل بين أعضائها مبنى إلى التنظيم القرابى أكثر
منه على التنظيم السياسى .

٤ - يوجد جامعو الطعام اليوم في الغالب الأعم في مناطق منعزلة
أو هامشية وقد انتقلوا إلى هذه المناطق تحت ضغط الجماعات المنتجة
للطعام وهي الأقوى والأكبر .

ويجب ألا يظن أن الشعوب الجامعة للطعام أقل منزلة من غيرها .
أو أنها غير قادرة على التفكير بحيث تعجز عن اكتساب ثقافة أكثر
تقدما .

ألا أن الجمع والالتقاط لا يمكن أن يكون هو النشاط الاقتصادى
الوحيد وإن كان هو النشاط الغالب ، فقد يجمع بين جمع الطعام وقليل
من صيد الحيوانات الصغيرة أو الطيور أحيانا يقوم مبدأ تقسيم العمل
بين الجنسين في سد النقص في احتياجات الأسرة الغذائية ، إذ بينما يقوم
الرجال بالتجول بعيدا أو في داخل الغابة لصيد هذه الحيوانات الصغيرة
تقوم النساء بجمع الخضر والثمار الساقطة من الأشجار حول مقر الأسرة

والشكل الغالب لمجتمعات الجمع والالتقاط هو ما يوجد في افريقيا في صحراء كلهارى وغابات الكونغو حيث تنضوي جماعات الجمع والالتقاط تحت حماية او في كنف جماعات زراعية او رعوية حيث تتعاون او تتكامل الجماعتان في توفير الموارد الغذائية .

الصيد والقنص (*) :

اما الشعوب التى تعتمد على الصيد والقنص فى الحصول على طعامها فانها تجمع بين ما تجود به البيئة الطبيعى من ثمار برية ودرنات ويستخدم السكان وسائل وأدوات متنوعة مثل الحراب والشباك وبين وسيلة أكثر تقدما وهى قنص الحيوانات التى تتوفر فى البيئة ، والاسلحة البدائية ، وأحيانا اخرى يلجأون الى استخدام الحراب المسمومة والشراك الخداعية للايقاع بالفريسة والتغلب على سرعتها وقوتها .

ولازالت جماعات البوشمن والهنوتوت فى صحراء كلهارى بجنوب غرب افريقيا وكذلك الاقزام فى الغابات الاستوائية الافريقية تعيش على هذه الحرف البسيطة ويعيش السكان فى جماعات منعزلة بحيث لا يشكل التنظيم الاجتماعى وحدات قرابية كبيرة من حيث عدد الافراد ، ويقابل هذه البساطة فى التنظيم الاجتماعى انماط غاية فى البساطة من الحياة الاقتصادية عند هذه الجماعات ، فالعائلة تعتبر وحدة انتاجية واستهلاكية فى نفس الوقت ، مع قدر قليل من البادل مع الجماعات الاخرى المجاورة . ومع ذلك يوجد نظام لتقسيم العمل بين الجنسين فى وسائل الحصول على الطعام .

فعند البوشمن تجمع المرأة جذور النباتات والدرنات والثمار البرية وتقوم بصيد الحشرات والضفادع والسحالي وتحضر خشب الوقود والماء مستخدمة بيض النعام وامعاء الحيوانات كأوعية لحفظ الماء ، وتخرج

(*) يمكن التفرقة بين الصيد والقنص من حيث الوسيلة التى يتم بها الظفر بالحيوان كفريسة ، فالصيد يتم باستخدام ادوات معينة كالحراب والسهم والاقواس او باى ادوات اخرى ، اما القنص فيتم بدون ادوات ولكن تلعب الحيل والافكار دورا كبيرا فى نجاحه ، حيث يفكر الخاص فى وسيلة للايقاع بفريسته وذلك بحفر حفرة ويفطئها بفروع الاشجار للتبويه او مفاجئة الحيوان بالقفز عليه من اعلى شجرة او نصب الشراك الخداعية او التخفى وغير ذلك من الحيل .

يوميا في جولات قصيرة المسافة حول المسكن ومعها عصا الحفر لتعاونها في التنقيب في الارض الجافة عن اى مادة تصلح كطعام ، اما الرجل فان مهمته الاساسية هي صيد الحيوانات البرية مهما كان نوعها ، ويخرج يوميا بمفرده حاملا رمحه وسهامه المسمومة — وقد يصطحب معه ابنه بهدف التدريب — ويلجأ الى بعض الحيل لاقتناص الفريسة ، كأن يتخفى في جلد نعامه ويمكث بجوار مورد للماء في انتظار قدوم بعض الحيوانات للشرب وبمجرد ان تقترب منه احداها يصبوب اليها سهامه في مقتل ويحملها عائدا الى اسرته (١) .

ويجب ان يؤخذ في الاعتبار درجة تخصص كل جماعة من الجماعات الممارسة لحرفة الصيد والقنص ، فيوجد درجة معينة من التركيز على مصدر بروتينى واحد دون غيره من مصادر البيئة الطبيعية ، مثل صيد الحيوانات البرية في اقليم البوشمن ، وصيد البقر في السهول الغربية الامريكية والرنة البرية في اقاليم آسيا وامريكا الجنوبية والثدييات في القطب الشمالى .

وحيث ان حيوانات الصيد كانت توجد بجانب بعضها البعض ، فقد استلزم ذلك قيام تعاون وثيق بين السكان عند خروجهم للصيد ، وكان هذا التعاون من الامور التى ساعدت على توثيق الروابط بين الجماعات للحصول على الطعام اذ ان كثيرا من الحيوانات الكبيرة الحجم وقطعان الحيوانات لا يمكن ان يصاد عدد كبير منها ، الا اذا خرج عدد من الصيادين معا متعاونين مع بعضهم (٢) .

صيد السمك :

يشكل السمك والمأكولات البحرية الاخرى ، الطعام الرئيسى لدى معظم سكان السواحل والجزر البحرية وبصفة خاصة في مجتمعات اسيا وشمال اوربا والامريكيتين ، والى حد اقل في مجتمعات افريقيا . وتكاد حرفة صيد السمك ان تكون هى العماد الرئيسى لاقتصاديات دول باسرها كاليابان والملايو واندونيسيا والنرويج والدانمرك .

(١) Forde, Daryll : Habitat, Economy, and Society, Methuen & Co. Ltd, London, 1946, P. 28.
(٢) رالف لينتون : شجرة الخضار — الجزء الاول ، ترجمة الدكتور احمد فخرى — مكتبة الانجلو — القاهرة ١٩٥٨ — ص ١٤٧ .

ومن الدراسات الاثربولوجية الرائدة لاقتصاديات حرفة صيد السمك واثرها على البناء الاجتماعى عموما ، هى الدراسة التى قام بها ريموند فيرث (١) R. Firth فى مجتمع الملايو . فقد نبه الازدهان الى الاهتمام بمثل هذه الاقتصاديات القروية لانها تشكل مصدر الرزق الرئيسى لاعداد كبيرة من السكان وتكمن اهميتهم ليس فى مجرد عدد الصيادين الممارسين لهذه الحرفة ، ولكن فى كونهم مساهمين اساسيين فى الاقتصاد الغذائى للمجتمع . فالسمك سواء كان طازجا أو مجفقا أو مدخنا هو الملازم المعتاد للارز فى وجبة القروى فى اغلب اقطار الشرق الاقصى . وفى الملايو يعتمد عليه حتى العامل المهاجر اعتمادا اساسيا ، فما دام اللحم عزيزا أو غالى الثمن - حتى لو وجد - فان السمك يعطى الجزء الرئيسى على القيمة الغذائية من البروتين الحيوانى بالإضافة الى سهولة هضمه - وكتغير عن السمك أو بديلا عنه يؤكد الجمبرى والكابوريا والاطعمة البحرية الاخرى .

وقد حلل فيرث بطريقة بارعة اقتصاديات صيد السمك من منظور اجتماعى ، واطهر ان مفهوم رأس المال لدى الفرد فى المجتمعات التقليدية يختلف عنه فى المفهوم الغربى ، وان احد الاختيارات امام صاحب القارب لاستثمار رأس المال الفائض لديه يمكن ان ينفق على طاقم الصيد دون اى عمل ، وذلك بامدادهم بالطعام اللازم لهم ولاسرهم طوال فترة الكساد الموسمى (فترة توقف الرياح) الى ان يحين موسم صيد السمك .

واذا كانت مجتمعات بأسرها فى قارتى آسيا واوروبا تعيش على السمك كطعام معيشى رئيسى ، بل وتصدر ما يفيض عن إنتاجها السمكى كمنتج نقدى بعد تصنيعه بالتخفيف أو التمليح أو التعليب ، فعكس ذلك نجده فى قارة افريقيا حيث لا يشكل السمك جزءا كبيرا من الطعام الافريقى ، اللهم الا فى مصر وبصفة خاصة فى المحافظات البحرية .

انما تمارس حرفة صيد السمك بسواحل افريقيا على نطاق ضيق ، ولا تتعدى بعض القوارب الصغيرة التى تعمل امام السواحل مباشرة ويستهلك معظمه محليا .

(١) Firth, Raymond : Malaya Fishermen, Their Peasant Economy, Kegan Paul, London 1946, Passim.

اما في الانهار الكبرى كالنيل والكونغو والزمبيزي وايضا في البحيرات العظمى فهناك حركة صيد من الاسماك النهرية على نطاق اوسع ، ولكنها لا تتناسب مع ذلك القدر الهائل من المسطحات المائية . وقد يرجع ذلك الى عدم وجود تقليد حرفي او تخصص مهني من احد الجماعات او القبائل الافريقية ، وقد يرجع ايضا الى عدم استساغة لحم السمك كطعام مقبول او كبديل عن اللحوم التي هي الطعام المفضل لدى معظم الجماعات الافريقية سواء اكانت زراعية ام رعوية ، مما ادى الى الاحجام عن ممارسة حرفة صيد السمك لأنها لا تضيف على من يمارسها مكانة اجتماعية عالية كما هو الحال في الرعي مثلا .

وهناك بعض القبائل القليلة التي تستفيد من صيد النهر ، فقد كانت قبيلة الجوامبي - القاطنة شمال اتحاد جنوب افريقيا - تعيش قرب مورد كبير للسمك ، ولكنها لم تعتن بصيده او بأكله ، ويبدو انها لم توجه اى اهتمام الى استغلال الانهار التي كانت تعيش بحمازاتها ، وذلك بخلاف قبيلة التونجا المجاورة لها التي كان اقتصادها يرتبط بصيد السمك بجانب مناشطها الاقتصادية الاخرى (١) .

الرعي :

تعتبر حرفة الرعي من اهم محاولات الانسان للتحرر النسبي من سيطرة البيئة على موارد الطعام ، اذ يمكن للرعاة ان ينتقلوا بدوابهم من مكان الى مكان اذا اقترت البيئة او افتقرت الى توفير العناصر الغذائية الكافية للانسان والحيوان الذي يرعاه . ومنذ ان استأنس الانسان حيوان الرعي فقد وسع من محيط مجتمعه ، وانتقل الى اقاليم تتوفر فيها الكلا والماء ليكتشف افاقا جديدة ، وادى هذا النمط من النشاط الاقتصادي الى ظهور اشكال جديدة من التنظيمات الاجتماعية تلائم الطبيعة المتميزة للرعي كوسيلة لتأمين موارد الطعام .

وتنقسم مجتمعات الرعاة تبعا لحيوان الرعي الى عدد من الاقسام فهناك جماعات تعيش على رعي الماشية وبصفة خاصة الابقار وتنتشر في

(١) وليم باسكوم ، ملفيل هرسكوفينز : الثقافة الافريقية .
ترجمة عبد الملك الناشف - المكتبة العصرية - بيروت ١٩٦٦ ،
ص ٢٥٣٠ .

آسيا وافريقيا واشهرها القبائل النيلية كالنوير والشيلوك والدنكا ،
والنيلية الحامية في شرق افريقيا كالناندى ، والماساي وغيرها . بينما
تعيش جماعات البدو الرحل في المناطق شبه الصحراوية على رعى الابل
والاغنام كما هو الحال في منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا وفي
المناطق القطبية تعيش جماعات الاسكيمو على رعى الرنة .

لذلك لا تتعدد مصادر الحصول على الطعام في المجتمعات الرعوية
تبعا لنوعية الحيوان فقط ، بل وايضا تبعا لمدى الاستفادة من لحم
الحيوان او لبنه او دهنه او دمه او جلده . فقد تبين ان كل ثقافة تحدد
اجزاء او عناصر معينة من الحيوانات يسمح بتناولها كطعام ، وقد
تستخدم اجزاء اخرى لاغراض غير طعامية ، ولعل ما هو جدير بالذكر ان
المجتمع الصومالى وهو مجتمع رعوى اساسا يربط بين الطعام والمنزلة
الاجتماعية لكل من الرجل والمرأة فيتم تقسيم لحم الحيوان بحيث يقدم
للرجل اجزاء معينة بينما تأكل النساء اجزاء اخرى كالكبدة والامعاء
والارجل والرأس .

وكثير من الشعوب الافريقية تستخدم دهن الحيوان لاغراض التزين
والتجميل ولا تضيفه الى قائمة طعامها . ويلاحظ بان هناك اتجاهات عامة
في المجتمعات الرعوية بانه كلما زادت الثروة الحيوانية في مجتمع ما .
قل الاعتماد على اجزاء من الحيوان كطعام ، وتلعب الثقافة السائدة دورا
كبيرا في تحديد هذه الاجزاء سواء في شكل عقائد ومعتقدات او في
صورة عادات غذائية .

ولعل اشهر مجتمعات الرعى تداوليا في الكتابات الاثربولوجية هي
المنطقة الثقافية المعروفة باسم مركب الماشية (*) Cattle Complex
في شرق افريقيا التى درسها العلامة هرسكوفيتز وبين دور الماشية في
ثقافة القبائل النيلية الحامية التى تسكن هذه المنطقة ، فالماشية وما ينتج

(*) قسم هرسكوفيتز افريقيا الى مناطق ثقافية متميزة (شكل
رقم ١) .

Herskovits, M. : The Human Factor in Changing Africa,
Alfred Knopf, N.Y. 1962, P. 56.

احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى - الجزء الاول - المفاهيم الطبعة
الثالثة الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ ص ١٩٨ .

عنها ليست فقط مجرد مصدر طعامى دائم ، بل هى ايضا رمزا للمكانة الاجتماعية ووسيلة للتضامن الاجتماعى بين الجماعات بالاضافة الى كونها وسيطا للتبادل والتهادى . فعند الناندى فى كينيا يعد اللحم عنصرا هاما فى طعامهم ولكنهم لا يذبحون الماشية للحصول عليه الا فى الضرورة القصوى ، وبجانب ذلك يحصلون على طعامهم من اللبن والدم عن طريق قطع احد شرايين البقرة حتى تسيل كمية الدم اللازمة .

وهناك اسباب كثيرة قد تحمل الناس على رفض الاشياء الجديدة ، نذكر منها على سبيل المثال الحالات التى لا تنسجم فيها الاشياء الجديدة مع العرف القائم والتقاليد الموروثة او الحالات التى لا تناسب فيها هذه الاشياء البيئة الطبيعية ، ومن الامثلة التى توضح هذه الظاهرة قبيلة التوتسى فى رواندا التى تعلق اهمية كبيرة على ثروتها من الماشية ، لقد اقبلت هذه القبيلة على ادخال تعديلات على التقاليد التى كانت تتبعها سابقا فى الاجراءات السياسية ، وفى الغذاء ، والى حد ما فى الزراعة ، ولكنها قاومت بعناد واستنكرت بشدة الاجراءات الادارية التى اتخذت لحملها على تسريح قطعان الماشية او تخفيضها رغم ان مشكلة السكان فى بلادها لا تنشأ فحسب من كثافة الناس بالنسبة للاراضى المتيسرة ، وانما ايضا من كثرة قطعان الماشية وضغطها على الموارد الغذائية المتوافرة وبالتأكيد لا تشكل قبيلة التوتسى حالة استثنائية ، فهناك شعوب اخرى كثيرة فى شرق افريقية ابدت مقاومة للمحاولات التى بذلت لانقاص ثروتها من قطعان الماشية ، ورفضت استخدام الابقار والثيران فى الحراثة ، او ترددت فى بيع الماشية واستعمال ثمنها فى شراء بضائع لا تنتجها بلادها ، ففى التقاليد الافريقية قيم روحية لا يمكن قياسها بمقاييس مادية (١) .

الزراعة :

تعدد اساليب انتاج الطعام نتيجة ممارسة حرفة الزراعة وتظهر تنوعا هائلا بين الزراع اكثر منه بين جامعى الطعام وبين الصيادين على السواء ولا يقتصر هذا التنوع على طبيعة المحاصيل والمصادر الغذائية

(١) وليم باسكوم ، الثقافة الافريقية . المرجع السابق .
ملفيل هرسكوفيتز : ص ٢٠ .

فقط ، بل يمتد ايضا الى استخدام الاساليب الفنية في الانتاج الزراعى وما يرتبط بهذه الاساليب الانتاجية من تنظيم اجتماعى وسياسى اكثر تعقيدا فى طبيعته من الأشكال الاولى للنشاط الاقتصادى ، وبذلك اعتقد العلماء التطوريون فى القرن التاسع عشر ان البشرية قد مرت بمراحل تطورية ، مارس فيها الانسان حرفا عديدة حتى وصل الى مرحلة الزراعة ، التى تعد فى نظرهم من ارقى الحرف واسماها فى سلم التطور البشرى قبل المرحلة الصناعية .

ويميل بعض المفكرين الى تصنيف النشاط الزراعى كنشاط انتاجى تبعا لادوات واساليب الزراعة المستخدمة مثل عصا الحفر وزراعة الفأس وزراعة المحراث ، بل انهم يطلقون على كل اسلوب من هذه الاساليب لفظ « ثقافة أو حضارة » حيث يعتبرون ان استخدام اسلوب زراعى ما هو الا عنصر ثقافى يتفق مع الثقافة الكلية السائدة عند هذا الشعب او تلك القبيلة .

وغالبا يشار الى الزراعة البدائية فى افريقيا بأنها مرتبطة بعصا الحفر ، وهى فى جوهرها زراعة بسيطة متنقلة

Shifting Cultivation

تعتمد على استنفاد القدر القليل من خصوبة التربة التى تستطيع هذه العصا النفاذ اليه بأقل جهد عضلى ممكن وابسط اداة متوفرة . وقد عرفت الزراعة المتنقلة فى انحاء كثيرة من افريقيا معتمدة على مياه الامطار او حول ضفاف الانهار دائمة الفيضان مثل النيل والكونغو ، حيث تفيض المياه المحملة بالطمي الخصيب على جانبي النهر او روافده أو مصباته مكونة طبقة من التربة الخصبة التى تكون هشه بحيث تستطيع عصا الحفر الغوص فيها وتقليبها ، حتى اذا ما استنفدت خصوبتها انتقل المزارع الى قطعة اخرى لزرها بهذه الوسيلة البسيطة . وحيث يوجد تقسيم للعمل بين الجنسين وبخاصة فى المجتمعات الرعوية — كما هو الحال فى شرق افريقيا — حيث يهتم الرجال اهتماما بالغا بتربية الماشية ورعيها . تقوم النساء بهذه الزراعة البسيطة حول المقرات السكنية

وتعرف بزراعة الحدائق او البستنة

Horticulture

وقد لعبت الزراعة المتنقلة دورا هاما في افريقيا في توفير الموارد الغذائية الكافية لافراد المجتمعات التي توجد فيها بسبب وفرة الاراضى الصالحة للزراعة وفرة تزيد عن حاجة السكان ، ولكنها ادت الى كثير من المشكلات السياسية بين القبائل بسبب المنازعات على حيازة الارض ، وعندما جاء المستعمرون الى القارة لم يفهموا هذه الوسيلة من النشاط الزراعى للقبائل الافريقية ، واستولوا على اراضى الوطنيين غير المنزرعة على زعم انها غير مملوكة لاحد (*) .

اما زراعة الفاس Hoe-Culture فهي تعتمد على القوة العضلية للانسان ، وهى فى الاغلب تستخدم لانتاج المحاصيل المعيشية أو القوتية Subsistence Crops ، فى مساحات صغيرة نسبيا تناسب والجهد البشرى المحدود الذى يمكن ان يبسط سيطرته ومقدرته الجسمانية عليه . ويتكون الفاس من نصل حديدية ثقيلة ، ويد خشبية طويلة ولذلك فهى تصل الى اعماق فى التربة السطحية لا تستطيع عصا الحفر الوصول اليه .

اما زراعة المحراث Plough-Culture فهي زراعة الحقول الواسعة التى قد تصل الى عشرات الافدنة ، بل قد تصل الى اكثر من ذلك اذا تعدد المزارعين ، ولذلك فهى تعد من الزراعات المتقدمة التى تتطلب معرفة تكنولوجية ارقى مما هو عليه الحال فى غيرها ، وتتميز ايضا بان لها طابع الاستقرار والكثافة الانتاجية العالية ، كما تستخدم فيها بعض الدواب لجبر المحراث او حمل المحاصيل ، وغالبا تعتمد على مصدر دائم

(*) يختلف مفهوم ملكية الارض فى الثقافة افريقية عنه فى الثقافة الافريقية فبينما ينظر الاوروبى مثلا الى الارض على انها سلعة تباع وتشتري او كما يقولون « سلعة حرة » فان الافريقين لا يتصورون هذه النظرة . فالارض هى ملك الالباء والاجداد ، وكل ما يمكن التنازل عنه مقابل بعض الحقوق هو النباتات او الاشجار التى تكون فوقها ولا تمتد الملكية للارض نفسها كارض . لانها ليست ملكا لفرد بعينه بل هى ملك للعشيرة والقبيلة التى تستغلها جماعيا . لمزيد من التفاصيل عن الصراع بين البيض والافريقين : انظر عبد العزيز كامل - قضية كينيا - المكتبة الثقافية القاهرة ١٩٦١ م .

للمرى وتتميز ايضا بتنوع المحاصيل الزراعية • ويمكن ان تجمع بين الاقتصاد الزراعى المعيشى والنقدى على السواء •

واستطاعت زراعة المحراث كزراعة كثيفة ان تجنب اعدادا كبيرة من السكان ليكونوا مجتمعات قروية متميزة بطابع ريفى يميزهم عن غيرهم ، ووفرت لهم الارض كل الموارد الغذائية والمعيشية بحيث يعمل كل سكان القرية بالزراعة وما يرتبط بها من أنشطة معاونة •

ورغم هذا العدد الوافر من وسائل انتاج الطعام فى البيئات المختلفة فان للانسان دورا كبيرا فى اتخاذ ما يراه طعاما له ، ويدخل فى هذا الاختيار طرق اعداد وطهى الطعام بطريقة مقبولة ومستساعة ، وهو ما يدخل فى العادات الغذائية للشعوب التى هى من صميم الثقافة السائدة فى المجتمع •

فما ينظر اليه كمصدر للطعام فى بيئة او ثقافة معينة قد لا يحظى بهذه النظرة فى ثقافة اخرى • ففى الثقافة الغريبة نجد ان الجندب — وهو نوع من الجراد — لا يمثل مصدرا او موردا — بل يشكل حشرة مؤذية بينما نجده فى ثقافات اخرى يمثل طعاما لذيد المذاق • وهناك ثقافات اخرى تنفر من السمك وطعام البحر ، واخرى تحرم لحم الخنزير (كالثقافات الاسلامية) • وفى البيئات القاسية غير الملائمة تماما كبيئة البوشمن فى صحراء كلفارى بجنوب غرب افريقيا ، والسيريونو فى غابات وادغال السفانا فى شرق بوليفيا نجد أن عملية البحث عن الطعام تتخذ — غالبا — شكلا مستمرا غير منقطع (١) •

وقد يضطر الانسان فى مواقف معينة الى تعديل قائمة طعامه اذا افتقد عنصرا او آخر منها ، كما هو الحال فى حالة الحروب والازمات الاقتصادية فقد يجبر على اكل طعام كان يأثف منه من قبل ، اذا دعت الضرورة لذلك • وقد حدث اثناء الحرب العالمية الاولى ان اتخذت القوات المتحاربة لحوم الخيول والكلاب طعاما لها • اما فى اوقات

(١) محمد الجوهري : الانثروبولوجيا — الطبعة الرابعة • دار المعارف — القاهرة ١٩٨٣ — ص ١٦٥ •

القحط والمجاعة مثل تلك التى حدثت بين شعوب القرن الافريقى وبخاصة اثيوبيا والصومال ، فان الانسان قد يأكل اى شىء يقع تحت يده .

ونستخلص من هذا العرض لوسائل وموارد انتاج الطعام ، الامكانيات العريضة التى تقدمها البيئة فى كل مجتمع لخلق واتاحة الفرصة لقيام حياة اجتماعية يعيش فى ظلها الانسان معتمدا فى غذائه على ما تجود به هذه البيئة من خيرات . وبقدر توفر الظروف الطبيعية فى البيئات المختلفة يتوزع الناس فى جماعات انسانية تتعاون من خلال العلاقات الاجتماعية لاستخلاص مقومات حياتهم بطرق واساليب متعددة . كما يتضح ايضا الدور الذى يقوم به الانسان للتغلب على الظروف المناوئة وكيف نفسه لقبول واستساغة نوع الطعام المتوفر فى البيئة المحيطة . يساعد فى ذلك - كما سنرى فيما بعد - ما يقيمه افراد المجتمع من نظم اجتماعية على المستوى القرابى ، والسياسى والاقتصادى مما يجعل من السيطرة على البيئة وتوفر الطعام وضمان استمراره من الامور الميسورة المنال .

الفصل الثانى

الطعام والقراية

هناك علاقة وثيقة بين نمط انتاج الطعام فى مجتمع ما وبين حجم الاسر فى ذلك المجتمع ، بل ان هذا النمط الانتاجى يتحكم فى تشكيل وتكوين الوحدات القراية الاكبر من الاسرة مثل العائلات بشكلها البسيط والمركب ، والبدنة والعشيرة والقبيلة . ومن اهم وظائف هذه الوحدات المورفولوجية ضمان واستمرار وتوفير الموارد الغذائية لافراد هذه الجماعات القراية ، وذلك عن طريق تحقيق أقصى قدر من التعاون المتبادل بين افرادها او جماعاتها بما يكفل تحقيق هذه الغاية . اى ان الطعام يؤدى الى خلق نسق قرايى يكون ملائما للظروف والاوضاع البيئية والاجتماعية والثقافية السائدة ، بحيث يجعل من السهل على سكان المجتمع استخلاص مقومات حياتهم فى سهولة ويسر .

فالشعوب التى تحترف الجمع والالتقاط او القنص والصيد - على سبيل المثال - يتشكل اعضاء الاسرة فيها من افراد قلائل ينتشرون على رقعة واسعة من الارض ، بحيث يسعى افرادها للحصول على الطعام فى وقت واحد بأقل قدر من التعاون فيما بينهم ، حتى اذا عجز احد الافراد عن توفير الطعام الكافى ، فانه يعتمد على ما جمعه الآخرون من موارد غذائية اى ان النشاط الغالب والجهد المبذول يتم بالفردية ، ولا يلزم لهذه الجماعات البدائية اى اشكال قراية اكبر من الاسرة او العائلة البسيطة ، فلا تنتظم فى عشائر او قبائل كبيرة تربطها صلات او روابط قراية متماسكة ، ولذلك يطلق عليها العلماء لفظ « جماعات » وقلما يمتد توزيع الموارد الغذائية الى ابعد من حدود هذه الوحدات القراية الصغيرة نظرا لعدم استقرارها فى مكان واحد . ولا تشكل هذه الجماعات اى شكل من اشكال التنظيم السياسى المعروف عند القبائل

الكبيرة المستقرة ، ولذلك فهي عرضة لضغط الجماعات الاخرى الاكبر والاقوى مما يضطر هذه الجماعات البدائية الى الانضواء تحت لوائها والعمل تحت حمايتها .

اما في المجتمعات الرعوية والزراعية المستقرة ، او التى تجمع بين هذين النمطين من النشاط الاقتصادى ، فان توفير الطعام وانتاجه بصفة ثابتة ودائمة يؤدى الى تكوين وحدات قرابية اكبر من محيط الاسرة يستلزم وجودها فى هذا النوع من وسائل انتاج الطعام . بحيث نجد اشكال العائلة الاكبر عددا والاكثر تعقيدا مثل العائلة الممتدة والعائلة المركبة وأيضا الاشكال المختلفة للبدنات والعشائر والقبائل التى تؤدى وظائفها الاقتصادية والسياسية والدينية من خلال نظم وابنية اجتماعيه واضحة ، بحيث يمكن تتبع شجرة النسب او الانحدار لاجيال عديدة متعاقبة ، نتيجة لاستمرار واستقرار هذه المجتمعات فترة طويلة من الزمن ووضوح واتساق العلاقات والروابط التى تجمع بينها .

كما ان نمط الانتاج القومى او المعيشى السائد يستلزم تعاون هذه الوحدات القرابية واعتمادها فى العمل والانتاج على اقاربهم للمساعدة فى اعمال الزراعة المختلفة او الرعى الفصلى او المتنقل ، نبعاً لسدج مختلفة من العمل التعاونى الذى يؤدى بطرق تقليدية مألوفة ويتخذ اسماء واشكال مختلفة فى كل مجتمع ، ولا يخرج عن كونه اسلوبا للمساعدة والتعاون المتبادل بحيث يساعد الفرد اقاربه العاصين او اصهاره عندما يحتاجون اليه وفق نظام محكم دقيق .

وأمام هذا التكافل والتعاقد لتأمين موارد الطعام يجذب أفراد المجتمع تقوية علاقاتهم القرابية بمختلف الوسائل ، وبمرور الوقت تتكون المقرات السكنيه والقرى التى قد تتألف من بضع عائلات او عشائر تضم الاف الافراد وتنحدر من سلف واحد مشترك ويمارس كبير العائلة سلطاته القرابية والسياسية على معظم السكان وينظم طرق انتاج وتوزيع الطعام على الاعضاء . واحيانا تشكل القرى من عدة قبائل او عشائر متصاهرة قرايبا ومتحالفة سياسيا تحت سلطة زعيم او رئيس اعلى يتخذ اسم « شيخ » او « كبير » .

ومن امثلة المجتمعات الرعوية التى يلعب الطعام دورا رئيسيا فى تشكيل وتكوين قلمها القراية هو المجتمع الصومالى ، اذ يتصف التنظيم الاجتماعى لقبائل الصومال بالبساطة ، وهو لا يتعدى النمط التقليدى للقراية الدموية وتنقسم كل قبيلة الى عدد من العشائر والبطون التى تنقسم بدورها الى عدد من العائلات والاسر . وهناك تناظر واضح بين التنظيم الاجتماعى للقبائل والاقاليم الرعوية التى تسكنها ، اذ يتوزع العشائر على رقعة واسعة من الارض داخل الحدود القبلية .

ويسود المجتمع الصومالى (*) على عكس كثير من المجتمعات الشرقية نظام الزواج الاكسوجامى Exogamy او الخارجى ، وهو يقضى بان يتزوج الفرد من خارج قبيلته ، حيث لا يفضل افراد المجتمع الزواج بين ابناء وبنات العمومة كما لا يفضل الزواج من داخل القبيلة او العشيرة وهو ما يعرف بالزواج الاندوجامى Endogamy او الداخلى . ويرى الناس هناك ان الزواج الاكسوجامى يحقق عدة وظائف سياسية واقتصادية واجتماعية :

فعلى المستوى السياسى يؤدى التصاهر بين قبيلتين الى تحالفهما ضد الاعداء الخارجيين (بسبب كثرة المنازعات على اراضى المراعى) كما يقلل من احتمالات الصراع والتنازع بين هذين القبيلتين ، وهذا فى حد ذاته يوفر الحماية والامن لافراد العائلات والقبائل ، وبخاصة خلال غياب اعضائها من الرعاة عندما يرحلون بعيدا عن اوطانهم بحثا عن المراعى الخضراء التى تتوفر بها قدر كاف من العشب لطعام ماشيتهم . ومن مجموع القبائل المتصاهرة عن طريق الزواج الاكسوجامى تتكون جهة سياسية متحدة تضم الاف الافراد فى اقليم او منطقة معينة تستطيع

(*) جمعت المادة الاثنوجرافية لمثال الصومال من خلال استبيان لكيفية الحصول على الطعام وطرق اعداده فى المجتمعات البسيطة . وقد طبق من خلال مقابلات فردية وجماعية لافراد من المجتمع الصومالى . واستخلصت قائمة الاسئلة بالرجوع الى كتاب

Focurt, George : Introductory Questions on African Ethnology

انظر : ملحق رقم (١) وبه قائمة بالاسئلة المتعلقة بالطعام انظر ايضا : توفيق الحسينى عبده : البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية ، معهد البحوث والدراسات الافريقية - ندوة القرن الافريقى القاهرة ١٩٨٥ .

ان تقوم بدور فعال في الضبط الاجتماعي ، وهو ما لا تستطيع ان تقوم به عائلة بمفردها .

اما على المستوى الاقتصادي فان التصاهر بين قبيلتين يعد امتدادا للاراضى والمراعى التى يملكها كل منهما . وتبدو اهمية هذه الوظيفة الاجتماعية في البيئات الرعوية اكثر منها في اى بيئة اخرى . ذلك انه اذا حدث جذب أو قحط في منطقة معينة فلا بد ان يرحل سكانها خارج هذه المنطقة الى منطقة اخرى ، فاذا كان الفرد متزوجا من نفس قبيلته فلن يجد انصارا من الاصهار يلجأ اليهم اما اذا كان متزوجا من قبيلة اخرى فانه يجد امامه فرصا افضل للنجاة بقطيع ابله ومواشيه خارج ارض قبيلته التى اصابها الجفاف او قلت بها الامطار او شح فيها الطعام او ندر ، واول الاماكن التى يفكر في الرحيل اليها هى ارض اصهاره وعلى هؤلاء الاصهار ان يستقبلوه وافراد عائلته ، ويكرمونه وفادته والا اعتبر ذلك عارا عليهم .

وعندما يصيب القحط او يقل الطعام او ينفد المخزون عند احد الرعاية فكثيرا ما يرسل زوجته الى اهلها لكى يمدوه بالمساعدة والطعام اللازم ، وهذه عادة متبعة بين افراد القبائل المتصاهرة ، بل ان اصهاره بغضبون منه اذا لجأ الى طلب المعونة او الطعام من سواهم . وهو بدوره يقوم بنفس الدور عندما يطلب منه تقديم المساعدة التى يحتاجها اصهاره . وتعد هذه الوظيفة الاجتماعية في الزواج الاكسوجامى بمثابة تأمين اقتصادى واجتماعى ضد الكوارث والنكبات التى غالبا تصيب هذه المجتمعات الرعوية وتعرضها للمجاعة والقحط بين الحين والآخر .

وعلى المستوى الاجتماعى فان افراد المجتمع الرعوى الصومالى قد نما اليهم الادراك بان الزواج من نفس القبيلة يؤدي الى اضعاف النسل واصابته بكثير من الامراض . وقد لاحظ ذلك بمتابعته المستمرة لقطيع ابله الذى يعتنى به اشد العناية لانه عماد الثروة ويشكل جزءا رئيسيا من طعامه ، لذلك فهو يختار لناقاته عند تلقيحها جملا قويا من قطيع آخر ، وكأنه يطبق مبدأ الزواج الاكسوجامى حتى على الحيوان .

واذا كان نظام الزواج الاكسوجامى هو نمط الزواج المفضل لدى الشعب الصومالى ، فان نمط الزواج الاندوجامى هو النمط المفضل

بين سكان الريف المصرى ، حيث يفضل الشخص الزواج من داخل
وحدته القراية وبخاصة بنات العمومية او الخؤولة المتوازية (*)
Parallel-Cousin Marriage او المتقاطعة Cross-Cousin Marriage
وذلك لتحقيق الوظائف الاجتماعية لهذا الزواج ، ويأتى فى مقدمة هذه
الوظائف ابقاء موارد انتاج الطعام وهى الاراضى الزراعية داخل العائلة
الكبيرة قسما وضمان عدم انتقالها - طبقا لنظام التوريث - الى
جماعات اخرى ، مما قد يخل ببدأ التوازن الاجتماعى والاقتصادى .

هذا بالاضافة الى تعاون وتساند الاقارب العاصيين والمتصاهرين فى
الاعمال الزراعية لانتاج الطعام اللازم لكل افراد العائلة . كما ان المرأة
تعتبر فى ريف مصر عضوا منتجا اكثر منه مستهلكا ولذلك يفضل الاهالى
الاستفادة بجهودها وخدماتها داخل الوحدة القراية ، مما يؤدى فى
نهاية الامر الى زيادة الثروة وتدعيم اقتصاديات العائلة ككل . وتساعد
عملية التنشئة الاجتماعية على تهيئة الفتاة الريفية منذ صغرها للقيام
بهذا الدور الحيوى . ورغم ان المرأة لا تساهم بشكل مباشر فى العمل
الزراعى ، الا انها تقوم باعمال معاونة كحلب الماشية وصناعة منتجات
الالبان وطهو الطعام واعداده للرجال العاملين فى الحقول بالاضافة الى
قيامها بوظائف الامومة الرئيسية وانجاب الاطفال ورعايتهم وتربيتهم
واعدادهم لتولى نفس المهام والمسئوليات التى تحملها الاء والاجداد .

وهكذا تؤدى العلاقات والروابط القراية الى صيانة وزيادة الموارد
الغذائية ، وبلاستخدام الامثل لهذه الموارد يمكن الاستفادة الكاملة
منها كما وكيفا . ولكن بعض المشكلة يعود الى القيود والتحريمات التى

(*) يقصد علماء الانثربولوجيا بالزواج بين ابناء وبنات العمومة
والخؤولة المتوازية ، ان يتزوج الفرد ابنة عمه من ناحية او ابنة خالته
من ناحية اخرى ، اما الزواج بين ابناء العمومة والخؤولة المتقاطعة فيعنى
ان يتزوج الفرد ابنة عمته من ناحية او ابنة خاله من ناحية اخرى .
انظر : احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى - الجزء الثانى - الانساق -
القاهرة ١٩٦٧ م ، ص ١٤٤ .

يقيمها الانسان نفسه في الثقافات المتنوعة تجاه نوع أو آخر من انواع
الاطعمة المتاحة .

كما يرجع ايضا الى المعتقدات الكثيرة السائدة عن العلاقة بين
الطعام والصحة ، وكذلك عن العلاقة بين الطعام وكثير من العقائد
وانشعائر والعادات ، والتي تحرم الناس من الاستفادة الكاملة من
الطعام المتاح لديهم . وعلى ذلك يمكن القول بأن اسباب مشكلات سوء
التغذية او النقص في مواد الطعام ترجع الى اسباب ثقافية من ناحية او
الى عدم الاستخدام الامثل للموارد المتاحة من ناحية ثانية .

كما ان التفاضلات الشخصية تقلل بلا شك من تشكيلة الاطعمة التي
يستهلكها الفرد . مادام كل منا لا يقبل على كل الاطعمة التي تسمح
بتناولها الثقافة السائدة . وقد وجد ان للخبرات الطفولية دخل كبير في
تحديد نوعية الطعام الذي نستسيغه ، فالطعام الذي تتناوله في طفولتنا
يستمر في جذبنا اليه عندما نكبر ، بينما الطعام الذي نعرفه في كبرنا
أكثر عرضة للتغير ، ومع ان الناس تفرح عند تناول اطعمة جديدة ، فان
سعادتها تتضاعف عندما تقدم اليها الوجبات المألوفة لديها (١) .

وتسهم عملية التنشئة الاجتماعية في الثقافات المختلفة في تأكيد
العلاقة بين الطعام وبين الحقوق والواجبات تجاه الاقارب . فعند قبيلة
البمبا Bemba التي تعيش بروديسيا الشمالية في بيئة فقيرة الموارد
محدودة الخيرات ، يجب على الشخص ان يساعد خاله بتقديم بعض
الاطعمة اليه ، فاذا تقاعس اعتبر ذلك من قبيل نكران الجميل ، لان
الخال في المجتمعات الامومية Matrilineal مثل البمبا بمثابة الاب
في المجتمعات الابوية النسب Patrilineal وتقع عليه التزامات تجاه
ابناء اخته وعليهم ايضا أن يقوموا بواجبهم نحوه عندما يحتاج الى
المساعدة . وفي مثل تلك المجتمعات الفقيرة تقاس المنزلة الاجتماعية

(١) Foster & Anderson : Medical Anthropology, Op. Cit. P. 263.

للشخص بمقدار ما يعطى وليس بقدر ما يأخذ ، كما يتفاخر الزعيم ليس بعدد اتباعه ولكن بكمية الطعام التى تسلمها وبمقدار ما دفعه منها على هؤلاء الاتباع . وتتحدد المراكز الاجتماعية للأفراد بمدى استضافتهم لعدد كبير من الافراد وليس بأن يكونوا هم ضيوفا على غيرهم ، وينشأ الاطفال منذ نعومة اظفارهم على ان يشركوا رفاقهم فى الطعام . وعادة تقول الام لطفلها « خذ هذه الفاكهة ووزع بعضها منها على اطفال الاقارب ، الذين يلعبون معك » ولذلك يتعلم الطفل ان هناك اقارب لهم الحق فى مشاركته الطعام ، وهذه المشاركة هى التزام اخلاقى تجاه غيره من الاطفال (١) .

وقد يتجاوز دور الطعام حدود النطاق القرابى المحدود ليشمل نطاقا اوسع يضم الجماعات العرقية nic او السلافية racial التى تعيش داخل ثقافة معينة او مجتمع او دولة ، وهنا يرتبط الطعام بالقومية فيما يسمى « الوجبات او الاطباق الوطنية (*) National dish » كنوع من التعبير عن تماسك الجماعة وقوة الروابط التى تربط بين افرادها والتفافها حول موائد مأكولاتها الوطنية والمفضلة لديها ، وبخاصة عندما تقام هذه المآدب القومية فى بلاد اجنبية مما يثير مختلف الاحاسيس والمشاعر تجاه الوطن والالتقاء اليه . ورغم ان المواد الخام الداخلة فى تكوين هذه الوجبات توجد فى كل مجتمع تقريبا ، الا ان طريقة اعدادها وطهوها تأخذ هذا الطابع القومى .

ويؤدى اغفال العلاقة بين الشعوب او الجماعات العرقية وبين الاطعمة المفضلة لديها الى مشكلات وصعوبات تتطلب دراسة مستفيضة للنظام الغذائى عند هذه الجماعات .

(١) Gluckman, Max : How The Bemba make their Livings (١)
in Hoebel «ed» (Reading in Anthropology).
McGraw-Hill Books Co., N.Y. 1955. P. 173.

(*) اربطت اطعمة وماكولات معينة ببعض الاقطار مثل : الكباب المصرى ، والبيتزا الايطالى ، والجبنه الهولندى ، والكافيار الروسى والكبيبة الشامى ، والكسكى المغربى . وايضا بعض المشروبات .

فقد صادف المشرفون على مشروع الزاندى فى جنوب السودان صعوبات شتى عند محاولتهم تقديم وجبة غذائية للعاملين فى المشروع كوسيلة لتحسين ظروف العمل ، فقد رفضها العمال وآثروا ان يعطوا نقودا يشترون بها ما يريدون ، ومع ان هذا الطعام يقدم لهم كأجر نوعى ، وكانت فرصة فهمه والاستجابة له واسعة ، الا ان هناك ظروفًا جانبية أدت الى عدم الاقبال عليه ، ومنها نوع الطعام نفسه الذى لاحظ القائمون على المشروع ان يكون صحيا ، فنوعه وطريقة اعداده قد تختلف قليلا أو كثيرا عن طعامهم التقليدى (١) .

(١) فاروق العادلى : الانثربولوجيا الاقتصادية - سجل العرب
القاهرة ١٩٨٣ - ص ٢٢٥ .

الفصل الثالث

العادات والتقاليد والنظم

يلعب الطعام دورا رئيسيا في تمييط وتشكيل سلوك وتصرفات افراد الجماعات الانسانية في الثقافات المختلفة . وتأخذ هذه الانماط السلوكية احيانا شكل العادة Custom التي يمارسها السكان بطريقة تلقائية كنوع من السلوك الجمعي المألوف دون معرفة مصدرها ، او ادراك للاسس والمبادئ التي قامت عليها . و احيانا اخرى تتخذ هذه الانماط شكل التقاليد Tradition التي يتوارثها الخلف عن السلف وتدخل في صميم الثقافة السائدة وتعد من مكونات الميراث الثقافي العام للشعوب والامم ، ويمارسها سكان المجتمع كنوع من الشعور بالانتماء القومي او الالتزام الخلقي ، فاذا اتصلت هذه الانماط السلوكية الطعامية بمفهوم ديني او عقائدي اصبحت تمارس كنوع من الشعائر الدينية او العقائد Beliefs التي يحترمها السكان ويقدمونها كنوع من الالتزام الديني او العقائدي .

ولتوضيح هذه المفاهيم الثقافية والاجتماعية في صلتها بالطعام يمكن القول انه من الممكن ان يتخلص الناس من عادات غذائية معينة اذا تبين انها ضارة ، او غير مفيدة مثل تناول وجبات في غير مواعيد معينة ، او عادة الخروج من المنزل صباحا دون تناول طعام الافطار وهكذا .

اما التقاليد فليس من السهل تغييرها او التخلص منها الا اذا غير الانسان قيمه وتحول عن ثقافته التي تربى فيها الى ثقافة اخرى مغايرة لها تقاليد مختلفة . فمن التقاليد العربية المشهورة حسن استقبال الضيوف وكرم وفادتهم ، لدرجة ان « كرم الضيافة » من التقاليد العربية الراسخة التي يتوقعها كل من هو غريب عن الثقافة العربية .

ومن العقائد الثابتة المتصلة بالطعام عند المسلمين اطعام الفقراء والمساكين لدرجة ان طعام ستين مسكينا طعاما مشبعا بنص القرآن الكريم

يحل محل فريضة الصوم لغير القادرين عليه • ويمارس المسيحيون عقائد متعددة متصلة بالطعام ومنها — على سبيل المثال — غذاء الاعداء الذي يقام بعد الانتهاء من الخدمات الكنسية ويجمع اعضاء العائلة •

ونلاحظ ايضا في قارة افريقيا عادات وتقاليدها مشابهة فكثير من الشعوب الافريقية تتقرب الى ارواح الاسلاف بتقديم الهدايا والقرايين التي تشمل انواع مختلفة من الاطعمة واحيانا تذبح الاضحية من الماشية او الحيوانات الاخرى على اضحية الالهة تقربا واسترضاء لها • وقد وجد ان احد وظائف نظام تعدد الزوجات في ارجاء القارة المختلفة هو القيام بأعباء طهو الطعام اللازم لضيوف الزوج الذين قد يفدون بكثرة بحيث لا تستطيع زوجة واحدة القيام بعبء تجهيز الطعام واعداده وطهوه •

وذكر جومو كينيا (١) J Kenyatta في وصفه للشعائر الدينية عند قبيلة الكيكويو وهي قبيلته ان هذه الشعائر تصاحب عملية انتاج الطعام منذ بدايتها حتى نهايتها • فقبل هطول الامطار تذبح الاضحية للالهة ، ويقول ان كل احتفال حضره هو شخصا لانزال المطر قد اعقبه هطول الامطار • هناك أيضا احتفال بدء الزراعة ، فعندما تسقط الامطار يقوم مجلس الكبار بأداء طقوس معينة لمباركة البذور لانتاج محاصيل اوفر ويعقب ذلك احتفالات تطهير المحاصيل لمدة ثلاثة اشهر ، واخيرا تأتي احتفالات الحصاد عندما يبدأ جمع المحصول حيث تقدم اضحية للالهة على منحة الكريمة من الامطار •

ومن اهم مظاهر السلوك الانساني التي تمنع الاستفادة الكاملة من الاغذية المتاحة في الاقليم سواء اكانت في صورة حيوانات أو نباتات هي تلك الشعائر التوتمية Totem الواسعة الانتشار بين عشائر المجتمعات الافريقية وغيرها من المجتمعات البدائية في استراليا وامريكا الشمالية وغيرها • والتي تحرم على جميع افراد العشيرة ان يمسوا بسوء نوع هذا التوتم كما يحرم صيده او اكله •

Kenvatta, J. : Facing Mount Kenya, Vitage Books, N.Y., (١)
1965, P. 235 f.

ويعد الامتناع عن تناول اطعمة حيوانية او نباتية معينة من مظاهر
توحد العشيرة التوتمية وتميزها من غيرها من العشائر ، ويؤدي هذا
السلوك الى قيام علاقة قرابة اجتماعية بين افراد التوتم الواحد لاعتقادهم
انهم ينحدرون من سلف واحد مشترك (١) .

ويقصد بالتوتم الحيوانى او النباتى الفصيلة العامة التى ينتمى اليها
الحيوان او النبات ، ويعتقد افراد العشيرة انهم وافراد هذا التوتم
ينتمون الى وحدة اجتماعية او ما يشبه الاسرة الواحدة ويتخذون من
اسمه رمزا لهم ولقبا لجميع افرادها وينزلونه منزلة التقديس والاحترام .
ويستثنى من هذه القواعد بعض حالات حددتها التقاليد ومنها انه يباح
لافراد العشيرة ان يتناولوا طعاما من توتمهم فى بعض المناسبات الدينية ،
او اذا لم يجدوا امامهم طعاما آخر ، او اذا كانت الحياة لا تتم بدونه
كما هو الحال فى توتم الماء ، او فى حالة الدفاع النفسى (٢) .

وفى كل تلك الحالات يجب الا يقوم الشخص بذبح او قلع النبات
الذى ينتمى الى عشيرته بنفسه ، بل يتولى فرد آخر من توتم مغاير القيام
بهذا العمل (*) .

وحيث ان نمط الزواج المفضل عند العشائر التوتمية هو الزواج
الخارجى فلا بد ان يتزوج الفرد من عشيرة مختلفة عن عشيرته ولها توتم
آخر ، وفى هذه الحالة تمتد مظاهر التحريم الطعامى لتشمل توتم الزوج

(١) Levi-Strauss, Claude : Totemism, translated by Rodney
Needham, Pelican Books, Oxford, 1968, P. 110.

(٢) على عبد الواحد وافي : الطوطمية : اشهر الديانات البدائية .
دار المعارف القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٤ .

(*) شاع الاعتقاد فى الكتاب الانثروبولوجية الاولى بان احترام التوتم
ومظاهر تقديسه تعنى ان التوعية هى نوع من العبادة البدائية والحقيقة
هى غير ذلك . فعلاقة العشائر بتوتمهم هى علاقة قرابة اجتماعية فقط
وللتوتم ابعادا اجتماعية متصلة بالطعام اكثر بعدا عن مجرد توتم العشيرة
التي ينتمى اليها الشخص ، فهناك ايضا توتم الاتحاد العام للعشائر التي
يعتقد انها تنحدر منه ، وعلى الفرد ان يطبق قواعد التحريم على توتم
الاتحاد بنفس درجة التحريم التي يطبقها على توتمه .

لزيد من التفصيل حول هذا الموضوع راجع على عبد الواحد وافي -
مرجع سابق .

وتوتم الزوجه مما قد يحرم الاسرة من نوعين - على الاقل - من الطعام الحيوانى او النباتى .

ولقد اشار هاومان Howman بوجود هذه الظاهرة عند حديثه عن نظام الطعام عند العمال الافارقة فى روديسيا . وكيف ان الرجل يختار اطعمة معينة من جملة الطعام المتوفر فى البيئة . ويحكم هذا الاختيار قواعد دينية وسحرية متعلقة بالمحرّمات Taboo رافضا ما عداها لارتباطها ببعض الافكار التى هى اقوى من اى ضرورة اقتصادية . فكل نظم الاطعام تخضع منذ الطفولة لقواعد وطقوس معينة وتستمر هكذا حتى الكبر . ويضيف قائلا : ان التأثير الثقافى يبدو واضحا وعميقا ويشكل المشاعر الوطنية نحو الطعام . لذلك فان انماط الطعام فى العالم تحكمها الثقافة السائدة عند شعب من الشعوب ، والمناخ الذى توجد فيه والمناشط التى يقومون بها وكذلك القيم الاجتماعية المتعارف عليها (١) .

واذا كانت المعتقدات الدينية والشعائرية المتصلة بالطعام تبدو على هذه الصورة العميقة فى نفوس الافراد والجماعات الافريقية وغيرها من الثقافات المختلفة ، والتى تبدو مظاهرها واضحة فى مختلف انواع السلوك الانسانى والتى يتمسك بها الناس فى مختلف المواقف الاجتماعية كتعبير عن ارتباطهم بالثقافة التى ينتمون اليها . فان العادات الطعامة تبدو اكثر تنوعا واختلافا فى مقارنتها بأنواع السلوك الانسانى لدى الشعوب المختلفة .

فجماعات الاسكيمو التى تعيش فى القارة القطبية تكاد تقتصر فى غذائها على اللحوم والاسماك وحدها على خلاف كثير من الشعوب الهندية المكسيكية التى يقوم غذاؤها فى معظمه على الحبوب والخضروات ، وكذلك نجد ان اللبن ومنتجاته يعتبر غذاء فاخرا عند شعب الباجندا فى شرق افريقيا ، فى الوقت الذى تضعها فيه شعوب غرب افريقيا فى مرتبة ادنى من ذلك بكثير وتستخدم كثير من قبائل الهنود الحمر الامريكية الاسماك فى غذائها ، فى حين تتفرز منها شعوب النافا هو

Howman, R. : Native Affairs, In Micheal Gelfand, (Diet (١) and Tradition in an African Culture, E & S Livingston, London, 1971, P. 5.

هو والاباتشي التي تعيش في نيو مكسيكو وتعتبرها غير صالحة لغذاء الانسان . وهناك كثير من الشعوب التي تأكل لحم الكلاب (بل اننا نجد ان بعض قبائل الهنود المكسيكيين تربى نوعا خاصا من الكلاب لاكله ، في الوقت الذي نجد فيه كثير من الشعوب الاخرى - مثلنا نحن - التي تتقزز من فكرة أكل لحم الكلاب (١) .

ثم ان التباين لا يقتصر على أنواع المواد الغذائية وانما يمتد الى طريقة الربط بين أنواع مختلفة من الاطعمة ، غاليهود المتدينون لا يجمعون بين اللحوم ومنتجات الالبان في وجبة واحدة ، ولكنهم يمكن ان يتناولوا الصنفين منفصلين احدهما عن الآخر ، ويمكن ان نجد عادة مماثلة عند شعب الاسكيمو يتحتم بمقتضاها فصل الاغذية البحرية فصلا تاما عن الاغذية المأخوذة من الحيوانات البرية ، بل انهم يقدمون هذه الاصناف في اوان مستقلة (٢) .

ومن انماط السلوك الانساني المتصلة بالطعام ، تلك التصرفات الهادفة الى توثيق العلاقات الاجتماعية القائمة فعلا او تأسيس علاقات جديدة بين الافراد او الجماعات . ففى كل المجتمعات البشرية ان تقدم الطعام (وأحيانا الشراب) فانت تقدم الحب والمودة والصداقة . كما ان قبول الطعام المفضل هو اعتراف بابداء المشاعر الطيبة وتبادلها تجاه الآخرين . اما الامتناع والاحجام عن تقديم الطعام في المواقف التي يتوقع ان يقدم فيها فهو تعبير عن الغضب والكراهية والعداوة . وبالتالي فان رفض الطعام المرغوب يعتبر بمثابة رفض لعروض الحب والصداقة تجاه الشخص الذي يقدم الطعام . ويشعر الناس بالامن حين يأكلون مع الاصدقاء والمقربين ، وفي معظم المجتمعات تقام الولائم الخاصة والعامة للتعبير الرمزي عن هذه المشاعر الودية . وعادة لا تشارك اعداءنا الطعام ، واذا حدث هذا في المناسبات القليلة فان مجرد تناول الطعام مما يجعلنا نطرح خلافتنا جانبا (٣) .

وعندما يتعاضد دور الطعام في حياة الشعوب يأخذ شكل النظم الاجتماعية المقررة ، ويدخل بذلك في نطاق البناء الاجتماعى للشعب او

(١) محمد الجوهرى : الانثربولوجيا - مرجع سابق ص ٥٩ .

(٢) نفس المرجع ص ٦٠ .

Foster & Anderson : Op. Cit , P. 368.

(٣)

القبيلة التي تمارسه ، ويكون له في هذه الحالة اكثر من وظيفة اجتماعية بجانب وظيفته في توفير الموارد الغذائية وتأمينها لاعضاء المجتمع .
ويحسن ان نضرب مثالين في قارة افريقيا يوضحان كيفية عمل هذه النظم ، أولهما من مجتمعات رعوية والثاني من مجتمعات زراعية .

(١) نظام الوديعة :

وهو نظام اقتصادي اساسا له عدة وظائف اجتماعية وسياسية هامة ويسود هذا النظام في مجتمعات شرق افريقيا وتمارسه قبائل الناندي Nandi والباكوت Pakot والكبسيجسي Kipsigis على نطاق واسع وقد اطلق عليه منتجفورد نظام الكابتيش Kaptish

وبمقتضى هذا النظام يودع الشخص - كأمانة دائمة - عددا من مواشيه عند بعض الاصدقاء او الجيران في اماكن مختلفة ومتباعدة ، ويحصل من وقت لآخر على ناتج هذه الوديعة في صورة عجل صغير او احد الهدايا من الحبوب او الماعز او الاغنام من المودع لديه . وعادة تصل ايداعات الشخص الواحد الى ثلاثة او اربعة .

وباتباع هذا النظام يحقق الفرد ثلاثة اهداف اقتصادية :

١ - فهو يضمن موردا غذائيا دائما بصورة منتظمة من هؤلاء الاصدقاء يؤمن له ولاسرته احتياجاته الغذائية بصفة مستمرة دون بذل اي جهد .

٢ - يضمن عدم تعرض ثروته من الماشية للفناء في حالة اصابة منطقته بخطر الفيضان او الجذب او انتشار الامراض الوبائية وايضا خطر غارات القبائل الاخرى على الماشية .

٣ - تنوع طعامه قلير ما يحصل عليه من مواد غذائية مختلفة تأتي من اصدقائه العديدين الذين يقطنون مناطق بعيدة .

هذا بجانب الاهداف الاجتماعية والسياسية التي يحققها هذا النظام لانه يقوى من العلاقات الاجتماعية للأشخاص المتعاونين في نظام الوديعة ، وبقدر اتساع نطاق هؤلاء الاصدقاء تزيد المزايا المتحصلة ، وفي احيان كثيرة يتعاون هؤلاء الافراد في مجالات اخرى عديدة عندما

تتم الزيارات المتبادلة عند اداء ريع الوديعة . اما من الناحية السياسية يؤدي النظام الى تقوية وسائل الضبط الاجتماعى داخل هذه المجموعة . اذ ان الاعتداء او الاغارة على ماشية فرد منها يعتبر اعتداء على جميع المشتركين فيه ، وهو امر يستلزم ان يهب الجميع للدفاع عن المعتدى عليه واعادة الماشية الى حائزها . لذلك فان دخول الفرد فى زمرة نظام الوديعة كفيل بمنع الآخرين من الاعتداء عليه او سلب ماشيته .

ويبدو حرص الناس على الاستمرار فى نظام الوديعة فى مظاهر الترحيب والاحتفاء باصدقاء النظام وتجديد وديعتهم واكتساب اصدقاء جدد كلما امكن ذلك (*) .

(ب) نظام الزمالة :

وهو نظام اقتصادى زراعى يتضمن وظائف اجتماعية عديدة . ويوجد هذا النظام فى الريف المصرى وله ظاير فى المجتمعات الافريقية وان كان يأخذ اسمااء مختلفة فهو يسمى نظام « الحليفة » فى كل من السودان والصومال . ويقوم فى اساسه على تعاون عدد من المزارعين فى انتاج الطعام من الاراضى الزراعية التى يملكونها ، ويضم فريق الزمالة بين ١٥ الى ٢٠ مزارعا . و نظرا لتعدد مراحل الانتاج الزراعى فى المواسم المختلفة ، فان المزارع الواحد لا يستطيع القيام بأعباء العمل الزراعى

(*) ومما هو جدير بالذكر ان هذا النظام ادى فى مجتمع الباكوت الى زيادة هائلة فى الثروة الحيوانية وتوفير الطعام فى المجتمع بشكل جعل السلطات الاستعمارية تعتمد الى تقليل اعداد الماشية بالقوة بحجة قلة المراعى وصدرت تشريعات لتفيد هذه السياسة ، وفى عام ١٩٥٢ اجرى احصاء للثروة الحيوانية تبين ان هناك ما يربو على ١١٠.٠٠٠ رأس من الابقار ، وعدد مماثل من الماعز وحوالى ٣٧.٠٠٠ رأس من الخراف . فى حين ان عدد السكان لا يزيد عن ٤٠ الفا وفشلت الحكومة فى اقناع الاهالى ببيع الماشية للاجانب عن طريق التصدير . ويعود ذلك الى ان التصدير يحرمهم من المنافع المترتبة على الالتزامات الاجتماعية الموجودة فى نظام الوديعة .

انظر : ملفيل هرسكوفيز ، وليم ساسكوم : الثقافة الافريقية مرجع سابق ص ٣١٤ .

كلها ، كما انه لا يملك كل المعدات والادوات الزراعية اللازمة لانجاز العمل المطلوب لذلك تتفق مجموعة من المزارعين - قد لا ينتمون الى وحدة قرابية - على الدخول في نظام للزمالة فيما بينهم بحيث يعملون سويا في حقل احدهم احد الايام ثم ينتقلون الى حقل زميل آخر وهكذا فعند القيام بعمل زراعى ما مثل بذر البذور او حصد المحصول يتفق مع العدد اللازم له من زملائه للارتباط معه على العمل في اليوم المحدد (١) (٢) .

وبذلك يتوفر للمزارع قوة عاملة من عدة رجال لا يدفع لها اجرا : كما يلزم النظام الافراد المشتركين فيه على تبادل الادوات والمعدات الزراعية ليكمل بعضهم بعضا . وله ايضا ان يستعير من اى زميل احد الدواب او احد قطعان الماشية ، ويحدد العرف السائد بين الزملاء طرق استخدام المستلزمات الزراعية المعارة بشكل لا يترتب عليه اى اضرار او خسائر لمالكها الاصلى .

ويترتب على الدخول في نظام الزمالة علاقات اجتماعية اوسع بالاضافة الى تقوية العلاقات المتبادلة القائمة بالفعل .

(١) احمد ابو زيد : البناء الاجتماعى - الانساق - مرجع سابق .

(٢) Huntingford, G.W.B. : Nandi Work and Culture, L.

1950.

خاتمة

كانت دراستنا لموضوع الطعام في ثقافات مختلفة وبين سكان مناطق متباينة ، هي محاولة للتعرف على الابعاد المختلفة لاشباع حاجة بشرية ضرورية ولازمة لبقاء الانسان . وقد تبين ان الاستجابة الثقافية للطعام كحاجة بيولوجية - كما يقول مالينوفسكى في نظريته عن الحاجات - قد أدت الى بعض الحاجات الثانوية . وعلى ضوء المعطيات النظرية التي اتخذت كإطار للدراسة . وبدراسة الانماط المتنوعة لنشاط الانسان في قارة افريقيا وغيرها في محاولته لتأمين مصادر طعامه بشتى الطرق والاساليب ، فقد خلصت الدراسة الى النتائج والتعميمات الآتية :

١ - أصبح البحث في اثربولوجيا الطعام يشكل أهمية متزايدة في الوقت الحاضر ، فبالإضافة الى الاهداف النظرية والتطبيقية لهذا الفرع الجديد من الاثربولوجيا ، فانه يفتح المجال لدراسة العديد من الموضوعات التي تهم شعوب الدول النامية ، وبخاصة بعد حدوث النقص الشديد في الموارد الغذائية نتيجة الجفاف في بعض اقاليم افريقيا . كما ان تحول بعض المجتمعات التقليدية من زراعة المحاصيل المعيشية الى زراعة المحاصيل النقدية يؤدي الى تفاقم مشكلة الطعام .

٢ - تعد الحاجة الى الطعام في كل المجتمعات البشرية من اولى الحاجات التي تتطلب الاشباع ، وهي بذلك تفوق الحاجة الى الملبس والسكن وغيرها . ويتخذ السكان في كل مجتمع كافة الوسائل والطرق التي تمكنهم من الحصول على موارد للطعام بقدر ما يتوفر في البيئة من مواد وامكانيات ، ولذلك تتفق الدراسة مع نظرية مالينوفسكى في ان الحاجة الى الطعام هي خاصية مشتركة بين ابناء البشر جميعا .

٣ - تختلف الحاجات الثانوية التي هي ثقافية اكثر منها بيولوجية بين مجتمع لآخر ، وان طرق اشباعها تخضع لمؤثرات ثقافية تحددتها القيم السائدة في المجتمع ، ويدخل ضمن هذه المؤثرات ما يتوفر لدى سكان

المجتمع من معرفة تكنولوجية تمكنهم من استخدام وسائل انتاج الطعام بكفاءة ومقدرة ، ولعل هذا هو ما أشار اليه مالمينوفسكى بتدريب ابناء ثقافة معينة على الاستخدام السليم والارتفاع بهذه الاساليب .

٤ - هناك ارتباط وظيفى بين نمط الانتاج الطعامى وبين بعض النظم الاجتماعية كالنظم القرايية والسياسية ، فتتخذ المجتمعات من هذه النظم ما يتناسب ونشاطها الاقتصادى فتكوين العائلة وعلاقاتها القرايية وأنماط الزواج المفضلة لديها تتوافق مع وسيلتها فى انتاج الطعام وتوزيعه واستهلاكه بحيث يختلف تكوين العائلة فى مجتمعات الجمع والالتقاط عنها فى مجتمعات الصيد او الرعى او الزراعة .

٥ - تحتاج الموارد الغذائية المتاحة فى الاقليم الى قبول ثقافى حتى تصبح طعاما مقبولا ومستساغا من سكان المجتمع ، ولذلك لا يستهلك السكان كل مواردهم الغذائية بسبب بعض الانماط السلوكية التى تتخذ شكل العادات المرعية أو التقاليد المتوارثة أو الشعائر والعقائد السائدة . ولذلك فالطعام مفهوم ثقافى انسانى أكثر منه مادة عضوية مغذية .

ملحق رقم (١)

اسئلة واستفسارات عن الطعام (*)

(١) انواع الطعام المختلفة

١ - الاطعمة الاساسية : خضروات - لحوم حيوان .. الخ (اذكر قائمة بالاطعمة المعتادة لمعظم السكان ، وبين مدى انتشارها • يفضل ذكر الاسماء الوطنية ، وتحديد النسب المعتادة بين اطعمة اللحوم أو الخضروات) •

٢ - تفاصيل عن الطعام الحيواني • صنف نوعية الحيوان وهل هو مستأنس أو برياً ؟ (يجب ابراز استخدامات اللبن بالتفصيل) وما هي اجزاء الحيوانات التي تؤكل عادة (بخلاف اللحوم المحرمة) •

(ب) اعداد الطعام

٣ - ما هي طبيعة الاعداد •

٤ - اذكر وسائل الاعداد المادية مع وصفها وصفا دقيقا ، وما هي الاماكن التي يتم فيها اعداد الطعام •

٥ - كيف تذبح الحيوانات ؟ مع وصف المراحل المختلفة التي تتبع مثل السلخ ، التقطيع .. الخ •

٦ - الطريقة المتبعة لاكل الطعام ، ناضج ، مطبوخ ، طازج •

٧ - اشرح كيفية الطبخ ، والادوات والاواني المستخدمة •

٨ - طبيعة الاشخاص الموكول اليهم مهمة اعداد الطعام بصفة عامة وكذلك اعداد الوجبات بصفة خاصة •

Focurt, George : Introductory Questions on African (*)
Ethnology Sultanieh Geographical Society, CAIRO, 1919, PP. 37-40.

(ج) الوجبات

٩ - هل هناك أوقات محددة للوجبات ؟ ما هى اسماء الوجبات اليومية باللغة الوطنية ؟

١٠ - أنواع الوجبات النمطية ومكوناتها الاساسية • المشتركون المعتادون وجبات رب الاسرة والاطفال • نظام توزيع الطعام على المشتركين فى الوجبة مع وصف الاوعية والالوانى المستخدمة •

١١ - طريقة الاكل •• أوضاع أو جلسات المشتركين •• درجة قرابتهم •• التحريمات المختلفة (مثل كلمات معينة أو قطرات •• الخ) •

١٢ - الوجبات الجماعية : تفاصيلها ، عدد ونوع المشتركين فيها

١٣ - الولايم الشعائرية : الطقوس المتبعة ، العادات الممارسة •

١٤ - وجبات الزعماء واشخاص معينين ، طبيعتها المقدسة ، آداب المأكول التحريمات الخاصة •

(د) القيود والواجبات

١٥ - الطعام المخصص لاشخاص معينين : (ملوك ، زعماء ، رجال ، دين مطبوعون ، رجال يتمتعون بمنزلة خاصة ، اطفال ، نساء ، مسنون ، محاربون ، صيادون •• الخ) •

١٦ - ما هى الحيوانات والخضروات المحرمة فى كل الاوقات ، ولكل الاشخاص وكذلك تلك التى تحرم لاشخاص معينة ؟

اذكر : العمر والجنس والفتة الاجتماعية ، وبين فى كل نوع عما اذا كان التحريم دائما أو مؤقتا مع بيان الوقت • وجه عناية خاصة لقيود الطعام بالنسبة الى : -

(أ) النساء الحوامل •

(ب) أوقات صيد السمك أو الصيد البرى ، عمليات الزراعة قبل البذر والحصاد ، أو عمليات الصناعة مثل صهر الحديد وصناعة الخزف ، أو خلال الحرب ، وأيضا خلال مناسبات المواليد والوفيات والزيجات ••• الخ •

١٧ - هل هناك اجزاء معينة من لحوم الحيوانات أو من الخضروات تعتبر محرمة ؟ مثل المخ .. النخاع .. الكبـد .. العيون .. أو البيض .. الخ .

(هـ) التوابل والمنبهات

وبالنسبة للخضروات اذكر ايضا القيود والمحرمات على اجزائها أو مكوناتها مثل اللب .. الثمار .. أو البذرة .. الخ .

١٨ - ما هو نوع الملح الشائع ؟ اماكن وجوده (اغوار مالحة ، مستنقعات ملحية .. الخ) وسائل الحصول عليه . استخداماته في الحياة بصفة عامة .

١٩ - ما هي أنواع التوابل المتوفرة ؟ مع وصف لمجالات استخدامها في الطعام في اغراض اخرى .

٢٠ - ما هي المنبهات صلبة الشكل ؟ بخلاف البن والشاي .

٢١ - هل توجد منبهات سائلة ؟

(و) المكيفات

٢٢ - اذكر قائمة بأنواع الدخان .. الافيون .. الحشيش ، وكذلك المواد الاخرى مع بيان طرق الاستخدام والادوات .

(ز) المشروبات

٢٣ - اذكر قائمة بكل انواع المشروبات التي يستهلكها الناس عادة أو في مناسبات خاصة .

مثل الجعة المصنوعة من الذرة أو الفلات الاخرى ، اللبن ، الخمر المستخرج من النخيل ، الكحول المأخوذ من ثمار معينة .

٢٤ - هل توجد مواد تستخدم في هذا المزج أو التركيب ؟

٢٥ - ما هي وسائل التحضير . ومراحل الاعداد ؟

٢٦ - وسائل حفظ المشروبات والالوعية المستخدمة .

٢٧ - ما هي طرق استهلاك المشروبات .. فردية .. جماعية ؟

٢٨ - ما هي أنواع الاطعمة التي يحرص الناس على حفظها ؟

(ح) حفظ الطمسام

٢٩ - طرق الحفظ المختلفة بالنسبة لكل نوع مثل اللحم (جاف ، مدخن ، مملح ، محفوظ في محلول) .. الخ .

٣٠ - هل هناك طرق لحفظ السمك ؟ وما هي .

٣١ - طرق حفظ الفواكه .

٣٢ - اذكر قائمة بالاطعمة الاخرى التي يتم حفظها .

اولا - المراجع العربية

- ١ - **احمد ابو زيد** : البناء الاجتماعى - الجزء الاول - المفهومات الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ .
- ٢ - **احمد ابو زيد** : البناء الاجتماعى - الجزء الثانى - الانساق - دار الكاب العربى للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٧٦ .
- ٣ - **توفيق الحسينى عبده** : البيئة ، الطعام ، الحياة الاجتماعية - دراسة انثربولوجية فى المجتمع الصومالى . معهد البحوث والدراسات الافريقية - ندوة القرن الافريقى - القاهرة يناير ١٩٨٥ .
- ٤ - **حسن شحاته سفقان** : تاريخ الفكر الاجتماعى . مطبعة دار التأليف - القاهرة ١٩٥٨ .
- ٥ - **رالف لنتسون** : شجرة الحضارة - الجزء الاول - ترجمة الدكتور احمد فخرى - مكتبة الانجلو - القاهرة ١٩٥٨ .
- ٦ - **على عبد الواحد وافي** : الطوطية . اشهر الديانات البدائية دار المعارف - القاهرة ١٩٥٩ .
- ٧ - **فاروق العادلى** : الانثربولوجيا الاقتصادية مطبعة سجل العرب - القاهرة ١٩٨٥ .
- ٨ - **محمد الجوهري** : الانثربولوجيا دار المعارف - القاهرة ١٩٨٣ .
- ٩ - **محمد الجوهري وآخرون** : التغير الاجتماعى دار المعارف - القاهرة ١٩٨٢ .
- ١٠ - **وليم باسكوم** : الثقافة الافريقية
- ملفيل هرسكوفيتز** : ترجمة عبد الملك النشاشف - بيروت ١٩٦٦ المكتبة المصرية .

ثانياً - المراجع الأجنبية

- 1 — Beals, R. & Hoijer, H. : An Introduction to Anthropology, Mac Millan Co., N.Y. 1967.
 - 2 — Beattie, John : Other Cultures, Routledge & Kegan Paul, London, 1966.
 - 3 — Claude-Levi Stauss : Totemism, Translated by Rodney Needhaam, Pelican Book, Oxford, 1968.
 - 4 — Firth, Raymond : Malaya Fishermen, their Peasant Economy, Landon, 1946.
 - 5 — Focurt, George : Introductory Questions on African Ethnology, Sultanieh Geographical Society, CAIRO, 1919.
 - 6 — Forde, Daryll : Habitat, Economy, and Society Methuen & Co. Ltd., London, 1946.
 - 7 — Foster, G. & Medical Anthropology, John, Wiely & Sons, Anderson, B. N.Y. 1978.
 - 8 — Herskovits, M. : The Human Factor in changing Africa, Alfred A. Knopf, M.Y., 1962.
 - 9 — Hoebel, E. Adams : MAN, in the Primitive World, Mc-Graw-Hill Book Co., Inc. N.Y., 1958.
 - 10 — Howman, R. : Native Affairs, in Micheal Gelfand (Diet and Tradition in An African Culture) E & S Livingstone, London, 1971.
 - 11 — Kenyatta, Jomo : Facing Mount Kenya, Vintage Books, N.Y. 1965.
-

أضواء جديدة

على مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري
للاستعمار الفرنسي للجزائر
(دراسة وثائقية)

دكتور
ماهر عطية شعبان
معهد البحوث والدراسات الإفريقية
جامعة القاهرة
١٩٩٤

المحتويات :

مقدمة :

- — تطور العلاقات الفرنسية — الجزائرية •
- — المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي •
- — دولة الأمير عبد القادر •
- — الصراع بين الأمير عبد القادر والفرنسيين •
- — الأمير عبد القادر والطريقة التيجانية •
- — القضاء على مقاومة الأمير •

خاتمة

مكتبة البحث

- الوثائق •
- المراجع العربية والمعرية •
- المراجع الأجنبية •
- فهرست •

مقدمة :

هاجر عدد كبير من المسلمين الذين يقطنون بلاد الاندلس وذلك بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين هناك في عام ١٤٩٢ ، وبدأت موجة صليبية جديدة أطلق عليها حرب الاسترداد وباركتها الكنيسة وشارك فيها ملوك الاسبان والبرتغال ، وصار الساحل الشمالى للقارة الافريقية مسرحا لعمليات حربية بين المسلمين القادمين من بلاد الاندلس وبين المسيحيين الذين تعقبوا هؤلاء المسلمين في بلاد المغرب العربى . وشهدت سواحل أفريقيا الشمالية ذلك الجهاد البحرى الذى تزعمه الاخوان عروج وخير الدين برباروسا (أى ذو اللحية الحمراء) ، واتخذ هذان المجاهدان من مدينة الجزائر مقرا لهما ، وبسطا نفوذهما على الساحل الافريقى الشمالى ، بل وساعدا حكام الدويلات الاسلامية هناك ضد المخاطر والهجمات الصليبية الاسبانية والبرتغالية . ولما سقط عروج أثناء مقاومة التوسع الاسبانى تولى القيادة من بعده أخوه خير الدين ، ذلك المغامر الشجاع الذى واصل الجهاد ، ووسع من نفوذ المسلمين لكنه عندما شعر بعجزه عن مقاومة التوسع الاوربى استتجد بالدولة العثمانية الفتية ، فقدمت له المساعدات ، ووجهت اليه الحملات التى أعانتها على بسط النفوذ العثمانى فى ذلك الجزء من أفريقيا . وأصبحت الدولة العثمانية وجها لوجه مع القوى المسيحية بعد أن بسطت نفوذها على الجزائر فى عام ١٥١٨ ، ثم ليبيا (طرابلس) فى عام ١٥٥١ ، وأخيرا تونس فى عام ١٥٧٤ .

ومنذ القرن السادس عشر دخلت الجزائر تحت السيطرة العثمانية ، واستمرت على هذا المنوال طوال قرون ثلاث حتى سقطت فى أيدي الاستعمار الفرنسى فى عام ١٨٣٠ . وطوال هذه الفترة التى عاشت فيها الجزائر فى ظل الحكم العثمانى كانت هذه الولاية شبه مستقلة ، وكان لها علمها وجيشها وعلاقاتها الدبلوماسية مع الدول الاخرى لكنها كانت تعترف بالباب العالى ، والخلافة الاسلامية ، وكانت ترسل الهدايا

للسلطان العثماني في استانبول كل ثلاث سنوات ، ومع ذلك لم يكن العلم العثماني محل تقدير الشعب الجزائري (١) .

وكان للجزائر أسطول بحري قوى سيطر على كل غرب البحر المتوسط على شواطئ المحيط الاطلسي الافريقية . وقد فرضت هذه السلطة البحرية الجزائرية نفسها على الدول الاوربية بما في تلك الولايات المتحدة الامريكية ، واستمرت تمارس هذا النشاط البحري ، وذلك التفوق العسكري سنين عديدة . وكانت القوى الكبرى تخطب ود الشعب الجزائري الذي تفاخر بكبرياء بأن قوته البحرية لا تفوقها الا قوة بريطانيا العظمى في ذلك الوقت من القرن التاسع عشر (٢) .

وكانت الدول الاوربية الصغرى مثل ايطاليا وهولندا تدفع الجزية السنوية للجزائر . كما كانت تقدم مختلف الهدايا حتى تحظى بصداقة دائمة مع الجزائريين لكي تحافظ على تجارتها . وكانت الدول الكبرى تدفع الجزية أحيانا ، وفي أحيان أخرى كانت تدخل في حروب مع الجزائر حتى لا تدفع هذه الجزية . وكانت الجزائر في معظم هذه الحروب تخرج منتصرة على هذه القوى الاوربية .

وكان موقع الجزائر الممتاز والاستراتيجي على ساحل البحر المتوسط قد جعل هذه المنطقة محط أنظار الدول الاوربية ، وخصوصا فرنسا بعيد قيام الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ وحاجة الشعب الفرنسي الى القمح الجزائري ، فراح زعماء الثورة يقيمون علاقات الود والصداقة مع شعب الجزائر حتى يضمنوا الحصول على المواد الغذائية من هذا القطر الجزائري ، ومن حسن حظ الفرنسيين أن حاكم الجزائر الملقب بالداي قد أقام علاقات حسنة مع الفرنسيين ، واستمرت علاقات الود هذه حتى أوائل القرن التاسع عشر .

لكن بحلول القرن التاسع عشر تغيرت الاحوال ، وتبدلت الامور ، فلم تعمر علاقات الود والصفا بين الجزائر وفرنسا لاسباب تعددت ، صراعات دولية استجدت خاصة وأن فرنسا تسعى لبناء امبراطورية

(١) Shaler, William : Sketches of Algiers, Boston, 1826, P. 18.

(٢) أبو القاسم سعد الله ، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، القسم الاول ، الجزائر ١٩٨١ ، ص ٢٤٨ .

فرنسية خارج أراضيها ، ووضعت الجزائر كامتداد طبيعي لهذه الامبراطورية ، فساءت العلاقات بين حكام البلدين عندما طلب الداي في الجزائر من الحكومة الفرنسية سداد مبلغ مليون فرنك كان قد أقرضها لهم لشراء قمح من ولايته ، وجاء رد نابليون برفض تسديد هذا المبلغ ، بل وهدد بقطع العلاقات مع الجزائر ، وضربها بالمدافع اذا أصر الداي على طلب سداد هذا القرض •

تصادفت هذه لتطورات مع ازدياد النشاط البحري الاسلامي في أوائل القرن التاسع عشر ، وجهات المسلمين ضد سفن الاوربيين • وخشيت بريطانيا على مصالحها وعلى طرق مواصلاتها في الشرق ، وتجاوبت معها بقية الدول الاوربية ، وانهقد مؤتمر فيينا لبحث أوضاع القارة الاوربية بعد هزيمة نابليون ١٨١٥ وكان موضوع الجهاد البحري الاسلامي من المسائل الهامة التي شغلت بال أوروبا ، وطالب فرسان القديس يوحنا في مالطة باعادة الجزائر اليهم حتى يتخذوها كرأس حربة لضرب المقاومة الاسلامية ولاجهاض أية حركة ضد سفن المسيحيين وللقضاء على ما أسموه بالقرصنة البحرية •

وقدم الاميرال سيدى سميث (Sydney Smith) قائد الاسطول الانجليزى في البحر المتوسط مذكرة الى مؤتمر فيينا ، طالب فيها بوضع حد للقرصنة البحرية عن طريق القيام بعمل أوربي جماعى لتحطيم حكومات شمال أفريقيا ، واقامة حكومات أخرى محلها ، وتدمير سفن المسلمين ، والقضاء على كل أعمال القرصنة ، كما اقترح بأن يتولى قيادة هذه القوة الاوربية الجماعية ولقد كون هذا القائد الانجليزى بالفعل جمعية أطلق عليها اسم جمعية محاربة القرصنة ، كما أسس جمعية أخرى تحت اسم جمعية محاربي الرقيق الابيض في أفريقيا ، وبذل سيدنى سميث جهدا كبيرا من أجل أن يستصدر المؤتمر قرارا لتحقيق أهدافه لكن حكومته بالذات فضلت السياسة التقليدية التي تبقى على حكومات شمال أفريقيا بشكلها الحالى ، وحتى لا تضعف هذه الحكومات فتصير فريسة أمام الفرنسيين ، واكتفى المؤتمر في النهاية بوضع بعض المبادئ العامة التي تحرم الرق والقرصنة •

وبعد مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ ، بدأ تدخل الدول الاوربية في شئون منطقة شمال أفريقيا حيث أنه في نفس العام أرسلت الولايات المتحدة

الامريكية أسطولاً لكى يجبر داي الجزائر على وقف المطالبة بالجزية السنوية ، ووقف عمليات تفتيش السفن الامريكية وغيرها ، كما قام هذا الاسطول الامريكى بتحطيم سفن الرئيس حميدو أحد زعماء الجهاد الاسلامى ، وأبرمت الولايات المتحدة معاهدة مع حاكم الجزائر ، جددت بعد ذلك عدة مرات ، وعلى أثرها ساد السلام بين امريكيين وحكام الجزائر حتى عام ١٨٣٠ (١) .

وشاركت بريطانيا فى عملية الحصار البحرى لسواحل الجزائر بقصد ارباب المسلمين واجبارهم على فك أسر المسيحيين ، واحترام قوانين الملاحة . وشاركت أساطيل دول أوربية أخرى مثل هولندا فى المضمار من أجل القضاء على الجهاد البحرى الاسلامى .

وازاء هذا العدوان السافر على سيادة والى الجزائر ، جاء رده بالقبض على عدد من الاوربيين ، كما طرد القنصل البريطانى من مدينة الجزائر ، فقامت بريطانيا بارسال أسطولها الذى دخل ميناء الجزائر ، وفرض شروطاً قاسية على الداي ، منها ضرورة الاعتراف بانتهاء الرق ، وعدم أسر المسيحيين واسترقاقهم ، بل ورد الاسرى من الاوربيين ورفض ائداى هذه الشروط القاسية ، فأطلقت المدفعية البريطانية النار على القطع البحرية الاسلامية ، وألقى البريطانيون حوالى ٢٤٠٠٠ قذيفة على الاسطول الجزائرى ، واضطر الداي أمام هذا الهجوم الى اطلاق سراح الاسرى الاوربيين ، وتضايق الشعب الجزائرى المسلم من جراء هذا التصرف ومن استسلام الداي لاوامر البريطانيين ، فقام الناس بقتله ، واختاروا الداي حسين بدلاً منه .

ولم تتوقف محاولات الدول الاوربية للقضاء على الجهاد البحرى الاسلامى ، ولم يعقد مؤتمر أوربى فى ذلك الوقت الا ويكون موضوع الجهاد الاسلامى من أهم البنود التى تناقش فى مؤتمر لندن عام ١٨١٦ عرضت قضية القرصنة ، والجهاد الاسلامى البحرى ، لكن رفض المندوب الفرنسى القرارات التى تخول لبريطانيا الحق فى تقوية نفوذها فى البحر المتوسط (٢) .

(١) انظر جلال يحيى ، السياسة الفرنسية فى الجزائر ، ١٨٣٠ - ١٩٦٠ (القاهرة ١٩٥٩) ، ص ٥٤ .

(٢) جلال يحيى ، مرجع سلفى ، ص ٥٥ .

وفي مؤتمر اكس لاشبيل لعام ١٨٨١ تمت مناقشة مسألة القرصنة البحرية وأظهرت روسيا استعدادها للاشتراك في القوة الاوربية لمكافحة القرصنة ، وكان هذا الاستعداد الروسي من العوامل التي زادت من مخاوف انجلترا وفرنسا بسبب خروج الروس الى البحر المتوسط لكن الدولتين اتخذتا موقفا موحدا تجاه الخطر الروسي ، واقترحت فرنسا أن تتوسط الدولة العثمانية لدى حاكم الجزائر للقضاء على القرصنة البحرية . كما طالبت الدول الاوربية من الداي أن يقدم وثيقة رسمية يتعهد فيها بالغاء الرق ، والتخلي عن حقه في تفتيش السفن الاوربية ، لكن الداي أصر على حقه في القيام بعملية زيارة السفن حفاظا على سلامة دولته ، ورغم تهديد انجلترا وفرنسا للمسلمين ولحكومة الداي فان هذه المظاهرات البحرية لم تحقق الفائدة المرجوة .

وفي عام ١٢٨٤ ضرب الاسطول البريطاني مدينة الجزائر بحجة أن الداي سجن بعض الاهالي الذين يخدمون القنصل البريطاني ، وخشيت فرنسا من سقوط الجزائر تحت قبضة بريطانيا فراحت تدعم تفويضها هناك ، وأخذت تتحين الفرص لتحقيق أغراضها الاستعمارية في هذه الولاية الاسلامية .

وسوف ندرس تطورات الاحداث ، وعلاقات فرنسا بالجزائر ، والظروف التي أدت الى احتلال فرنسا للجزائر ، والمقاومة الجزائرية لهذا الاستعمار الفرنسي ودور الامير عبد القادر الجزائري وأتباعه من الصوفيين في مقاومة هذا التوسع الفرنسي حتى استسلام الامير وأتباعه في عام ١٨٤٧ .

تطور العلاقات الفرنسية الجزائرية :

تعرضت فرنسا أثناء الثورة لازمة اقتصادية حادة لانها حاربت كل دول القارة الاوربية ، وأنفقت الكثير من مواردها في هذه الحرب ، ولم تجد العوض الا في صديقتها داي الجزائر الذي أقرض الفرنسيين كميات كبيرة من الحبوب واللحوم والجلود كما سمح لهم بالتموين من موانئ الجزائر ، ولكن في عام ١٧٩٣ حدث نوع من الفتور في العلاقات بين الدولتين ، فأوقف الداي التعامل مع الوكالة الفرنسية التي صارت عاجزة عن استيراد الحبوب من الجزائر (١) .

وفي عام ١٨٠١ وقع نابليون معاهدة مع حاكم الجزائر نصت على ضمان سداد الديون الجزائرية ، لكن حدث تصادم من جديد بين السفن الفرنسية والجزائرية ، وبدأ نابليون يستخدم اسلوب التهديد للداي ، وأخذ يجمع معلومات من السائحين عن أفريقيا والجزائر ، وقد اختلفت الاراء حول تفكير نابليون في حملة لفتح الجزائر ، الا أن جوليان يستبعد هذه الفكرة ويرى أن نابليون كان مهتما بأوروبا ، وكانت تجربته الفاشلة في مصر ماثلة أمام عينيه . وهذا ما جعل الاجراءات التي اتخذها ضد الداي مجرد تهديد ووعيد ، وليست احتلال أو استقرار بالجزائر (٢) .

وفي عام ١٨١٥ بدأت صفحة جديدة في علاقات الدولتين ، وعينت فرنسا قنصلا جديدا لها بالجزائر هو ديفال الذي أوكلت اليه مهمة تسوية الديون مع الداي ، ولما كانت الحكومة لا ترغب في تبادل مكاتبات مع الداي في هذا الخصوص ، فقد كلفت القنصل ديفال بشرح الموقف ، وحاول ديفال فعلا أن يشرح وجهة نظر حكومته لكن الداي رفض هذا التفسير . وفي أثناء اللقاء الذي تم بين القنصل والداي في يوم ٢٩ من

(١) Hardi, G. : Histoire des Colonies Francaise, Paris 1929, P. 150.

(٢) Julien, Ch. A. : Histoire de l'Algerie Contemporaine, Paris, 1964, P. 22.

ابريل ١٨٢٧ بمناسبة عيد الاضحى حدثت مشادة انتهت بأن أشاح الداي في وجه القنصل بكشاشة الذباب ، فخرج ديفال غاضبا ، وكتب تقريرا الى حكومته يشرح الاهانة التي أصابت شرف فرنسا .

وفي ١٦ يونية ١٨٢٧ أرسلت فرنسا أربع سفن حربية بقيادة الكابتن كولليه (Collet) يحمل انذارا للداي ، ويطلب ترضية كاملة عما لحق بشرف فرنسا من اهانة ويعلق الزعيم النمساوي مترنخ (Meternich) على ذلك بأنه ليس من المعقول أن تحرك فرنسا هذا الجيش الضخم ، وأن تصرف من خزائنها هذا المبلغ الضخم (١٥٠ مليون فرنك) من أجل ضربة مروحة كما يقال (١) .

رفض الداي مطالب فرنسا الغريبة والتي تتمثل في دفع تعويضات لفرنسا ، واعلان الداي أن حكومة فرنسا قد سددت كل التزاماتها المالية للداي . وحاصرت السفن الفرنسية سواحل الجزائر لمدة ثلاث سنوات دون أن يحقق الحصار أية نتائج ايجابية (من ١٦ يونية ١٨٢٧ الى ١٤ يونية ١٨٣٠) ولكن كلف هذا الحصار فرنسا مبلغ سبعة ملايين فرنك في كل عام علاوة على الخسائر التي أصابت التجارة الفرنسية ، وفشلت كافة المحاولات الفرنسية لاجبار الداي على قبول الشروط الفرنسية ، وأخيرا قررت الحكومة الفرنسية تجهيز حملة الجزائر ، وصدرت الاوامر بتكوين ثلاثة لجان لاعداد الحملة من أجل الانتقام للاهانة التي لحقت بشرف فرنسا ووصفتها بأنها حملة مسيحية على بلاد البرابرة المسلمين وأنها في صالح كل العالم المسيحي للقضاء على القرصنة ، وتأمين المواصلات البحرية والتجارة في البحر المتوسط .

والسؤال الآن : ما هي الأسباب الحقيقية لتلك الحملة على الجزائر لقد كانت فرنسا قبل اعلان الحملة تعاني من أزمات داخلية ، وكانت على وشك ثورة جديدة في يونية ١٨٣٠ . وبالفعل قامت هذه الثورة ، وأسقطت شارل العاشر وجاءت بلويس فيليب الذي اتبع نفس السياسة السابقة ، وكانت الحكومة الجديدة ترغب في أن يشعر الشعب بأن الدولة تدافع عن شرف الامة الفرنسية انذى أهانة الجزائريون - كذلك خشي شارل العاشر من قوة الجيش وسعيه نحو اسقاط النظام فدير عملية

ارسال الجيش الى طولون استعدادا للمعركة لمجيدة على الساحل الاخر
من البحر المتوسط • ولقد لخصت صحيفة لومينيتور (Le Moniteur)
اسباب الحملة فيما يلي :

أولاً : رفض الداي السماح بامتيازات لفرنسا وهدم كل الحصون
والمؤسسات وتوابعها التي كانت لفرنسا •

ثانياً : حصلت فرنسا على امتياز صيد المرجان على الساحل
الجزائري مقابل دفع ٦٠ ألف فرنك سنوياً ، ولكن الداي طلب بعد
عامين أى فى عام ١٨١٩ من الفرنسيين دفع ٢٠٠ ألف فرنك ، هذا
بالإضافة الى سماح الداي لكل الدول الاوربية بصيد المرجان •

ثالثاً : رفض الداي اعطاء اجابة مقنعة عن حجز سفينة فرنسية فى
عناية •

رابعاً : اعلان الداي لكل من فرنسا وانجلترا فى عام ١٨١٨ بأنه
سيواصل نظام الاسترقاق ضد الدول الاوربية اذا لم توقع معاهدات معه •

حاول الفرنسيون اضعاف معنويات سكان الجزائر ، فقاموا بطباعة
منشور باللغة العربية ، ارسلوا منه ٤٠٠ نسخة الى قنصلهم فى تونس
لتوزيعها على أهل الجزائر ، وفيه يدعى الفرنسيون أنهم قادمون لمحاربة
الأتراك ، وانهم جاءوا لحماية الاهالى ، والاحترام دين الاهالى وعاداتهم ،
وطلبوا من الاهالى التعاون معهم ضد الاتراك (١) •

وتحركت الحملة من ميناء طولون فى الثلاثين من مايو عام ١٨٣٠ ،
ووصلت الى الجزائر ، ونزلت فى سيدى فرج التى تبعد مسافة خمسة
وعشرين كيلو مترا غربى مدينة الجزائر • واستولى الفرنسيون على
المعسكر الجزائرى ، فى أسطا ، وانفتح الطريق الى مدينة الجزائر ،
وأملى القائد الفرنسى شروطا قاسية على الداي وهى تقضى بما يلى :

(١) انظر نص البيان فى ابو القاسم سعد الله : ابحاث وآراء فى تاريخ
الجزائر ، ص • ص ٢٦٦ - ٢٦٧ •

وانظر - الغزو الفرنسى للجزائر فى وثيقة امريكية معاصرة ، مقال
الدكتور منصور احمد بوخمسين ، حوليات كلية الآداب - جامعة الكويت -
الحوالية التاسعة الكويت (١٩٨٨) •

- **أولا :** تسليم حصن القصبة وجميع حصون مدينة الجزائر .
- **ثانيا :** يضمن القائد الفرنسي حرية الداي وممتلكاته الشخصية .
- **ثالثا :** يترك للداي حرية الإقامة في المكان الذي يريده .
- **رابعا :** يتعهد القائد العام لكل الجنود الانكشاريين بنفس المعاملة ونفس الحماية .

• **خامسا :** ضمان حرية الشعب الجزائري في أداء شعائره الدينية .

وكان الداي حسين قد صمم على المقاومة وأخذ يستعد لملاقاة الفرنسيين ، وجمع حوالى ستين ألف مقاتل لكن الداي ارتكب بعض الأخطاء منها تعيين صهره ابراهيم أغا رئيسا للقوات التي ستواجه الفرنسيين وكان ابراهيم قليل الخبرة ، وليست لديه الكفاءة التي تؤهله الى مثل هذا العمل ، كما أن الداي أبقي بعض المتطوعين من القبائل بعيدا عن المدينة توفيراً للنفقات ، كذلك رفض ملاقاته الفرنسيين عند النزول برا وانتظرهم في الحصون التي تحمي مدينة الجزائر لكل الفرنسيين ضربوا عليه حصارا محكما ، وسقط الداي وقبل الشروط الفرنسية التي أملاها عليه الجنرال الفرنسي برمون وذلك في الرابع من يولية ١٨٣٠ ، وغنم الفرنسيون ما قيمته خمسة وخمسين مليونا من الفرنكات وهذا يزيد عن نفقات الحملة بما يجاوز اثني عشر مليونا من اثنى عشر نكاب (١) .

واضطر الداي الى مغادرة الجزائر هو وأسرته الى نابلى ، ولم تكن فرنسا قد قررت الخطة التي ستسير عليها في الجزائر لكنهم قاموا بنزع سلاح الانكشارية ، كما أرسل برمون حملة للاستيلاء على المرسى الكبير ووهران وعنابة ، ولقى مقاومة عنيفة من المواطنين هناك وخصوصا في مناطق عرب الجزائر وشرقها .

وبعد رحيل الداي حسين وقع عبء المقاومة على الشعب الجزائري نفسه ، وتمثل هذا النضال وذلك الكفاح في شخصية الامير عبد القادر الجزائري . فلما ساءت أحوال الجزائر ، واضطرب الامن بين الناس

(١) صلاح العقاد ، المغرب العربى ، (القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص ١٠٣ .

وتوقف دولاب العمل ، وتعطلت الزراعة وعمت الفوضى ، اجتمع العلماء والاعيان للنظر في من اجتمعت فيه شروط الامارة لكى يبايعوه ، ولم يجدوا الا الرجل الجليل الصالح الشيخ محى الدين ، وألحوا عليه لقبول البيعة بامارة ، فأبى قبولها لكنه قبل القيام بأمر الجهاد ، فرضى القوم بذلك .

المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسى :

وبعد قبول الشيخ أمر الجهاد بداية المقاومة الجزائرية ، ولذا فان هذا الرجل أصبح بمثابة الاب الروحى للثورة الجزائرية الاولى .

وكانت أسرة الامير عبد القادر قد استقرت في غرب الجزائر ، وهى تنتسب الى الاصل العربى والى النسب النبوى الكريم عن طريق ادريس بن عبد الله الذى أسس مدينة فاس في مراكش ، وكان الشيخ محى الدين قد استقر في أعوام ١٧٧٦ حتى عام ١٨٣٤ في القيطنة (al Qaytana) حيث بنى زاوية وأخذ ينشر مبادئ الطريقة القادرية والتى ستعلب دورا كبيرا في مقاومة التوسع الفرنسى .

وفي العشرينات من القرن التاسع عشر بدأت السلطات الجزائرية تشك في نوايا الشيخ محى الدين ، وفكرت في أنه ينوى القيام بعمل عسكري مثل التيجانية في الجنوب ولهذا طلب الداي من الشيخ محى الدين التوجه مع عائلته الى وهران ، وهناك عاش الشيخ مع أسرته تحت الرقابة الشديدة فترة من الزمان . ولما أحس الداي أنه لا يفكر في أى غزو عسكري ، أطلق سراحه فقام الشيخ محى الدين بتسليم مسئولية الزاوية الى ابنه الاكبر محمد سعيد ، وذهب الشيخ الى مكة ومعه ابنه عبد القادر وذلك في عام ١٨٢٥ عن طريق تونس ثم الى الاسكندرية بالسفينة (١) .

وزار الشيخ محى الدين وابنه عبد القادر مدينة دمشق ، وتوقفا فترة لدراسة كتاب الشيخ الكسبرى في الجامع الاموى ، كما التقيا بالشيخ النقشبندى ضياء الدين خالد الشهر زورى ، ومكث الاثنان معه

(١) محمد بن عبد القادر الجزائرى ، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص ٩٤١ .

فترة من الزمان ، ويقال أن عبد القادر أخذ عنه ورد الطريقة النقشبندية .
وفي بغداد أعطى الشيخ محمد الجيلاني شيخ الطريقة القادرية ، وأحد
أحفاد مؤسسها بردة القادرية الى الشيخ محيي الدين وابنه عبد القادر
وفي عام ١٨٢٨ عاد الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر من الشرق ،
وتوقفا في مدينة الجزائر لزيارة الداي الذي قابلهم بكل حفاوة واحترام ،
وكان الشيخ حريصا على ابقاء علاقات الود مع الخلافة العثمانية (١) .

وبعد وصولهما بعامين الى القيطنة تغير الوضع السياسي الجزائري
بشكل أساسي حيث سقط الحكم العثماني ، واحتل الفرنسيون مدينة
الجزائر وانتهت آمال الشيخ عبد القادر وابنه في العيش في سلام ، ولذا
التف الناس حول الشيخ وابنه . ومن هنا بدأ لتفكير في الجهاد ضد
المسيحيين مثلما حدث في بلاد المغرب بشكل عام في القرن السادس عشر ،
وبدأ البحث عن الشخصية التي ستعقب دور بطل الاسلام أمام هذا الغزو
الصليبي ، وكان هناك شبه اجماع حول اختيار الشيخ محي الدين رئيس
الطريقة القادرية . وكان هذا التأييد مؤكدا من كل فئات الشعب في
غرب الجزائر . وفي البداية رفض الشيخ محي الدين تولى القيادة لانه
قارب على الستين من عمره ، ولم يكن يرغب القيام بالدور الذي طلبه
الناس منه ، ووافق في عام ١٨٣٢ على توجيه أمور الجهاد دون الامارة .

وفي مايو ١٨٣٢ دارت معركتان بجوار قلعة وهران مع القوات
الفرنسية وفي كل من المعركتين ظهرت شجاعة الامير عبد القادر ومواهبه
القتالية ، فكان ذلك نقطة تحول كبرى في حياة الامير خصوصا بعد أن
طعن فرسه ثمان طعنات لكنه ظل واقفا ثابتا حتى جاءه فرس آخر امتطاه
وواصل القتال .

أقبل العلماء على الشيخ محي الدين ، وطلبوا قبول البيعة على
الامارة لنفسه اذا رغب أو لولده عبد القادر الذي صار محط الاقطار .
وفكر الشيخ محي الدين في هذا الامر ثم أشار الى ولده عبد القادر ،
وطلب منه الترشيح للامارة ، فقبلها الامير عبد القادر الذي جلس أمام
والده وصافح الوالد ابنه قائلا : « انتى انا والدك أبايعك على السمع

Martin, B. G. : Moselm Brotherhoods in 19th Century (١).
Africa, London 1976, P. 50.

والطاعة والموت والحياة ، وأدعو الله أن يجعل خلاص الجزائر على يدك
يا ناصر الدين « (١) » .

وكان رؤساء القبائل عندما التقوا في وهران لاختيار أحدهم لتنظيم
وقيادة الحرب ضد الفرنسيين مترددين في اختيار الامير عبد القادر
ابن الشيخ محي الدين ولكن عندما حان موعد الاختيار أعلن أحد
مرابطيهم ويدعى سيدى العراش بأنه رأى الشيخ عبد القادر الجيلاني
في المنام واقفا بجوار العرش الخالي ، ولما سأله العراش عن سيشغل
هذا العرش ، أعلن الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه الامير عبد القادر
ابن الشيخ محي الدين . وفي الحال ركب الشيخ العراش مع ثلاث مائة
من الفرسان ، وذهب الى منزل الشيخ محي الدين ، حيث وجد أن الأخير
قد شاهد رؤيا مشابهة وأن ابنه سيكون سلطانا على المغرب . وفي صباح
اليوم التالي تم اختيار الامير عبد القادر للسلطنة ، واعتقد العرب في
الجزائر أن الشيخ عبد القادر الجيلاني قد ظهر للامير بانتظام ، وعلى هذا
فان نجاح الامير عبد القادر ضد الفرنسيين جعله حاميا للطريقة
القادرية (٢) .

وحصل الامير على تأييد وتعزيد كل القبائل الكبرى المجاورة
لمدينة العسكر ووادي جريس (Gharis) ، وجاءت الوفود تباعه وتعلن
الولاء له ، وتقبلها الامير تحت شجرة مثلما فعل الرسول صلى الله عليه
وسلم ، قبل أن يقدم على غزوة الحديبية ضد كفار مكة ، ومثل زعماء
الجهاد في غرب أفريقيا أعلن عبد القادر أنه سيسير على نهج الرسول
الكريم في كل الامور التي يتعرض لها .

وبدأ الامير خطوات سريعة نحو بناء جماعة العلماء ، وصارت
دولته تشبه حالة الدولة في عهد الخلفاء الراشدين ، وعين الامير
عبد القادر وزيرا (رئيس وزراء) وسكرتيرا خاصا مع عدد من الاتباع
كالحاجب ، وناظر الخزينة الذي يشرف على الشؤون المالية ، كما أنشأ
الاوقاف ، وبدأ في جمع الضرائب ، كما أنشأ أيضا منصب وزير الشؤون
الخارجية .

(١) الامير عبد القادر الجزائري ، سلسلة أبطال العرب ، العدد ١٣ ،
بيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٥٣ .

(٢) Churchill, C. H. : The life of Abdul Kader, 1867, P. 11.

وقبل الحديث عن صراع الامير مع الفرنسيين نلقى نظرة سريعة على نظام الدولة الذي أسسه الامير وكيفية تمويل جيشه ، والنظام الذي اتبعه في الداخل قبل أن يخوض معارك الصراع مع القوى الاجنبية في الجزائر .

دولة الامير عبد القادر الجزائري :

يعتبر الامير عبد القادر الجزائري من الزعماء القلائل في تاريخ العرب الحديث الذين تصدوا بجرأة للاستعمار ، وهو من أبرز وجوه المقاومة الجزائرية وأكثرها وعيا وأصالة حيث عكس نضاله روح الامة الجزائرية والاسلامية ، وكان زعيما من طراز جديد لم تعرفه الجزائر من قبل ، فهو لم يكن وريث زعامة سياسية أو ادارية أو عسكرية أو اقطاعية ، بل كان في البداية رجل زاوية يعيش حياة بسيطة ، وجاءت ظروف الجهاد والمقاومة لتجعل منه قائدا عسكريا ، وزعيما سياسيا حاول بناء أمة جزائرية قوية تتصدى للاستعمار الاوربي (١) .

وكان الامير عبد القادر يرى أن الجهاد فريضة الى يوم القيامة ، وأن على المسلم أن يجاهد أعداء الاسلام بكل ما أوتي من قوة ومال . وكان الامير متصوفا زاهدا في الدنيا ومتاعها ، ولكن ظل الجهاد بالنسبة للامير عبد القادر واجبا مقدسا ، فلم يترك مناسبة الا وحث الناس فيها على الجهاد لانه كان أشد الناس تمسكا بدينه ، وأكثرهم تقيدا بمبادئه الى جانب جهوده المتواصلة والمخلصة لنشره بين مختلف طبقات الشعب الجزائري . وعمل الامير بكل اخلاص وأمانة على تقوية التعبئة النفسية بين أفراد شعبه وجيشه ، واعتمد على الجهاد لتحقيق هذه الغاية حيث كان الجهاد أنسب الطرق لحماية امارته الناشئة أمام تحالف الاعداء والصليبيين .

وعمل الامير على تحسين أوضاع المجتمع القبلي الواسع الانتشار في المقاطعة الغربية التي تعيش أساسا على عرف القبيلة وتقاليدها . وسعى الى جمع القبائل ضمن دولة حديثة ، وشرع في اعادة النظر في الاظمة والقوانين ، وكانت العصبية القبلية عاملا ساعدا على تقوية معنويات جيش الامارة ، ودعم الثقة المتبادلة بين الحاكم والقبائل أو بين القبائل فيما بينها .

(١) محمد خير فارس ، تاريخ الجزائر الحديث ، ص ٣٢٧ .

ووجد الامير عبد القادر الجزائري أنه من الضروري الضرب على أيدي كل من المسلمين الجزائريين الذين لا يعترفون بسلطانه لانه يعرف أن القبائل مترددة وتحترم القوة أكثر من أى شيء آخر ، وحاول الابقاء على ولائها له ليس فقط عن طريق استمالة عواطفها الدينية بل أيضا بمحاولة استعراض القوة •

وأنشأ الامير مجلسا استشاريا من كبار العلماء ، يرأسه رئيس القضاة ، كما أنشأ الدواوين وحدد لكل منها اختصاصها ، كما ألغى الضرائب السابقة التي كان يفرضها العثمانيون ، وأحل محلها الضرائب المرتبطة بالشريعة الاسلامية مثلما فعل الشيخ عثمان بن فودي في بلاد الهوسا (١) •

وأدرك الزعيم الجزائري أن النضال لا يمكن أن يتحقق الا اذا تحققت الوحدة الجزائرية ، ولذا بدأ العمل على وحدة الشعب الجزائري كشرط ضروري لنجاح المقاومة ، وخلق وعيا جديدا في حياة المجتمع الجزائري ، يتمثل في شعور الانتماء الى مجتمع يتجاوز حدود القبيلة ، أو اتحاد القبائل أو الافليم ، ولم يعد الامير مؤسس سلالة شبيهة بسلالات العصور الوسطى ، بل صار أهم شيء عنده مقاومة الغزو الفرنسي ، واعتمد في هذه المقاومة على العاطفة بأراضي الاجداد ، ولذا فعندما بدأ الفرنسيون الحرب مع الجزائريين أحسوا أنهم لا يحاربون رجلا طموحا ، بل يحاربون شعبا جديدا ، ودولة تبنى على أساس جديد تماما (٢) •

ويحاول بعض المؤرخين عقد مقارنة بين كفاح هذا الزعيم الجزائري ، وبين كفاح زعماء المغرب كالمرابطين والموحدين الذين قاموا بجهادهم ، على أسس دينية • كمال يحاول البعض الآخر ربط حركته في الجزائر بالدور الذي قام به محمد علي في مصر ، لكن مهما اختلفت الآراء وتعددت المقارنة بين كفاح هذا الزعيم وغيره من الزعماء المسلمين ، فانه يمكن القول أن كفاح الامير عبد القادر من نوع خاص يختلف في طبيعته عن كل أنواع الكفاح في شمال أفريقيا ، فلقد استطاع الامير عبد القادر

Martin, B. G. : Op. cit., P, 55, (١)

Revue d'Histoire Moderne et contemporaine, 1967, P. 133. (٢)

Martin, B. G., : Op. Cit., P. 55,

اخراج الوطنية من المفهوم النظري الى ميدان التطبيق وصارت الوطنية في نظره تعنى القوى المحاربة ضد العدو لاجنبى ، ولذا فقد بذل كل جهوده من أجل توحيد القبائل المتنافرة ، وكون منها دولة حديثة (١) .

وآمن الامير بضرورة تطوير وطنه ، فأقام دعائم دولة حديثة عمادها سلم ادارى تصاعدى مسئول قاعدته الشيخ وقمته الخليفة الذى هو مسئول مباشرة أمام الامير نفسه ، وساند هذا النظام الادارى بنظام محكم يوفر التعليم والقضاء والمواصلات والتسليح والمخابرات .

اعتمد الامير عبد القادر على الجيش باعتباره الحصن المتين الذى يساعده في الدفاع عن ديار المسلمين ضد هؤلاء الغزاة الاوربيين ، فقسم جيشه الى قسمين ، يضم القسم الاول الجنود النظاميين ، ويضم القسم الثانى الجنود المتطوعين الذين يتسلحون بأى شئ يجدونه في أرض المعركة ، كما ينفقون على تسليحهم من حسابهم الخاص ، وكان الجنود المتطوعون غالبا من الفرسان المسلحين بالبنادق والمسدسات وكان الامير يعتمد على هذه القوى غير النظامية أثناء الهجوم المفاجى على القوى الاوربية (٢) .

أما جيش الامير النظامى فكان ينقسم بدوره الى ثلاثة عناصر هي المشاة والمدفعية والفرسان ، وقد أطلق على هذه القوة النظامية الجيش المحمدى أو الجيش الاسلامى ، واتخذ هذا الجيش شعار « الصبر مفتاح الفرج » (٣) .

وكان الامير يحصل على السلاح من البريطانيين في تونس والمغرب وفي عام ١٨٣٥ كتب الامير خطابا الى القنصل البريطانى في تطوان يعلن فيه عن رغبته في تحسين العلاقة مع البريطانيين ، وأنه على استعداد للتجار معهم في أى ميناء مناسب في غرب الجزائر مقابل الحصول على الاسلحة (٤) .

(١) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج ١ ،

(٢) Martin, B. : Op. Cit., p. 55.

(٣) محمد عبد القادر ، تحفة الزائد ، ص ١٩٤ .

(٤) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ص ١٤٠ .

ولما فشل الامير في الحصول على السلاح من البريطانيين الذين رفضوا أيضا الوساطة بينه وبين فرنسا ، أنشأ قاعدة صناعية لكى يزود جيشه بأهم المواد اللازمة للجيش ، كما أنشأ مصانع فى تلمسان ومسكرة ومليانة ، وبنى ترسانة حربية فى تاردمت لانتاج الصواريخ والاسلحة الاخرى ، كما أشأ مصانع لانتاج الطلقات البارودية فى أماكن أخرى . وكانت القوة البشرية الفنية التى تعمل فى مصانع الاسلحة تأتى من أسرى الحرب الفرنسيين ويحدثنا صاحب التحفة عن الفنيين الاسبان الذين ساعدوا فى انتاج العديد من الاشياء اللازمة للجنود مثل البارود والاسلحة وزى الجنود بالاضافة الى اصلاح المعدات الحربية (١) .

وقد اختلف حجم القوات التى كانت فى حوزة الامير من معركة الى أخرى حسب طبيعة كل معركة حربية مع الفرنسيين ، وسوف نناقش قوات الامير حسب كل معركة أثناء هذا الصراع مع هذه القوى الاجنبية .

ويمكن أن نميز فى كفاح الامير عبد القادر مرحلتين لكل منهما سمات خاصة ، تبدأ المرحلة الاولى منذ انتخابه ومبايعته فى عام ١٨٣٢ وتستمر حتى عام ١٨٣٩ ، وقد بلغت قوة الامير ذروتها فى هذه الفترة ، وسيطر على ثلثى الجزائر ، أما المرحلة الثانية فتبدأ بعد تقض الفرنسيين لشروط الصلح فى عام ١٨٣٩ وتستمر حتى استسلامه فى عام ١٨٤٧ .

وبعد مبايعة الامير عبد القادر اتخذ من مدينة المعسكر مقرا له ، وقظم شئون امارته ، واستولى على تلمسان ، وفرض حصارا على الفرنسيين فى وهران ومستغانم ، وأصدر الامير عددا من البيانات الى الشعب الجزائرى داعيا اياهم الى اليقظة والذود عن أوطانهم ضد المعتدين ، ومن تلك البيانات ما جاء فى قوله « انكم أيها الجزائريون قد أصبحتم الان تحت رحمة رومى ، يقاضيكم رومى ، ويدير شئونكم رومى ، ان الرومى قد اتهك مساجدكم ، وآخذ أحسن أراضيكم ، وأعطاها الى بنى جنسه ، واشترى أعراض نسائكم . ان يوم يقظتكم قد حان ، هلموا جميعا عند سماع صوتى ، أيها المسلمون . ان الله قد وضع سيفه الملهب فى يدي ، واتنا جميعا سنمضى الى الامام ، ونروى حقول وطننا بدماء الكفار » (٢) .

(١) محمد عبد القادر ، تحفة الزائر ، ص . ص ٣١٣ - ٣١٥ .
(٢) أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الثانى ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧ ، ص ٤٢ .

الصراع بين الامير عبد القادر والفرنسيين :

بدأ الفرنسيون يراقبون ازدياد قوة الامير عبد القادر ولكنهم لم يستطيعوا التدخل المباشر ضده نظرا لعدم وجود القوة الكافية لديهم عقب احتلالهم الجزائر . وكانوا يخشون التوغل في الداخل حتى لا يدخلوا في مغامرة غير مأمونة العواقب . وبعد أن تسلم الجنرال داميشال قيادة القوات الفرنسية في مدينة وهران في أواخر ابريل عام ١٨٣٣ ، أحس بالخطر المحيط بمدينته نتيجة زحف قبيلة الغربة فخرج بقواته وأوقع بها خسائر فادحة ، واحتل مستغانم ، وبدأ الاشتباك مع قوات الامير عبد القادر في موقعة تامزوار . لكن الامير عبد القادر كان قد استولى على تلمسان ، وحاصر الفرنسيين في وهران ومنع الاهالي من التعامل تجاريا معها . ولذا حاول الجنرال داميشال التفاوض معه لتخفيف هذه الازمة الاقتصادية ، وبدأت المفاوضات بين مندوب عبد القادر وممثلي الفرنسيين في وهران .

معاهدة داميشال في ٢٦ فبراير ١٨٣٤ :

بدأت المباحثات لعقد هذه المعاهدة بين الامير عبد القادر والفرنسيين بعد أن أحس الفرنسيون بخطورة محاصرة الامير لهم في وهران ، فأرسل داميشال رسالة الى الامير عبد القادر يعرب فيها عن رغبته في التفاوض مع الامير الذي كلف وزير خارجيته الميلود بن عراش لاجراء المفاوضات (١) .

وكانت مقترحات الجنرال الفرنسي داميشال تتلخص في وقف الحرب بصورة نهائية بين الفرنسيين والجزائريين ، واطلاق سراح الاسرى الفرنسيين واعادة الهاربين منهم فورا ، واعتبار التجارة حرة في كافة المدن .

ووجد الامير في هذه المقترحات ما يصلح لعقد معاهدة ، وفعلا أرسل الامير برأيه الذي وافق عليه داميشال ووقع الطرفان معاهدة ٢٦ فبراير ١٨٣٤ .

(١) صلاح العقاد ، المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص ١١١ .

وقد نصت هذه المعاهدة على :

المادة الاولى : توقف الحرب بين الفرنسيين والعرب منذ توقيع المعاهدة ولن يدخر الامير عبد القادر والجنرال داميشال جهدا للحفاظ على الصداقة التي يجب أن تكون بين شعبين حكم عليهما القدر أن يعيشا تحت نفس السلطة .

المادة الثانية : احترام العادات والدين الاسلامي .

المادة الثالثة : اطلاق سراح لاسرى من لجانبين .

المادة الرابعة : حرية التجارة الكاملة والشاملة .

المادة الخامسة يعيد العرب الجنود الفارين من الفرنسيين ، كما يعيد الفرنسيون الجنود الفارين من العرب .

المادة السادسة : اذا رغب أى أوربى فى التنقل داخل البلاد ، فعليه أن يحصل على جواز سفر موقعا عليه من ممثلى الامير والقائد العام الفرنسى حتى يجد الحماية فى كل اقليم فى الجزائر .

وفى الوقت الذى كان الجنرال داميشال يتفاوض فيه مع الامير عبد القادر ، أرسل الى حكومته يفيد بأنه يجرى مفاوضات مع الجزائريين ، فعلا أرسلت حكومة المارشال سولت Soult بتاريخ ١٩ فبراير ١٨٣٤ أربعة شروط كأساس للتفاوض ولكن عندما وصلت هذه الشروط كانت الاتفاقية قد تهذت بالفعل بكامل بنودها منذ ثلاثة أيام ، وكانت الشروط الفرنسية التى وصلت داميشال تلخص فى اعتراف الامير بالسيادة الفرنسية مقابل اختياره بيا على وهران وثانيا دفع جزية سنوية لفرنسا ، وثالثا عدم شراء الامير للأسلحة الا بموافقة باريس ، وأخيرا تسليم الاسرى الفرنسيين دون قيد أو شرط (١) .

واذا نظرنا الى هذه المعاهدة والظروف التى أحاطت بها لوجدنا أنها أول انتصار دبلوماسى للامير حيث اعترفت به كأمير للمؤمنين ، وهو اصطلاح لا يستخدمه الا الخلفاء ذو السلطة الروحية والسياسية ، كما

(١) اديب حرب ، التاريخ العسكرى والادارى للامير عبد القادر الجزائري ١٨٠٨ - ١٨٤٧ ، الجزء الاول ، الجزائر ١٩٧٨ ، ص ١٢١ .

أنها أعطته فرصة من الوقت لكي ينظم امارته ، ويقوى جيشه ، ويضع نهاية لكل التأثيرين والمنافسين المحليين . ولم توقف الامر عند هذا الحد بل ان الجنرال داميشال وقع معاهدة سرية مع الامير عبد القادر بتاريخ ٢٠ فبراير ١٨٣٥ وفي هذه المعاهدة السرية حقق الامير مكاسب عديدة مثل اعطاء الامير الحرية الكاملة في شراء الاسلحة دون الرجوع الى حكومة فرنسا ، وعدم رفع التجار الفرنسيين احتجاجهم الى داميشال الذى صرح بأنه قد رخص للامير بالسيطرة على مرفأ أرزيو لتصدير الحبوب التى تنتجها أرضه . كما أن الامير عبد القادر صمم على عدم قبول المعاهدة ما لم تعترف فرنسا بحقه في احتكار تجارة الحبوب ولقد ذهب داميشال الى أبعد من توقيع الاتفاق السرى حيث أرسل الى الامير عبد القادر بعض الاسلحة والذخائر التى ساعدته على التفوق على رجال القبائل والانتصار عليهم في موقعة قرب تلمسان في يوم ١٢ يولية ١٨٣٤ ، وكانت هذه المعركة سببا في بسط الامير نفوذه على غرب الجزائر ، بل وصار هو السيد الفعلى والشرعى على كل غرب الجزائر عدا وهران ومستغانم وقلعة تلمسان (١) ، وباختصار أظهرت هذه المعاهدة مهارة ، الامير عبد القادر ودبلوماسيته وذكائه وسعة الاطلاع على أحوال العصر ، كما أنها أثبتت براعته وحنكته في الدفاع عن مبادئ واضحة ، هدفها الاساسى اجبار العدو على الاعتراف به كممثل للشعب الجزائرى في أحلك الظروف (٢) .

واعتبر الأمير عبد القادر هذا الاتفاق بمثابة هدنة مؤقتة لحين تنظيم قواته ، وبناء دولته ، ولذا فانه انتهز الفرصة وأخذ يوحد القبائل التى لم تخضع لنفوذه ، وتوسع في غرب الجزائر ، وأخذ يتطلع الى الشرق ، والى المناطق المحيطة بمدينة الجزائر ذاتها .

وأدرك الفرنسيون أن المعاهدة التى وقعها داميشال كانت في صالح الجزائريين ، وكان رد الفعل لهذه المعاهدة هو عزل الجنرال من منصبه وتعيين قائد جديد هو الجنرال تريزول حاكما على وهران ، كما أرسلت الحكومة الفرنسية لجنة لدراسة أوضاع الجزائر ، ووضع الحلول لها ، وتشكلت هذه اللجنة من ثمانية أعضاء برئاسة الجنرال بونه

(١) جلال يحيى ، السياسة الفرنسية في الجزائر ، ص ١١٨ .
(٢) أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ص ١٣٠ .

وزارت اللجنة مدن الجزائر عدا مستغانم ، وعقدت أربع عشرة جلسة عمل ، واقرحت خلالها بعض الأمور ومنها عدم احتلال الجزائر بالقوة ، بل طالبت باجراء مفاوضات مع بعض الزعماء المحليين والاحتفاظ بمدينة الجزائر العاصمة بشكل دائم .

وبناء عليه فقد أصدرت وزارة الكونت جيرارا Girara أمرا في ٢٢ يولية ١٨٣٤ ، بالاحتفاظ بالجزائر ، واختارت الجنرال دروا دارلون Darlon حاكما عاما للجزائر .

وحاول الحاكم العام اقناع ممثليه في المقاطعة الغربية بالتوصل الى نوع من التفاهم مع الأمير ، لكن تريزول عارض الحاكم العام واعترض على هذا الموقف السلمى تجاه الأمير عبد القادر ، كما كان يرفض الامتيازات الممنوحة للأمير ، وصرح بأن معاهدة داميشال قد زادت من قوة الأمير عبد القادر ، ورفعت من شأنه بين القبائل وكان تريزول مقتنعا بأن القضاء على الأمير عبد القادر أمر محتم ، ولا بد من التصدى له وارغامه على الحرب في المكان الذي تختاره القوات الفرنسية .

ورغم اختلاف وجهات النظر بين الحاكم العام داريون وبين تريزول الا أن الحاكم العام اقتنع في النهاية بوجهة نظر تريزول وبأن الأمير يسعى لتحقيق مصالحه ، وتقوية جيشه ، وتوسيع نفوذه وحدود امارته .

وزاد الامر سوء ما أقدم عليه تريزول من مخافة للحاكم العام واتصاله برؤساء قبليتي الدوائر والزمالة ، وتوقيع معاهدة التينة معهم في ١٦ من يونية عام ١٨٣٥ ولقد نصت هذه المعاهدة مع هذه القبائل على اعتراف القبائل بسلطة ملك فرنسا مع التعهد بالخضوع للزعماء المسلمين الذين يعينهم الحاكم العام ، ودفع الضريبة السنوية التي كان تعطيها بايات المنطقة ، وأن تحصر تجارة الاسلحة مع السلطات الفرنسية ، واختيار كل قبيلة رئيسا يتخذ من وهران مقرا له ولعائلته .

ومن الواضح أن هذه المعاهدة قد نصت على اعتراف قبائل الدوائر والزمالة بالسلطات الفرنسية ، ودفع ضرائب لها . وقد ساعدت هذه المعاهدة القائد الفرنسى تريزول على اتخاذ مناطق هذه القبائل ركيزة للهجوم على الأمير عبد القادر ، بالاضافة الى احتكار فرنسا لتجارة

الاسلحة مع هذه القبائل ، كما التزمت هذه القبائل بتقديم الدعم العسكرى لمؤازرة الجيش الفرنسى أثناء الهجوم على الامير عبد القادر ، ومن هنا تظهر خطورة هذه المعاهدة على الامير ودولته (١) .

ومن الطبيعى أن يعارض الامير هذه المعاهدة لان تصرفات تريزول تتنافى مع ما التزمت به الحكومة الفرنسية فى معاهدة داميشال ، واعتبر الامير معاهدة التينة نقضا لمعاهدة ٢٦ فبراير ١٨٣٤ ، بل واعتداء على صلاحياته ، وعلى القبائل التابعة له . وبدأ الامير سلسلة من المراسلات مع الحاكم العام الفرنسى ، وتريزول ، وأكد الامير للحاكم العام أنه لن يتوانى فى الدخول فى حرب مع الفرنسيين اذا لم يتراجع مثله فى وهران عن اجراءاته . كما رفض الامير الاعتراف بمعاهدة التينة لانها انتهاك صريح لبنود معاهدة داميشال (٢) . وبدأت الامور تتأزم بين الطرفين . وأخذ كل طرف يستعد لجولة جديدة من القتال .

وحاول القائد العام دارلون ارسال المقدم لأمر سيار فى ١٨ يونية ١٨٣٥ الى تريزول لاثناؤه عن القتال ، ولكن قبل أن يصل هذا المبعوث الفرنسى ، كان القتال قد بدأ بالفعل ، حيث ترك تريزول وهران الى ميسيفرين ثم الى معسكر ، وهاجم قبيلة بنى هاشم لاسر بعض المقاتلين وجمع المحصولات .

تقدم الأمير فى ٢٠ يونيه لمواجهة القوات الفرنسية ، واستطاعت احدى فرق الامير أن تنفذ كميناً لمجموعة فرنسية فى سهل تليلات ، وأعقب ذلك الهجوم على قافلة عسكرية فرنسية كانت فى طريقها الى نهر وهران ، عبر سهل سيرا (٣) وكذا الامير قوة ثانية من ثلاثة آلاف فارس وحوالى ١٥٠٠ من المشاه حول خيام قبيلة بنى هاشم عند نهر السيج ، وفى نفس الوقت تقدمت قوات تريزول وعسكرت فى سهل تليلات بحوالى مسافة تبعد ٢٨ كيلو مترا جنوبى شرق ومدينة وهران . وكان هذا الجيش الفرنسى يضم كتيبة من الفرقة ٦٦ ، وكتيبة من المشاه الافريقية ، والكتيبة الثانية من الرماة الافريقيين ، وثلاث سرايا من الكتيبة البولونية الى جانب

(١) انظر تفاصيل هذه المعاهدة فى اديب حرب ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ .

(٢) ابو العباس أحمد بن خالد الناصرى ، الاستقصاء ، ج ٩ ، الدار البيضاء ، ١٩٥٦ ، ص ٤٣ .

(٣) انظر خريطة رقم (١) .

فصيلة هندسية ورغم كل هذه الاستعدادات فقد شعر الامير بأن الحالة تتطلب سرعة الحركة والتنفيذ حفاظا على جيشه ، وفضل مقابلة تريزول رغم قلة عتاده الحربى وعدم تدريب جيشه على النظام الحديث . وكانت قوة الامير حوالى عشرة آلاف فارس وثمانية آلاف مقاتل غير نظامى و ١٥٠٠ جندي من المشاه النظاميين ، وقسم الامير عبد القادر هذه القوة الى ثلاث وحدات قتالية ، فأصبحت الميمنة بقيادة الخليفة البوحميدى وتحت تصرفه المشاه غير النظاميين ، والميسرة بقيادة بوشفور والمذارى ، وتحت تصرفهما الفرسان . أما القلب فكان يضم المشاه النظاميين بقيادة الامير عبد القادر نفسه (١) .

وانطلق الامير عبد القادر بقواته من معسكر لكى يوقف زحف وحدات تريزول وحتى لا تدخل عاصمته ، والتقت القوتان عند غابة سيد اسماعيل التى تقع على بعد ثلاثين كيلو مترا من وهران ، وما أن توغلت القوات الفرنسية عدة أمتار داخل الغابة حتى أمطرتها قوات الامير بوابل من النيران ، وأحاطوا بتلك القوة الفرنسية مما أحدث ضجيجا فى الغابة ، واضطرت مقدمة الجيش الفرنسى الى التراجع فى حالة من الفوضى ، وتقدمت قوة العقيد الفرنسى أورينو لنجدة هذه القوات الفرنسية فأصابته رصامته سقط على أثرها قتيلا فى الحال ، وصارت قواته هدفا لفرسان الامير . وعجز تريزول عن التقدم بقوات الاحتياطى لانقاذ هذا الجيش الفرنسى الذى بدأ يعيد تنظيم قواته ثم تحول الى مهاجمة مؤخرة قوات الامير الذى شعر بصعوبة الموقف ، وتعذر عليه متابعة القتال أمام هذه القوة الاوربية التى تحمل أحدث الاسلحة المتطورة ، وفضل التراجع بقواته من غير النظاميين الى الجبال القريبة . كما انسحبت قوات الفرسان بسرعة الى مرابط سيدى داود مولاي عبد الرحمن . وكانت هذه حركة بارعة من الامير عبد القادر الذى استطاع انقاذ قواته من الهجوم الفرنسى ، ولما أحس بأن قواته صارت محمية من الخلف أسرع لملاقاة تريزول بعيدا عن أسوار العاصمة . وهكذا نجح الامير فى الخروج من غابة مولاي اسماعيل ، وانتقل اعلى مستنقعات المقطع انتظارا لقدم القوات الفرنسية لتبدأ مرحلة جديدة وسلسلة أخرى من المعارك .

(١) أديب حرب ، مرجع سابق ، ص . ص ٢٠٠ - ٢٠٢ .

معركة المقطع :

انتهت معركة غابة مولاي سيدي اسماعيل دون أن يحقق أى من الطرفين انتصارا حاسما وتحركت الوحدات الفرنسية شمالا في اتجاه سهل سيراط ، واستقرت على الضفة اليسرى لوادي السيج . وكان الامير عبد القادر قد صمم على مواصلة القتال اذا رفض تريزول العودة الى وهران . وساعد الامير على المضي قدما في قتاله وصول نجدات من القبائل المجاورة تعدن ١٤ ألف فارس و ٢٥٠٠ من المشاة غير النظاميين . وتوجه الامير بهذه القوات الى سهل السيج وعسكر على بعد ثمانية كيلو مترات من مواقع الفرنسيين ، وسيطر الامير على مدخل الوادي المشرف على مستنقعات المقطع (١) .

وكان الامير عبد القادر يرغب في تفادي اراقة الدماء اذا انسحب الفرنسيون لكن مستشاري الامير نصحوه بسد الطرق أمام جيش تريزول مهما كانت التضحيات - كما حاول الامير اتصال بالفرنسيين لتغيير معاهدة داميشل لكن تريزول رفض كل اقتراحات الامير وخصوصا ابقائه سيدا على المقاطعة الغربية . وتدهورت العلاقات بين الطرفين وصارت الحرب هي الفصل الوحيد .

وفي ٢٨ يونية ١٨٣٥ قرر تريزول مواجهة قوات الأمير عبد القادر الذي جمع رجاله ورتب عملية المواجهة مع الفرنسيين ، وبدأت المعركة في نفس اليوم وهاجمت القوات الجزائرية الفرنسيين من كل الجهات ، فراجع الفرنسيون في حالة من الفوضى والاضطراب ، واختل نظامها ، وأرسل تريزول سريتين من الكتيبة الايطالية لمساندة المجموعة الأولى ، وأثناء تقدمهم في الوادي انقض عليهم الجزائريون وكبدوهم خسائر فادحة ، وتجلت هذه المعركة قدرات الامير عبد القادر القتالية ، وظهرت عبقريته العسكرية وصموده القوي رغم استشهاد عدد كبير من أبطاله الشجعان الذين خاضوا أول معركة حربية ضد عدو يفوقهم عددا وعتادا ، ولكن خطة الامير في ملاحقة الجيش الفرنسي في معركة المقطع . ومحاولاته الضغط على فرق هذا الجيش ، ومنعها من تجميع عناصرها المتفرقة حول المستنقعات حقق الامير النصر في هذه المعركة .

(١) انظر الخريطة رقم (٢) .

ولكن الفرنسيين لم يقبلوا الانسحاب أو الهزيمة أمام جيش الأمير عبد القادر فأعادوا بسرعة بناء الوحدات ، ودخلوا في معارك جديدة مع الأمير ، وتولى القيادة الجنرال كلوزل De Clauzel الذي استطاع الدخول بقواته في عاصمة الأمير عبد القادر ، ولكن هذا لم يحقق هدف الفرنسيين في القضاء على الأمير ، وجهاده ضدهم ، بل على العكس زادت هذه العملية من نشاطه وإصراره وإيمانه بتحقيق الهدف الذي يسعى إليه وهو طرد القوات الفرنسية من بلاده وجعل راية الاسلام خفاقة في كل الوطن الجزائري •

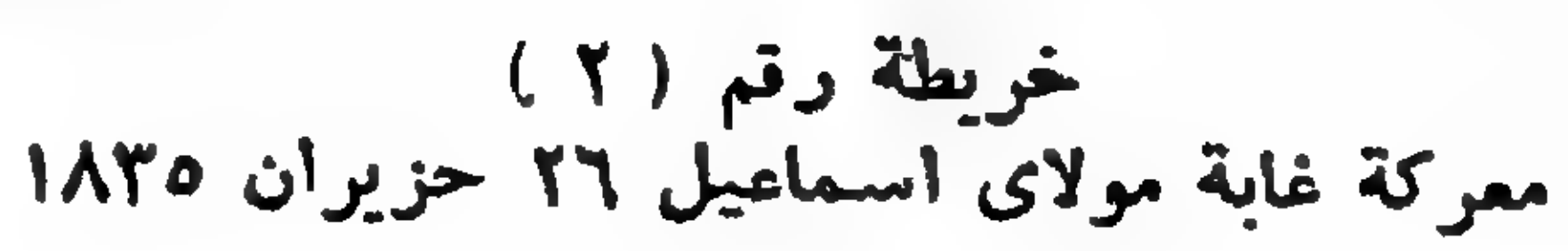
وواصل الأمير حروبه ضد قائد فرنسي جديد هو دارلنج Darling ودارت معركة وادي الاطشم في العاشر من ابريل ١٨٣٦ ، ونجح الأمير في استخدام عنصرى الحركة والتنقل بسرعة في ميدان القتال وبذا فوت على الفرنسيين فرصة النيل منه أو ايقاع الهزيمة برجاله رغم الفارق الكبير في التسليح والعتاد والتدريب والتنظيم (١) •

ولم يتوقف القتال عند هذا الحد بسبب اصرار الفرنسيين على القضاء عليه ، ولذا فقد واصل دارلنج استعداداته ، وأقام التحصينات في معسكر تافنا ، واتجه نحو منطقة سيدى يعقوب تلك القرية الصغيرة التي تقع جنوبى غربى مصب وادي التافنا • وأمام هذا الاصرار الفرنسى ، صمم بلامير على مواجهة الفرنسيين مهما كانت النتائج وفى الخامس والعشرين من ابريل أخذت قوات الأمير جيش دارلنج على غرة عند مرابط سيدى يعقوب ، واستطاع الأمير محاصرة الفرنسيين فى ثلاثة أماكن ، وأبقى الأمير خليفته البوحميدى قائدا لقواته حول مرابط سيدى يعقوب ، وقد نفذت مؤن الفرنسيين ، وزاد الطين بلة أن هبت عاصفة عاتية لمدة أحد عشر يوما ، مما جعل الفرنسيين فى موقف صعب ، وفى حالة سيئة ، وبالتالي ضاع أملهم فى ضم المقاطعة الغربية للجزائر ، ونجح الأمير فى محاصرة الفرنسيين فى المواقع الثلاث فى كل من تلمسان وسيدى يعقوب ومعسكر التافنا (٢) •

وتأزم موقف الفرنسيين للغاية بسبب عدم وجود قوات كافية للتحرك وانقاذ دارلنج وأمام هذا الموقف قرر وزير الدفاع الفرنسى الجنرال مازون

(١) أديب حرب ، مرجع سابق ، ص ٢٧٣ •

(٢) أنظر هذه المواقع على الخريطة رقم (٢) •



ارسال فر، جديدة الى الجزائر حتى يستطيع السيطرة على الموقف وبعد مناقشات طويلة ، ومشاورات مكثفة قررت الحكومة الفرنسية ارسال الجنرال بيجو Bugeaud الى وهران (١) .

وكانت المهمة التي كلف بها هذا القائد الفرنسي الجديد تتلخص أساسا في فك الحصار عن معسكر التافنا ، والدفاع عنه ، ووضع خطة لاستخدام وادي تافنا الذي يصل تلمسان بالبحر المتوسط ، وأخيرا نجدة القوات الفرنسية في تلمسان ، واعادة المواصلات بينهما وبين شاطئ البحر المتوسط .

وبمجرد وصول هذا القائد الى الجزائر حتى بدأ في شرح خطته لقواد جيشه تلك الخطة التي تعتمد أساسا على القوات الخفيفة والسريعة الحركة بدلا من لتمرکز في المواقع لعسكرية الثابتة ، والاستغناء عن العربات ووسائل النقل الكبيرة ، واستخدام الخيل والبغال كوسيلة للحمل ، كذلك اختيار الضباط الشبان والجنود الاقوياء لهذه العمليات العسكرية . وفوق كل هذا استبدال الاسلحة القديمة بأسلحة حديثة متطورة . وبعد أن جهز القائد بيجو قواته ، وشرح خطته بدأ يستعد لملاقاة الامير عبد القادر .

معركة السكاك في ٦ يولية ١٨٣٦ :

وفي الثاني عشر من يولية تقدم بيجو على رأس قواته متخذاً من طريق الشاطئ مسارا له ، بعد أن ترك في مصب تافنا قوة بلغت ١٨٠٠ رجل . وما إن علم الامير بتحركات بيجو حتى انتقل فورا بقواته وركز على طريق

(١) ولد الجنرال بيجو في ١٥ أكتوبر عام ١٧٧٤ وعمل بالزراعة ثم التحق بالجيش في مايو ١٨٠٤ برتبة جندي ، ووصل الى رتبة عريف في عام ١٨٠٥ ثم حصل على ملازم في ابريل عام ١٨٠٦ ، ونقل الى اسبانيا حيث حارب هناك لمدة ست سنوات وتعلم مبادئ حرب العصابات ، وترك الجيش برتبة عميد في عام ١٨١٧ ، لكنه عاد الى الخدمة في ٨ سبتمبر عام ١٨٣٠ ، وأرسلته الحكومة الفرنسية الى الجزائر عام ١٨٣٦ حيث حارب الامير عبد القادر في معركة السكاك في ٦ يولية ١٨٣٦ وانتصر عليه . وفاوض الامير ووقع معه معاهدة التافنا بتاريخ ٣٠ مايو ١٨٣٧ ، وصار حاكما عاما للجزائر في أوائل عام ١٨٤١ وظل حتى عام ١٨٤٧ حيث عاد الى فرنسا ومات في ٦ يولية عام ١٨٤٩ .

Luca, Dubrelon : Bugeaud, Le Soldat, le depute, le colonisateur.
Paris 1913, P. 1-60.

انظر الخريطة رقم (٣) لمعركة سيدى يعقوب .



خريطة رقم (٣)
معركة سیدی یعقوب - ٢٥ نيسان ١٨٣٦

وهران تلمسان • وفي ٤ يولية اتخذت القوات الفرنسية طريقها نحو تلمسان ، وتحركت عناصر من جيش الامير واتخذت أيضا مواقع لها لمراقبة تقدم تلك القوات الفرنسية • وفي ٦ يولية هبت رياح ساخنة ، وانتشر الضباب وتقدمت فرق الامير نحو ميدان القتال ، وعندئذ أمر بيجو بتكثيف القصف المدفعي ، وردت قوات الامير بإطلاق النيران على القوات الفرنسية لكن التفوق الحربي الفرنسي نجح في اخماد المدفعية الجزائرية ، واضطر الامير الى وقف القتال والانسحاب وهكذا أفلتت قواته من ضغط القوة الفرنسية التي استولت على السكاك وأسرت ١٣٠ من الجزائريين بالإضافة الى ٣٢ قتيل و ٧٠ جريحا (١) •

وبالرغم من الخسارة التي حلت بجيش الامير الا أنه أظهر شجاعة وقدرة على الصمود والمراوغة ، وانسحب من ميدان القتال بعد أن أدرك أن البقاء والمواجهة مع الفرنسيين تعنى الانتحار لجيشه • وتقدم جيش بيجو بعد معركة السكاك نحو تلمسان في ٧ يولية فدخلها دون مقاومة ، ورغم كل هذا فقد فشل بيجو في القضاء على الامير وقواته • وأدركت فرنسا أنه قوة لا يستهان بها ولذا فان بيجو أعلن في ١٦ مارس ١٨٣٧ ، لوزير الحرية الفرنسي بأنه يرغب في عقد صلح مع الامير ، ووافقت الحكومة الفرنسية على هذا الطلب ، وكلفت بيجو للقيام بهذه المهمة مع الامير •

وبدأت المفاوضات بين مندوب الامير وبيجو في ١٢ أبريل عام ١٨٣٧ وأخيرا توصل الطرفان الى توقيع معاهدة التافنا في ٣٠ مايو ، وهي المعاهدة التي نظمت العلاقة بين الامير والفرنسيين ، والتي اعتمدها الملك لوى فيليب في ١٥ يونية ١٨٣٧ (٢) •

وقد استفاد الأمير من هذه المعاهدة التي أعطته فسحة من الوقت لكي يثبت أقدامه ، ويدعم نفوذه السياسي في الداخل ، كما استطاع إعادة بناء الجيش على أسس حديثة، واعترفت فرنسا بنفوذها على ولايات وهران والجزائر وتبطري ، كما كانت هذه المعاهدة اعترافا صريحا من جانب

(١) صلاح العقاد ، مرجع سابق ، ص ١١٥ ، وايضا محمد خير فارس ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ •
(٢) جلال يحيى ، السياسة الفرنسية في الجزائر ، ص ١٢٦ •

الحكومة الفرنسية بامارة عبد القادر على ثلاثة أرباع الجزائر (مادة ٢ ، ٣)
الحكومة الفرنسية بامارة عبد القادر على ثلاثة أرباع الجزائر (مادة ٢ ، ٣)
كما نصت على حرية التجارة بين المنطقة الفرنسية دولة الامير ،
ودعمت هذه المعاهدة من مركز الامير وجعلته القوز الوحيدة للتعامل مع
الداخل - وفي مقابل هذا اعترف الامير بالسيادة الفرنسية على بعض
مناطق الجزائر (١) .

وهكذا تعتبر معاهدة التافنا بداية مرحلة من السلام بين الجزائر
وفرنسا ، وساعدت كلا من الطرفين على الاستفادة من هذه الفترة لبناء
قواته ، واعادة تنظيم أموره ، وحقق الامير بهذا الاتفاق ما لم يكن
يستطيع تحقيقه بنصر عسكري حيث تبين أن يجوز قدم في اتفاق سري
تنازلات أوسع مثل تقديم ٣٠٠٠ بندقية للامير ، ومنع قبائل الدواير
والزماله من تجاوز حدود معينة .

الامير عبد القادر والطريقة التيجانية :

أدرك الامير عبد القادر أن الجبهة الداخلية هي لب حرب التحرير
ولجئها ، ولذا كان قبوله التفاوض مع العدو ومهادنته السبب الرئيسي
لكي يتفرغ للجبهة الداخلية ، جبهة الصمود ، وركيزة التحرر من
الاستعمار الفرنسي ، ولذا لم يكن غريبا أن تشهد الفترة التي تلت
توقيع معاهدة التافنا بداية مرحلة شاقة من التنظيم والاعداد والتنسيق ،
والاستعداد لمعارك حرب التحرير ، فهي بمثابة هدنة مؤقتة حتى يستعيد
قواته ، ثم يكمل المرحلة الجديدة من الكفاح ضد العدو الفرنسي .

واعتمد الامير على بناء دولة ترتكز على اخلاص الحاكم ، وثقة
المحكومين على عكس نظام الحكم العثماني الذي كان سطوحيا ومنعزلا عن
السكان . ولذا بنى الامير دولته على قوتين ، قوة رغبة ، وقوة رهبة ،
وكانت الرغبة هي المحك الرئيسي لان غالبية السكان كانت تقدم له فروض
الطاعة والولاء عن رغبة أكيدة ونية صادقة (٢) .

(١) انظر الوثيقة رقم (١) ، بيان من الجنرال (دانريمون) حاكم بلاد
شمال أفريقية يوضح فيه بأن فرنسا لن تتخلى عن الجزائر وبانه بعد سبع
سنوات من المعارك حان الوقت لجنى الفائدة من احتلال الجزائر .
المصدر : ارشيف ولاية قسطنطينة (الجزائر) .

(٢) محمد بن عبد القادر : المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

وكان الامير حريصا على عده اتخاذ قرارات فردية استغلالية لكنه كان حريصا على استشارة العلماء والاشراف ورؤساء القبائل ، واعتمد الامير على نفوذ الطرق الصوفية التي شاركت في اتخاذ القرارات الهامة والمصيرية وفي أكثر من مناسبة أكد الامير على أن قبوله للبيعة وتولي منصب القيادة انما هو من أجل تحقيق الامن والامان لكل السكان ، وأن رغبته في خضوع الناش لاوامره كاخوة من أجل طرد الكفار من الجزائر ونجح الامير في كسب رجال الدين الى جانبه عن طريق استشارتهم والحصول على فتاوى منهم ، كما حصل على الامير على تأييد الرأي العام المغربي التيجانية التي تعارضه في مدينة عين ماضي (١) .

وما ان انتهى الامير من توقيع اتفاق التافنا (Tafna) في ٣٠ من مانو ١٨٣٧ حتى أسرع للتعامل مع المعارضين له وبسرعة استطاع اخضاع قبائل بني مختار ، وبني نايل (Nail) وبني موسى ، وبني عبيد وحاول الامير عبد القادر اخضاع الطريقة التيجانية في عين ماضي لسلطانه . وعين الامير الحاج العربي بن سيدي عيسى رئيسا للقسم الشرقي من قبائل الاغوات ليكون نائبا عنه في المنطقة ، لكن رفض التيجانيون الخضوع وعلى هذا قرر الامير عبد القادر مهاجمتهم واخضاعهم بالقوة (٢) .

لقد قاوم التيجانيون قوات الامير عبد القادر من يونية حتى نوفمبر عام ١٨٣٧ بالرغم من قلة عدد رجالهم لان الامير عبد القادر هاجم عين ماضي بحوالي ٣٦٠٠ رجل ، وأثناء الحصار وصل عدد قواته ثمانية آلاف مقاتل بينما كان المدافعون فقط لا يزيد عن ٧٠٠ رجل (٣) .

وأثناء الحصار الذي استمر خمسة أشهر حاول الامير اختراق الاسوار عدة مرات لكن التيجانيين كانوا يعيدون بناء الاسوار بالليل لكن الحصار الطويل جعل الطرفين يسعيان الى الصلح والاتفاق .

وقد تم التوصل الى معاهدة ما بين محمد الصغير بن الشيخ أحمد التيجاني وبين صهر الامير عبد القادر في ١٧ نوفمبر ١٨٣٨ لرفع الحصار بالشروط الآتية :

(١) محمد خير فارس : مرجع سابق ، ص ٢٤٤ .

(٢) محمد عبد القادر ، مرجع سابق ، ص ١٩٦ .

(٣) Arnud, L. : Siege d'Ain Madhi, Paris 1864, PP. 368-369.

اولا : أن يدفع محمد الصغير تكاليف الحصار للامير عبد القادر •

ثانيا : ان تجلو قوات الامير عبد القادر من عين ماضى خلال أربعين يوما •

ثالثا : يسمح لرئيس التيجانية بأخذ كل ثرواته المنقولة •

رابعا : أن يسمح لسكان المدينة بالرحيل معه •

خامسا : يترك رئيس التيجانية ابنه كرهينة لدى الامير لضمان تنفيذ بنود الاتفاق •

لكن أثبتت حملة الامير عبد القادر ضد عين ماضى أنها أضرت به وبمكانته العسكرية ، علاوة على فشلها في تحقيق الهدف الرئيسى لاجبار محمد الصغير على الرضوخ للامير عبد القادر •

ولقد استفاد الفرنسيون كثيرا من حصار الامير لعين ماضى لانه في الوقت الذى كان الامير مشغولا فيه بحصار التيجانية قام الجنرال فالى القائد العام للقوات الفرنسية في شمال أفريقيا بتدعيم نفوذه في المناطق الشرقية من الجزائر •

وكانت الآمال تراود محمد الصغير في اقامة دولة تيجانية في الجزء الجنوبي من الجزائر بعد خروج العثمانيين منها • وكانت هذه الامال معروفة لدى الفرنسيين ، لكن حصار الامير لعين ماضى وتدميرها جعل هذا الحلم صعب المنال •

وبعد استسلام محمد الصغير حاول مفاتحة الجنرال فالى (Valee) وكتب اليه في ٢١ يولية ١٣٨٩ يعبر عن آماله ، وطلب منهم الاعتراف به كزعيم للبادية ، وتعهد بدفع ضريبة العشر والزكاة للفرنسيين مقابل امداده بالاسلحة ، كما تعهد بطرد كل أعداء الفرنسيين من المنطقة التى سيكون تحت سيادته بالاضافة الى تسهيل مهمة الفرنسيين فى السيطرة على القبائل البدوية (١) •

. Vales to Min, Sec. d'Etat au dep de la Guerre, 17 Aug. (١)
1839 in ANP. F. 80 16730.

(Archives Natinales des paris).

وما ان وصل هذا الخطاب الى السلطات الفرنسية حتى بدأت تستفيد من هذا التحالف ، ولما تولى الجنرال بيجو قيادة القوات الفرنسية في الجزائر في فبراير عام ١٨٤١ طلب من السيد روشيه (Roches) ، الاتصال بمحمد الصغير حتى يضمن مساعدته في الحصول على فتوى تبيح للمسيحيين في الاستيلاء على مدن اسلامية دون أن يتأثر دينهم وكانت شروط روشيه أن يصبح الرئيس التيجاني تابعا للفرنسيين وأن يساعده في حربه ضد الامير عبد القادر مقابل الحصول على السلاح والاموال ، ولكنه عليه أن يقدم ما بين ٥٠٠ ، ٦٠٠ حصان بجانب عدد من الابل (١) .

ووافق محمد الصغير على خطة روشيه ، وبعث الى القيروان للاعداد لهذه المهمة ، وتبنى المجلس الدني الذي انعقد في زاوية التيجانية اصدار الفتوى المطلوبة .

ويقول روشيه أنه ذهب الى القاهرة للتأكد من الحصول على الفتوى من علماء الازهر ، وانه قد ذهب الى مكة لاعتمادها من مجلس العلماء هناك (٢) .

ولكن مهما كانت ادعاءات روشيه فان المسلمين في الجزائر لم يعترفوا بهذه الفتوى . وبالرغم من كل هذا فقد استمر التعاون بين الفرنسيين والطريقة التيجانية حتى بعد وفاة محمد الصغير وتولى سيدي محمد العبد أكبر أبناء سيدي على واستمرت الزاوية التيجانية في القرن العشرين تؤدي خدمات للسياسة الفرنسية في الجزائر (٣) .

بنى الامير دولته على المساواة وعدم التمييز بين الناس وأصلح القضاء ، وأوجد مجالس الاستئناف ، وكان حريصا على تطبيق العدالة ، كما وحد الضرائب وفرضها على الجميع بلا استثناء ، كما أوجد ضريبة المعوية لمساعدة الفقراء وكانت الضرائب تجنى عينا أو نقدا (٤) .

Bugeaud to Min of War, I August, 1941. (١)

Roches, Trente deux ans, I. P. 440. (٢)

Abun Nasr Gamil : Op. Cit., P. 69. (٣)

(٤) شوقي الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٦ ، ص ٢٧٥ .

وأشرفت الدولة على التجارة والصناعة ، وكان الهدف من ذلك أن تشرف الدولة على كل شيء ، وأن تجعل الاقتصاد في خدمة الأغراض الحربية بشكل عام ، واهتم الأمير بالجيش لانه الدعامة الرئيسية والركيزة الهامة في حرب الجهاد . ولهذا أسس الجيش على النظام لحديث ، وحدد الرتب والرواتب ، ومنح النياشين لكل من يظهر الشجاعة والاقدام أمام العدو الفرنسي ، كما أعطى رواتب لاهل الجند الذين يصابون في المعارك ، ولقد بلغ عدد قوات الجيش النظامى في عام ١٨٣٩ حوالى ثلاثة وخمسين ألف جندي . وفي جميع المعارك التى خاضها والتى تعدت العشرين كانت قواته النظامية جاهزة ، أما القوات غير النظامية فكانت تشارك في القتال ثم تعود الى ديارها بعد انتهاء الجهاد . واتبع الأمير في حروبه اسلوب تجنب خوض المعارك المكشوفة ، واقتصر على المعارك الصغيرة ، ومعارك المفاجآت والكمائى ، كما اتبع اسلوب الكر والغز .

وبعد أن تغلبت فرنسا على الحكومة لداى أحمد في شرق الجزائر ، بدأت تتجه الى الغرب حيث كانت قوة الامبر تزداد ، وبدأت فرنسا تسعى لتعديل معاهدة التافنا ، وفسرت المادة الثانية من هذه المعاهدة على أنها تخول لها الحق في احتلال جميع الاراضى الواقعة وراء وادى خضارا من مقاطعة قسنطينة ، ولكن الامير لم يقبل هذا التفسير .

ولما حدث الخلاف بين الطرفين أرسل الامير وفدا الى باريس لعسم هذا الخلاف ، لكن الحكومة الفرنسية أفادت أن المفاوضات من اختصاص حاكم الجزائر . وعاد الوفد يجر أذيال الخيبة والفشل ، وكان واضحا أن القوة هى السبيل الوحيد لفرض ما يريد ، وليحافظ على شروط المعاهدة مع الفرنسيين .

وكان توسع الفرنسيين فيما وراء منطقة متيجا بمثابة نقض للمعاهدة مع الامير ، الذى كتب الى المارشال فالى في ٣ نوفمبر ١٨٣٩ معلنا أن هذا التوسع يعد خرقا صريحا لمعاهدة التافنا (١) . ولما تأكد الامير أن الفرنسيين يحاولون كسب الوقت قرر محاربتهم ، وأصدر أمرا بالهجوم على اقليم

(١) انظر الوثيقة رقم (٢) مكتوبة بخط يد الامير عبد القادر الجزائري الى الجنرال بيجو يطلب منه الالتزام بتنفيذ الصلح الذى وقع بينهما ووافق عليه سلطان الفرنسيين وتعهد له بالوفاء بما تم الاتفاق عليه في ٢٥ ربيع اول عام ١٢٥٤ هـ .

المصدر : أرشيف ولاية قسنطينة - بالجزائر .

متيجا من الغرب والجنوب والشرق بثلاث فرق من المجاهدين ، واضطر فالى الى طلب نجدات من فرنسا فأرسلت اليه الحكومة حوالى ١٣٠٠٠ جندي بالاضافة الى ٤٨٠٠٠ جندي بعد عدة أشهر ، ووجدت الحكومة الفرنسية أن الجنرال فالى ليس بالرجل الذى قستطيع تنفيذ سياسة فرنسا فى الجزائر ، فقررت تغييره وتعيين الجنرال بيجو حاكما عاما للجزائر فى ٢٩ ديسمبر ١٨٤٠ ، وكان هذا يعنى بداية مرحلة جديدة حيث اعتبر الفرنسيون تعيين بيجو بمثابة تحول من سياسة الاحتلال الجزئى الى الاحتلال الشامل لكل القطر الجزائرى •

والجدير بالذكر أن الجنرال بيجو هو نفس القائد الذى كان قد وقع مع الامير معاهدة التافنا فى عام ١٨٣٧ ، واعترف فيها بسلطة الامير عبد القادر على الساحل وأرض وهران والنتيجة ومستغانم ، ولكنه عاد فى عام ١٨٤٠ بسياسة جديدة ، وبشروط جديدة تخالف السياسة التى سارت عليها فرنسا منذ ثلاث سنوات ، وكان التحول فى السياسة الفرنسية يعنى نقض معاهدة التافنا ، وبالتالي الدخول فى حرب جديدة مع دولة الامير عبد القادر •

القضاء على مقاومة الامير عبد القادر :

وجد بيجو أن الامير عبد القادر يتبع اسلوب الكر والفر • ويتجنب خوض معارك كثيرة • ولذا فانه قرر اتباع نفس أسلوب الحرب عند الامير ، وأدرك بيجو أن أفضل وسيلة للدفاع والوقاية هو الهجوم ، وعندما استعرض بيجو قوة الامير الحقيقية وجد أنها تكمن فى رجال القبائل وليس فى جيشه النظامى ، ولذا بدأ التركيز على القبائل ، وشن غارات عليها حتى يحدث خللا وقطعة بينهما وبين الامير وجيشه النظامى ، وكانت هذه سياسة مأكرة ، وخدعة غريبة من جانب رجال تدربوا على حرب العصابات مثل بيجو • ولم يتوقف القائد الفرنسى عند هذا الحد بل انه رسم سياسته على أساس حرمان العرب والمسلمين من مواردهم التى تنتجها أرضهم فقام باتباع سياسة حرق الارض التى أدت الى ابادة قبائل بأسرها نتيجة الاختناق بالدخان ، ولكن رغم كل هذه المحاولات ، وتلك السياسات البربرية ، وبالرغم من تفوق سلاح العدو الفرنسى، وبالرغم من الامكانيات العسكرية والمالية التى وضعت تحت تصرف الجنرال بيجو ، الا أنه لم يستطع تحقيق

النصر على الامير عبد القادر الا بعد سنوات من تطبيق هذه السياسة الوحشية (١) .

وفي عام ١٨٤١ استولى بيجو على كازه ومدينة المعسكر ، ثم استولى على تلمسان في العام التالي ، وفقد الامير جزءا كبيرا من قلاعه وارضيه ومستودعاته بل ومعظم جيشه النظامي ، ونجح الفرنسيون في قتل مبارك قائد الجزائر الشهير والساعد الايمن للامير عبد القادر وذلك في المعركة التي وقعت عند سيدي يحيى في ١١ من نوفمبر ١٨٤٣ . وكانت هذه ضربة قوية للامير عبد القادر الذي اضطر الى الانتقال الى الصحراء وأخيرا اتجه الى بلاد المغرب حيث وجد مناصرة وتأيدا من المولى عبد الرحمن ، وكان يقدم له كل عون ومساندة ، وكانت أنباء انتصاراته على الفرنسيين تجد صدى لها في بلاد المغرب ، كما كان الشعب المغربي يتابع هذه الانتصارات بكل بهجة وسرور (٢) .

ولما أحس الفرنسيون بأهمية هذا الدعم الحربي للامير عبد القادر ، قرر بيجو التوغل في الاراضي المغربية ، وفعلا عبرت القوات الفرنسية الحدود والتقت بالقوات المغربية في معركة اسلى في ٣٠ مايو عام ١٨٤٤ (٣) . واستولى الفرنسيون على ميناء طنجة في المدخل الغربي للبحر المتوسط، كما احتلوا مدينة وجدة وأمرت فرنسا قنصلها بالمغرب بالتفاوض مع سلطان المغرب الى الدخول في مفاوضات انتهت في العاشر من سبتمبر ١٨٤٤ بالتوقيع على معاهدة طنجة التي نصت على انسحاب العساكر الفرنسية من وجدة ، وتتعهد الحكومة المغربية بانزال العقاب بكل من يعتدى على الحدود الشرقية الجزائرية ، وأيضا اخراج الامير عبد القادر من بلاد المغرب اذا ما لجأ اليها . وبالطبع كان توقيع هذه المعاهدة لطمة كبرى لجهاد الامير عبد القادر الذي كان يجد الحصن الحصين ، والدرع القوي والدعم العسكري والمعنوي في بلاد المغرب (٤) .

(١) وصل عدد القوات التي وضعت تحت تصرف الجنرال بيجو حوالى ١٠٨ ألف جندي ، وهو ما يعادل ثلث الجيش الفرنسى ، كما وضع تحت تصرفه ١٠٠ مليون فرنك .

(٢) أبو العباس الناصري ، الاستقصاء ، ج ٩ ص ٤٦ .

(٣) شوقي الجمل ، مرجع سابق ، ص . ص ٢٣٦ - ٢٣٩ .

(٤) تضمنت اتفاقية الصلح مع الفرنسيين عدة شروط منها نفى الحاج عبد القادر من البلاد لما في بقائه هنالك من اثار الفتنة بين الدولتين بلا فائدة . أبو العباس الناصري ، الاستقصاء ، ج ٩ ، ص ٥٣ .

وعلى اثر هذا ازدادت الثورة الجزائرية اشتعالا في كل مكان ، بل وامتدت الى وادي الشليف والى منطقة الحدود المغربية والى تيطرى • وعين الامير عبد القادر « بومعزة » خليفة له ، وهذا ما أجبر بيجو الى العودة بسرعة من فرنسا الى الجزائر ، وقام على الفور برسم سياسة جديدة على أساس انشاء ثمانية عشر طابورا تشكل نصف دائرة تمتد من وادي تافنا الى منطقة القبائل وتمنع توغل المجاهدين القادرين في منطقة التل • وفي نفس الوقت تهاجم قوات الامير عبد القادر وتطوقها ، ولكن المجاهدين فوتوا على الفرنسيين هذه الفرصة ، ونجحوا في اختراق خطوط الدفاع الفرنسية ، وتوغلوا في الصحراء •

وبعد عاما ١٣٤٥ ، ١٨٤٦ من أصعب السنوات التي عاشتها القوات الفرنسية في الجزائر بسبب عنف مقاومة الامير ورجاله ، لكن قسوة الفرنسيين في حربهم ضد الشعب الجزائري ، وانهاك قوى المجاهدين ، وانتشار الفقر والدمار والخراب في كل أنحاء الجزائر بالاضافة الى فرض الحصار البحري على موانئ الجزائر وسواحلها وأدى هذا الى عرقلة وصول الاسلحة الى الامير ورجاله ، واضطر القائد الجزائري بومعزة الى التسليم للقوات الفرنسية ، وحاول بيجو الحصول على امدادات كافية لغزو القبائل الجزائرية ، لكن الحكومة لم تستجب الى طلبه فاضطر الى الانسحاب خوفا من الهزيمة ، وحل محله ابن الملك لوى فيليب ويدعى الدوق دومال وذلك في ١١ من سبتمبر ١٨٤٧ •

وحاول الدوق دومال السير على نهج السياسة التي انتهجها بيجو ، وضيق الخناق على الامير ورجاله ، فاضطر الى الانسحاب الى المغرب ، فما كان من فرنسا الا أن ضغطت على سلطان المغرب ، وأخبرته بأن قواتها سوف تدخل المغرب لتعقب الامير عبد القادر ، وكان رد سلطان المغرب أن طلب من عبد القادر تسريح قواته ، والحضور بنفسه الى مدينة فاس ولما رفض الامير هذا الطلب أرسل السلطان قوة عسكرية لتنفيذ أوامره ، كما وضع الفرنسيون خمسة آلاف جندي على الحدود لانتظار خروج الامير عبد القادر من الاراضي المغربية • واضطر الامير أمام كل هذه القوى المحيطة به من كل جانب الى الانسحاب نحو الحدود والدخول في الاراضي الجزائرية (١) •

(١) جلال يحيى ، السياسة الفرنسية في الجزائر ، ص ١٦٤ •

كانت القوات الفرنسية تعرف كل خطط الامير ، وتعرف تحركاته فأقامت نقاطا عسكرية على طول الحدود ، وصار الامير وحيدا في معارك ضد جيش منظم ومجهز بأحدث الاسلحة ، وزاد من صعوبة الموقف تساقط قيادات الامير الواحدة تلو الاخرى في أيدي الفرنسيين ، لكنه ظل صامدا ، وواصل المقاومة ، وأخيرا وبعد أن ضاقت به كل السبل لم يجد نصيرا يقف بجانبه فجمع رجاله من أصحاب الطريقة القادرية وقال لهم :

« ان الاحوال كما ترون ، والاخبار على ما تسمعون فما الرأي وما الحيلة : فقالوا الرأي لسيدنا والذي يراه نحن معه ، فقال الامير لا أرى الا التسليم لقضاء الله والرضا به ، لقد أجهدت نفسي في الدفاع عن الدين والبلاد ، وبذلت ما في وسعي في طلب الراحة للجميع ، وأقمت على ذلك ما يزيد عن سبع عشرة سنة ، اقتحم فيها الممالك ، واستحقروا العدو على كثرته ، وأرابط في الاودية والجبال ، وأنصب له فيها المكاييد والمصايد ، وتارة أنقض عليه انقضاض العقاب الجارح ، وتارة أنصب عليه انصباب النسيل الهادر ، ولازلت في أيامي كلها أرى المنية ، واليوم فقدت الصديق والمساعد ، وأفنيت ما أملك من مال ومتاع ، فأصبحت لا أرى الا أفاعى الغدر تنهش جسمي بسومها » (١) .

وبات الامير ليلته ، وفي الصباح بعث رسوله الى الجنرال حاكم الجزائر ومعه سيفه ، ولكن الجنرال أعاد السيف اليه ومعه ورقة ختمها بختمه على بياض ليضع الامير ما يريد من شروط .

طلب الامير أن يحملوه مع عائلته الى عكا أو الى الاسكندرية ، والا يتعرضوا لمن يرغب السفر معه من الضباط والجنود ، وأن ينال كل من بقي في الوطن الامان على نفسه وعرضه وماله . وهكذا تمت عملية استسلام الامير بعد أن أدى دورا بطوليا مشرفا استحق أن يسجله التاريخ بكل اعزاز في تلك الفترة المبكرة من الاستعمار الاوربي لشمال أفريقيا (٢) .

قبل الامير عبد القادر الجزائري الاستسلام في ديسمبر ١٨٤٧ بعد هذا الجهاد المرير الذي استمر قرابة سبع عشرة عاما ، وسجن الامير في

(١) الامير عبد القادر الجزائري ، سلسلة أبطال العرب ، ص ٦٠ .
(٢) جلال يحيى ، المغرب العربي الحديث والمعاصر ، ص ٥٨٠ - ٥٦٨ .

حصن فرنسي ، ثم سمح له بالسفر الى دمشق عام ١٨٥٢ حيث توفي هناك في عام ١٨٨٣ .

لكن الشعب الجزائري ورجال الطريقة القادرية لم نستسلموا برحيل الامير عبد القادر ، بل قامت الثورات في كل مكان ضد الفرنسيين الذين كانوا يسيطرون فقط على الساحل ففي الاقليم الشرقي مثلا تزعم بوزيان حركة المقاومة ، والتفت القبائل حوله ، وتحصنوا في واحتهم المنيعه ، ولم تستطيع القوات الفرنسية اقتحام المنطقة الا بعد قتال مرير ، وكانت المعارك تنتقل من شارع الى شارع ومن منزل الى آخر ، ولم تهدأ هذه القبائل الا بعد أن أزال الفرنسيون الواحة وأعدموا الزعيم بوزيان ، وكانت هذه الاعمال الوحشية التي اقترفها الفرنسيون سببا في اثاره الرأي العام الفرنسي نفسه (١) .

وظهر زعيم آخر في منطقة القبائل ويدعى بوبغلة الذي جمع أيضا القبائل من حوله وخصوصا قبائل الزوارا التي دافعت عن ديارها ضد المستعمر الفرنسي الذي استخدم أيضا نفس الاساليب الوحشية . وظهر زعيم ثالث هو محمد بن عبد الله الذي بايعه أصحاب الطرق الصوفية وزعماء القبائل ، وققاد الكفاح المسلح ضد الفرنسيين الذين اضطروا الى مواجهة هذه الثورات بأبشع وسائل القمع المسلح ، ولقد اشتد الكفاح الجزائري بعد هزيمة فرنسا أمام ألمانيا في عام ١٨٧١ حيث عمت الثورة في كل مكان ، كما ظهر زعيم جديد هو محمد المقراني وأخوه بومزراق ، واشتمرت الثورة مدة تسعة أشهر استخدم فيها الفرنسيون كل وسائل البطش والقمع حتى قضوا على الثورة ، وأعدموا قياداتها ، وكل هؤلاء الزعماء الذين تولوا القيادة ضد السيطرة الفرنسية يعكسون روح الجهاد الاسلامي ، ويرزون الدور الكبير الذي قامت به الطريقة القادرية في الجزائر .

لقد كانت حركة المقاومة الاسلامية لاتباع الطريقة الصوفية القادرية في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي مثلا من البطولة والاقدام ، تحمل فيها الشعب الجزائري المسلم عبء لنضال والكفاح ، ولم يهنا الفرنسيون في الجزائر ، بل واجهوا مقاومة في كل مكان ، وكان جهاد الامير ضد الفرنسيين نموذجا للمقاومة الاسلامية لكل أبناء الامة العربية وهي تخوض أنبل المعارك ضد الاستعمار والصهيونية العالمية في العصر الحديث .

« الخاتمة »

ان شخصية الامير عبد القادر لا تستمد قوتها من ذاتها وحدها ، بل انها تستمد عظمتها من شخصيات عاصرنها ، وتألفت معها ، حيث تعكس شخصية الزعيم شخصية كل جزائري ، وكان مفتاح هذه الشخصية أنها تملك السيطرة على النفوس ، وهى سيطرة لا تعتمد على القوة والارهاب ، وانما تعتمد على سيطرة روحية سلاحها المحبة للشعب والتفانى فى خدمته ، وإقامة أسس الحق والعدالة بين الناس بالقسطاس .

وكان الامير عبد القادر يتحلى بقوة النفس ، وشدة الاعصاب ، وبمقدار ما أظهرت من شجاعة وثبات فى المواقف التى تذهل العقول ، كما كانت لا تحيد عن المواقف الانسانية التى ورثها عن دينه ، وتقاليده شعبه فى معاملة الخوارج بالعمو واللين ، وفى معاملة أعدائه بالرفق والحسنى .

بدأ الامير حياته بالعلم ليكون عالما ، ولما هبت الثورة التى صار قائدها استبدال العلم بالسيف ، وضرب المثل الاعلى للعلماء الذين يعيشون بمعزل عن أحداث وطنهم ، وبعد أن أجهضت الثورة عاد الى القلم ، فازداد شغفه بالمطالعة التى زودته بالعلوم ومختلف الاداب ، فدرس كتب العلم والفلسفة اليونانية ، وتعمق فى دراسة الفقه الحديث والعلوم الاجتماعية (١) .

واشتهر الأمير عبد القادر بالهجوم المباغت الخاطف والسريع ، وكان هدفه من ذلك جعل العدو يشك فى خطته وبفقدته الاقدام ، ويشل حركته القتالية ، وقد حدث هذا الانقضاض على القوات الفرنسية فى التافنا ، وكانت هذه المباغته سببا فى حيرة الفرنسيين من تحركات جيش الامير وسرعة تنقلاته ، وهو الامر الذى جعل حكومة باريس تزيد من قواتها فى الجزائر لمواجهة هذا الامير والقضاء عليه حيث ارتفع عدد القوات الفرنسية قبل استسلام الأمير فى ٢٣ ديسمبر ١٨٤٧ من ٦٣ ألف جندي عام ١٨٣٩ الى

(١) الامير عبد القادر ، سلسلة أبطال العرب ، ص.١٥١ - ١٥٢ .

٨٣ ألف جندي عام ١٨٤١ والى ٦٠ ألف جندي عام ١٨٤٤ وأخيرا الى ثلث عدد الجيش الفرنسي بكامله أى حوالى ١٠٨ ألف جندي فى عام ١٨٤٦ • وكل هذه الزيادة فى عدد القوات الفرنسية ، وكثرة تغير القيادات انما يعطينا مؤشرا على صلابة المقاومة ، واستبسال الامير عبد القادر الجزائرى ورجاله أمام هذه القوة الاوربية الغازية (١)

لقد تحلى الامير عبد القادر بصفات القائد حيث كان القدوة والمثال فى ساحات الحرب ، وكان يعرف قدراته وامكانياته ، والوقت المناسب لاتخاذ القرار ولذا كان يتحمل تبعه أعماله ، فلم يعرف الفساد •• ولا يخدم نفسه بل يخدم الدولة كلها • يكره الرجل غير المستقيم ، ولم يلفت ظهره أبدا لعدو ، بل كان ينتظره بثبات ، وكان يحارب كما يحارب الجندي العادى موحدا جنوده بكلماته ومشاركاهم فى جميع الاخطار ، وهو فى شجاعته وايثاره وورعه يدفع جميع العيون ، ويذيب القلوب القاسية ، فالكمل يعترفون به سيدا ومعلما لهم (٢) •

وظل الامير عبد القادر الرجل الصدوق ، الصبور ، المتواضع ، كان يكره التحدث عن نفسه ، وكان يرفض الثناء على النجاح فى مهمته ، ويعارض خلفاءه اذا سعو للحصول على هدية أو مديح ، وكان مؤمنا برسالته ، واثقا من نفسه ، محافظا على كرامته ، حريصا على مواجهة المصاعب ، حازما فى اتخاذ القرارات والسرعة فى تنفيذها وكان الامير منضبطا فى حياته العسكرية ، كما كان صارما فى تنفيذ الاوامر ، ويراقب استعدادات جنده قبل القتال ، ويتفقد أحوالهم ويحل مشاكلهم ، ثم يحارب معهم فى خندق واحد ، ويشرف على تحركاتهم فى ساحة القتال حتى اذا شعر بأن المعركة خاسره ، وانسحب منها متحملا بمفرده المسئوليات (٣) •

وحشد الامير عبد القادر كل امكانياته فى المعارك حيث استشهد الكثير من رجاله دفاعا عن أوطانهم وأرضهم وكرامتهم ، فحاربوا الفرنسيين

(١) أديب حرب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٠ •
(٢) تشرشل ، العقيد هنرى شارل ، حياة الامير عبد القادر ترجمة أبو القاسم سعد الله ، الدار التونسية للنشر ، تونس فى عام ١٩٧٤ • وأيضا أبو القاسم سعد الله ، محاضرات فى تاريخ الجزائر الحديث ، بداية الاحتلال ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٧ •
(٣) أديب حرب ، مرجع سابق ، ص ٣٧٨ •

بإخلاص واندفاع لابعادهم عن الجزائر ، وكان الامير حريصا على تثبيت دعائم الامارة حرصا على اختيار ميدان القتال ، وكان يفرض على عدوه أرضا عرفها ، وأدرك صعوبة مماتها واستفاد من طبيعتها للمناورة العسكرية . وطبق الامير عنصر المباغتة في معظم معاركه حتى أنه دوح القواد الفرنسيين أمثال تريزول ودارلنج وبيجو ، وحقق النصر في غالبية المعارك التي خاضها والتي وصلت الى عشرين معركة .

لقد كان الامير عبد القادر مجددا متسامحا ، استعان بالاجانب لتطوير بلاده في النواحي التي شعر بأن امكانياته لا تمده بما يريد كاستغلال المعادن ، وضرب السكة ، وصناعة الاسلحة ، والنسيج وتدريب الجيش ، ورغم شدة تدينه فانه لم يكن متعصبا ، بل على العكس كان متسامحا مع من خالفه في الدين ، واشتهر الامير عبد القادر بحسن معاملة الاسرى .

لقد ظل الامير عبد القادر ثابتا على مبادئه حتى بعد أسره أو حتى بعد ذهابه الى الشام ، ولم يغير رأيه ، ولم يحقد على أحد ، وظل متساميا كريما سمحا نحو كل أعدائه السابقين ، وظل وفيا لمبادئ دينه ، فكان يقوم الليل ويعلم أبناءه على طريقة أبناء وطنه ، وكان مثالا لكل من زاره في سجنه حيث كان الناس يخرجون وقد انبهروا بشخصيته ، معجبين بعلمه وسماحته وتسامحه .

وبعد أن أدى الامير عبد القادر دوره البطولي في الجهاد ، واضطر الى الاستسلام في النهاية عاد الى القلم وازداد حبا في القراءة والاطلاع حيث كان الجانب العقلي عنده هاما ، فألف بعد خروجه من الجزائر عدة أعمال تاريخية ودينية وفلسفية فلقد كان كتابة « المواقف » مثالا لكتب الفلسفة الاسلامية العميقة والتي لازالت آراؤه فيه تحتاج الى دراسات وتعليقات ، كما أن كتابه « ذكرى العاقل وتنبيه الغافل » يضم عدة آراء فلسفية ودينية ، وهناك أيضا كتابه « المقرض الحاد تقطع لسان الطاعن في دين الاسلام من أجل الباطل والالحاد » وهو عبارة عن رسالة مطولة كتبها في المنفى داخل فرنسا يرد فيها على الطاعنين في الاسلام وقوانينه . كما كان الامير عبد القادر أول عربي جزائري ينظم الشعر الذي عبر فيه عن عواطفه بتعبير قوى مؤثر ، كما كان شعرب ماسيا يهدف الى وصف المعارك الحربية بالاضافة الى الحديث عن الفخر الذي يظهر في بعض قصائده :

لنا في كل مكرمة مجال ومن فوق السحاب لنا رجال
رفعنا ثوبنا عن كل لؤم وأقوالى تصدقها الفعال
فكم لى فيهم من يوم حرب به أفخر الزمان ولا يزال

وكان من الممكن أن يصبح الامير عبد القادر من بين المصلحين القلائل في العالم العربي والاسلامى في العصر الحديث لو أتاحت له الظروف الملائمة ، وكانت رسائله تدل على باع طويل في العلم والمعرفة ، وعلى قدرة فائقة في تبصر ومهما مكثوا فيها فانهم عابري سبيل ، ولو مكثوا ثلاثمائة عام مثل الاتراك فسينتهى الامر بخروجهم منها (١) .

ولقد صدقت نبؤة هذا المجاهد المسلم عندما استلهم الشعب الجزائري منه روح النضال والكفاح فأعلن الثورة على الفرنسيين في عام ١٩٥٤ ولم ينته عام ١٩٦٢ الا وقد حقق الجزائريون الاستقلال وأجبروا الفرنسيين على الرحيل من أرضهم .

(١) صلاح العقاد ، المغرب العربى ، ص ١٢٢ .

أولا : الوثائق :

١ - وثيقة رقم (١)

بيان من الجنرال (دانريمون) حاكم بلاد شمال افريقيا ، يوضح فيه بان فرنسا لن تتخلى عن الجزائر وبانه بعد سبع سنوات من الممارك حان الوقت لجنى الفائدة من احتلال الجزائر .

المصدر :

أرشف قسنطينة .

٢ - وثيقة رقم (٢)

مكتوبة بخط يد الامير الى الجنرال (بيجو) يطلب منه الالتزام بتنفيذ الصلح الذى وقع بينهم ووافق عليه سلطان الفرنسيس وتعهده له بالوفاء بما تم الاتفاق عليه في ٢٥ ربيع أول عام ١٢٥٤هـ .

المصدر :

أرشف ولاية قسنطينة - الجزائر .

٢ - وثيقة رقم (٣) :

الغزو الفرنسي للجزائر في وثيقة امريكية معاصرة منشورة في حويات كلية الاداب جامعة الكويت (الكويت ١٩٨٨م) .

ثانيا : المراجع العربية ولعربة :

- ١ - أبو القاسم سعد الله (دكتور) :
أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر . ج ١ ، الجزائر ١٩٨١ .
- ٢ - أبو القاسم سعد الله (دكتور) :
الحركة الوطنية الجزائرية . ج ٢ ، (١٩٧٧) .
- ٣ - أبو القاسم سعد الله (دكتور) :
محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال . (القاهرة ١٩٧٦) .
- ٤ - أبو العباس أحمد بن خالد الناصري :
الاستقصاء . ج ٩ ، (الدار البيضاء ، ١٩٥٦) .
- ٥ - أديب حرب :
التاريخ العسكري والاداري للامير عبد القادر (١٨٠٨ - ١٨٤٧) .
- ٦ - تشرشل : العقيد هنري شارل :
حياة الامير عبد القادر ، ترجمة أبو القاسم سعد الله (تونس، ١٩٧٤) .
- ٧ - جلال يحيى (دكتور) :
السياسة الفرنسية بالجزائر ، ١٨٣٠ - ١٩٦٠ (القاهرة ١٩٥٩) .
- ٨ - جلال يحيى (دكتور) :
المغرب العربي الحديث والمعاصر (الاسكندرية ١٩٦٣) .
- ٩ - شوقي الجمل :
المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (القاهرة ١٩٧٦) .
- ١٠ - صلاح العقاد (دكتور) :
المغرب العربي (القاهرة ١٩٦٠) .
- ١١ - محمد خير فارس (دكتور) :
تاريخ الجزائر الحديث (د.ت) .
- ١٢ - محمد عبد القادر الجزائري :
تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ، (بيروت ١٩٦٤) .

ثالثا : دوريات :

« الأمير عبد القادر الجزائري » .

* سلسلة أبطال العرب - العدد ١٣ - بيروت ١٩٧٥ .

رابعا : مراجع اجنبية :

- 1 — Arnaud, L. : Siege d'Madhi, (Paris 1864).
- 2 — Churchil, C. H. : The life of Abdul. Kader, 1867.
- 3 — Julien Ch. A. histaire de l'A lgerie Contemporaine, (Paris, 1964).
- 4 — Hardi, G. : Histaire des colones Francaise, (Paris, 1929).;
- 5 — Revie d'Histore moderne et contemporaine, (Paris, 1967) .
- 6 — Sholer William. Sketches of Algiers, Boston, 1826.
- 7 — Martin B. G. Moolem Brotherhoods in 19th century Africa, London, 1936.
- 8 — Lucas, Dubrelon : Bugeaud, Le Soldat, le depute, le Colonisa-
teur, (Paris, 1931).
- 9 — Valee to Min Sec. d'Etat au dep de la Guerre, 17 Aug., 1839
in ANP. F. 80. 16730 (Archives Nationales des Paris).

الكهرباء في اقليم غرب افريقيا

د. سلطان فولى حسن

المدرس بقسم الجغرافيا بالمعهد

مقدمة :

تعتبر الطاقة الكهربائية اتجا واستهلاكا احدى دعائم التنمية الاقتصادية والاجتماعية في معظم دول العالم ومن بينها دول القارة الافريقية بما فيها دول اقليم غرب افريقيا ، وهناك علاقة وثيقة بين معدل زيادة الدخل القومى ومعدل زيادة استهلاك الكهرباء بحيث اصبح من الممكن قياس تقدم الدول المختلفة بما يستهلكه الفرد من الكهرباء .

وتلعب الكهرباء دورا حيويا في مجالات النشاط الاقتصادى المختلفة ، ففي قطاع الصناعة تعتبر الكهرباء هى المحرك الرئيسى لأدوات الانتاج ، بل هناك بعض الصناعات التى تعتمد على الكهرباء كمادة خام كالصناعات الكهرو معدنية مثل تكرير الالومنيوم والنحاس والاسمدة الكيماوية والحديد والصلب وغيرها . وفي قطاع الزراعة تستخدم الكهرباء فى ادارة طلبات الري والصرف لرى الاراضى المنخفضة ، وبالتالي تسهم الكهرباء بشكل غير مباشر فى زيادة الانتاج الزراعى وتوفير الغذاء لمواجهة الزيادة السكانية الكبيرة فى دول العالم المختلفة .

وفي قطاع النقل والمواصلات تستخدم الكهرباء فى الجبر الكهربائى كالقطارات الكهربائية وخطوط المترو والترام ، وكذلك فى تشغيل جميع وسائل الاتصال .

والكهرباء طاقة ثانوية يتم انتاجها من المصادر الاولى كالفحم والبتروى والغاز الطبيعى والوقود النووى والقوى المائية والرياح والطاقة الشمسية وغيرها مع ملاحظة ان الكهرباء تختلف عن مصادر الطاقة الاخرى فى انها غير قابلة للتخزين .

وسنحاول فى هذا البحث التعرف على انتاج واستهلاك الطاقة الكهربائية بأنواعها المختلفة فى واحد من أقاليم القارة الافريقية وهو اقليم

غرب افريقيا متناولين في ذلك التعرف على مصادر الطاقة في القارة الافريقية من حيث الانتاج والاستهلاك ، ثم التعرف على انتاج واستهلاك الكهرباء في القارة الافريقية بايجاز ، وايضا التعرف على انتاج الكهرباء في غرب افريقيا اجمالا وبنوعيتها ثم انتاج الكهرباء على مستوى دول الاقليم ، كذلك التعرف على استهلاك الكهرباء في الاقليم .

ومع صعوبة الحصول على البيانات الاحصائية التفصيلية على مستوى دول الاقليم ، فقد حاولت قدر المستطاع جمع البيانات التي تخدم في اعطاء صورة واضحة وجليّة لانتاج واستهلاك الكهرباء في الاقليم .

تحديد الاقليم :

يعد اقليم غرب افريقيا من الاقاليم الجغرافية الرئيسية في القارة الافريقية يحده من الجنوب والغرب المحيط الاطلنطي ، ومن الشرق الكمرون ومرتفعات ادموا والتي تفصل ما بين غرب افريقيا وافريقيا الاستوائية . وحد الاقليم الشمالي اقل وضوحا من الحدود الاخرى . ومن ثم اعتمد البعض على خط المطر المتساوي ٢٥٠ مم كحد شمالي للاقليم ، وهذا الخط بصفة عامة يمكن القول بأنه يسير مع دائرة عرض ١٥°ش . ومن ثم فانه يدخل الاجزاء الجنوبية من كل من موريتانيا ومالي والنيجر ومن ثم فان هذا الخط لا يتمشى مع الدراسة اذ ان البيانات الاحصائية تأتي على مستوى الوحدات السباسبية . ومن ثم فاننا سنعتبر ان الحد الشمالي للاقليم يسير مع الحد الشمالي لكل من موريتانيا ومالي والنيجر .

وتقدر المساحة الاجمالية للاقليم بنحو ٦.٢ مليون كم^٢ ، أو ما يعادل نحو ثلثي مساحة الولايات المتحدة الامريكية . ويقدر عدد السكان بنحو ١٩٥ مليون نسمة في سنة ١٩٩١ - وتندرج كميات المطر في الاقليم من الاقاليم الاستوائية حيث تزيد كميات المطر السنوي عن ٢٠٠٠ مم سنويا بما يسمح بنمو الغابات الاستوائية والتي تأخذ في التدرج والتباعد مع انخفاض كميات الامطار حتى تصل الى حدود الصحراء بكميات الامطار المحدودة التي تقل عن ٢٥٠ مم من المطر السنوي وما بين الاثنين يوجد نطاق السافانا بأنواعه المختلفة .

ويضم اقليم غرب افريقيا سياسيا السبعة عشر دولة الاعضاء في
المجموعة الاقتصادية لغرب افريقيا «الأكواس»
Economic Community of West African States «E.C.O.W.A.S.»

وهذه الدول هي :

كوت ديفوار - مالي - موريتانيا - النيجر - السنغال -
بوركينا فاسو - بنين - راس فرد - جامبيا - غانا - غينيا - غينيا
بيساو - نيجريا - توجو - ليبريا - سيراليون •

الطاقة في افريقيا :

تساهم القارة الافريقية بنحو ٤٩٥١ مليون طن متري معادل
بترول (١) سنة ١٩٩٢ ، وهو ما يشكل نحو ٦.٥٪ من اجمالي انتاج
الطاقة في العالم بمصادرها المختلفة وهي بذلك تحتل المركز الرابع بين
قارات العالم في انتاج الطاقة اذ تأتي بعد كل من آسيا وامريكا الشمالية
واوربا ويليهما كل من امريكا الجنوبية واستراليا •

ويعد البترول هو المصدر الاساسي للطاقة في القارة الافريقية اذ يشارك
بمفرده بنحو ثلثي اجمالي الطاقة المنتجة بالقارة (٦٦٪) على حين يحتل
الفحم المركز الثاني بنصيب يقدر بنحو خمس اجمالي الطاقة المنتجة في
افريقيا ، بينما يساهم الغاز الطبيعي بنحو ١٣٪ ، بينما لا يزيد نصيب
الكهرباء عن ١٪ فقط من اجمالي الطاقة المنتجة في القارة الافريقية في عام
١٩٩٠ وبمعنى آخر يمكن القول ان البترول والغاز الطبيعي يساهمان
معاً بنحو $\frac{4}{5}$ انتاج الطاقة في القارة الافريقية ، بينما يساهم الفحم
والكهرباء بنوعيهما بالخمس الباقي •

وعلى الرغم من أن القارة الافريقية تشارك بنحو ٦.٥٪ من اجمالي
انتاج الطاقة في العالم الا انه يلاحظ ان القارة الافريقية لا يزيد نصيبها من
الطاقة المستهلكة في العالم عن ٢.٧٪ في سنة ١٩٩٠ اذ قدر حجم استهلاكها
بنحو ١٩٢٣ مليون طن متري معادل بترول موزعة على مصادر الطاقة
المختلفة حيث يساهم الفحم بنحو ٣٦.٧٪ من الطاقة المستهلكة في القارة

U.N. Energy Statistics Year Book, New York, 1992, p. 56. (١)

بينما يساهم البترول والغاز الطبيعي بنحو ٦١٪ على حين تساهم الكهرباء بنحو ٣٢٪ .

وعلى الرغم من ضآلة نصيب القارة الافريقية في انتاج الطاقة بمصادرها المختلفة الا ان القارة تساهم بنحو ١٣٢٪ من اجمالي صادرات الطاقة ممثلة على وجه الخصوص في صادرات البترول والغاز الطبيعي . بما يجعلها تحتل المركز الثالث بين قارات العالم في تصدير الطاقة بعد كل من آسيا وأوروبا . ويعد هذا مؤشرا على التخلف الصناعي في القارة اذ أنه من المعلوم ان هناك علاقة وثيقة بين استهلاك الطاقة وبين النمو الاقتصادي . ومن ناحية أخرى فقد تبين ان القارة الافريقية لا تشارك في واردات الطاقة الا بنسبة محدودة لا تزيد عن ٢٪ من اجمالي الواردات وهذه تتمثل على وجه الخصر في المنتجات البترولية (**) .

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول ان القارة الافريقية تتميز بأنخفاض نصيبها في انتاج الطاقة بمصادرها المختلفة ، وعلى الرغم من هذا فان القارة لا تستهلك ما تنتجه كنتيجة طبيعية للتخلف الاقتصادي والاجتماعي حيث لا يزال الاعتماد على الخامات الأولية الزراعية والتعدينية وحداثة القارة في المجال الصناعي ، ومن ثم فان الصناعة - مع ملاحظة ان الصناعة هي القطاع الرئيسي في استهلاك الطاقة بمصادرها المختلفة - لا تزال في مراحلها الاولى في جل الدول الافريقية - وأن أغلب الصناعات القائمة ممثلة في الأساس في صناعات اعداد الخامات الزراعية والمعدنية وهي صناعات قليلة الاستهلاك من الطاقة .

ويفسر لنا ما سبق ضآلة نصيب الفرد في القارة الافريقية من الطاقة ، فعلى حين يصل متوسط نصيب الفرد من الطاقة على مستوى العالم نحو ١٣٥٢ كيلو جرام معادل بترول في ١٩٩٠ ، نجد ان متوسط نصيب الفرد من الطاقة في القارة الافريقية لا يزيد عن خمس المتوسط العالمي (٢٩٩ كجرام معادل بترول) .

(**) تجدر الإشارة الى ان ما يقرب من ربع دول القارة الافريقية لا يملك معامل تكرير البترول ويعتمد في سد احتياجاته من المنتجات البترولية على الواردات من الخارج .

الكهرباء في افريقيا :

يبلغ انتاج قارة افريقيا من الكهرباء نحو ٣٢٥ مليار ك.و.س سنة ١٩٩١ وهو ما يعادل نحو ٢.٩٪ من اجمالي انتاج الكهرباء في العالم ، وهذا القدر يعد ضئيل للغاية اذ قورن بإمكانيات القارة الافريقية الهائلة الممكن توليد الكهرباء منها لا سيما الطاقة الكهرومائية حيث يتوفر العديد من المساقط المائية المناسبة لانشاء السدود وتوليد الكهرباء .

لكننا نجد الصورة على العكس تماما اذا نظرنا الى تركيب الكهرباء في القارة الافريقية نلاحظ ان اكثر من $\frac{1}{3}$ الطاقة الكهربائية المولدة تأتي من المحطات الحرارية على حين تساهم الكهرباء المائية بأقل من خمس الكهرباء المنتجة بالقارة ، وتساهم المصادر الاخرى كالمحطات النووية أو الحرارية الارضية بالنسبة الضئيلة الباقية .

بلغت القدرة المركبة (*) لاتاج الكهرباء في القارة الافريقية بنحو ٧٢٧ مليون م.و وهو ما يعادل نحو ٢.٧٪ من القدرة المركبة لاتاج الكهرباء في العالم وهي بهذا تأتي في المركز قبل الاخير بين قارات العالم قبل استراليا وتوزع هذه القدرة على المصادر المختلفة ، اذ تشارك الكهرباء الحرارية بنحو ٧٢٪ من اجمالي القدرة المركبة في القارة الافريقية بينما يصل نصيب الكهرباء المائية الى نحو ٢٦.٦٪ من اجمالي القدرة المركبة في القارة الافريقية في سنة ١٩٩٠ وتتوزع النسبة الباقية على الكهرباء النووية والحرارية الارضية (***) .

وقد شهدت القارة الافريقية أكبر معدلات نمو في انتاج الكهرباء خلال فترة ما بعد الاستقلال اذا ركزت معظم الدول الافريقية في وضع خطط التنمية الاقتصادية لاسيما الاتجاه نحو التصنيع اذ ادركت اهمية تصدير منتجاتها في صورة مصنوعة أو على الاقل نصف مصنوعة فقامت فيها العديد من المشروعات الخاصة باعداد الخامات الزراعية وتجهيز الصادرات المعدنية وقد تطلب هذا بالضرورة توفر الطاقة الكهربائية ، ومن ثم فقد احتوت

(*) القدرة المركبة هي طاقة المولدات الكهربائية ومقاس بالكيلو وات والميجاوات وهي تعطي فكرة عن حجم المحطة .

(**) يقتصر وجود المحطات النووية على جمهورية جنوب افريقيا على حين يقتصر وجود المحطات الحرارية الارضية على كينيا فقط وهي محطة ذات قدرة محدودة .

خطط التنمية الاقتصادية على العديد من مشروعات توليد الكهرباء سواء انشاء محطات حرارية أو مشروعات سدود لتوليد الكهرباء المائية هذا بالإضافة الى قيام الدول الافريقية بإقامة مشروعات لكهربة الريف وتوصيل الكهرباء الى المناطق الريفية من اجل العمل على تطوير هذه المناطق وللمساعدة في الحد من هجرة سكان الريف الى المدن . وقد ترتب على هذا زيادة ونمو انتاج الكهرباء في القارة الافريقية وعلى سبيل المثال فقد قدر انتاج الكهرباء في سنة ١٩٥٠ بنحو ١٤٠٧ ك.و.س. كانت الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٩٢٪ منها على حين كانت الكهرباء المائية تشكل النسبة الباقية زاد الانتاج سنة ١٩٦٠ الى نحو ٣٦ مليار ك.و.س. ثم الى نحو ٨٧٤ مليار ك.و.س في سنة ١٩٧٠ كانت الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٧١٪ منها بينما كانت الكهرباء المائية تساهم بالنسبة الباقية مما يدل على التوسع الكبير خلال هذه الفترة في انشاء السدود وبالتالي توليد الطاقة الكهربائية. يلاحظ نمو انتاج القارة من الطاقة الكهربائية من ١٢ مليار ك.و.س. سنة ١٩٥٠ الى نحو ٢٥ مليار ك.و.س في سنة ١٩٧٠ اي (١) تضاعف نحو ٢٠ مرة .

وقد قدر اجمالي انتاج القارة الافريقية من الكهرباء بنوعيتها في سنة ١٩٨٠ بنحو ١٨٦ مليار ك.و.س ثم أخذت في النمو التدريجي المستمر حتى بلغ اجمالي انتاج الكهرباء نحو ٣٢٥ مليار ك.و.س في سنة ١٩٩١م وكانت الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٨٢٪ منها وتشارك المصادر الاخرى بالنسبة الباقية .

ويمكن ان تبين ذلك من الجدول التالي :

انتاج الكهرباء في افريقيا حسب النوع
١٩٨٠ — ١٩٩١ مليار ك.و.س (٢)

النوع	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
حرارية	١٢٤٩	١٤٠٦	١٤٦٨	١٦٢١	١٧٣٨	١٩٤٥
	٢٢٤٩	٢٣٥٧	٢٤٨	٢٥٧٤	٢٦١٢	٢٦٧١
مائية	٦١	٥٣٤	٥٣٥	٥١٢	٤٦٢	٤٥٧
	٤٦٨	٤٦٧	٤٦٩	٤٧٨	٤٩٦	٥٣٣
اجمالي	١٨٦	١٩٤	٢٠٠٣	٢١٣٣	٢٢٠	٢٤٠٢
	٢٧١٧	٢٨٢٤	٢٩٤٩	٣٠٥٢	٣١٠٨	٣٢٠٤

(١) — U.N. Statistical Yearbook, New york 1975, p. 575.

(٢) سنوات مختلفة من

ويلاحظ من الجدول السابق ان الكهرباء الحرارية اخذت في النمو المستمر خلال الفترة من ١٩٨٠ حتى سنة ١٩٩١ بينما يلاحظ ان الكهرباء المائية حققت اعلى معدلات انتاجها في سنة ١٩٨٠ ثم انخفضت وحققت أقل حجم انتاج لها في سنة ١٩٨٥ ويمكن ارجاع ذلك في الاساس الى حدوث الجفاف خلال الفترة من ١٩٨١ - ١٩٨٥ م مما ترتب عليه حدوث عجز في المياه اللازمة لتوليد الكهرباء .

انتاج الكهرباء في غرب افريقيا :

١ - القدرة المركبة :

يصل اجمالي القدرة المركبة لانتاج الكهرباء في افريقيا الى نحو ٧٢ر٦ مليون م.م وتشكل الكهرباء الحرارية نحو ٧٢٪ من اجمالي القدرة المركبة لتوليد الكهرباء في افريقيا على حين تشكل الكهرباء المائية نحو ٢٦ر٥٪ من اجمالي القدرة المركبة بالقارة ، وتشكل الكهرباء النووية والحرارية الارضية النسبة الباقية (١) .

ويتباين توزيع قدرات توليد الكهرباء من اقليم الى آخر بين اقاليم القارة اذ يأتي اقليم جنوب افريقيا في المركز الاول بين اقاليم القارة اذ يمتلك ما يقدر بنحو ٤٦ر٢٪ من قدرات توليد الكهرباء في القارة الافريقية مع ملاحظة ان الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٧٩٪ من هذه القدرات .

ويأتي اقليم شمال افريقيا في المركز الثاني بين اقاليم القارة الافريقية من حيث قدرات توليد الكهرباء اذ يمتلك نحو ٣٥٪ من قدرات توليد الكهرباء في افريقيا مع ملاحظة ان الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٨٥٪ من قدرات توليد الكهرباء في الاقليم . ويحتل اقليم غرب افريقيا المركز الثالث بين اقاليم القارة بقدرة تصل الى نحو ١٠ر٦٪ من اجمالي قدرات التوليد في القارة مع ملاحظة ان الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٤٦ر٣٪ من قدرات توليد الكهرباء في الاقليم وتشكل الكهرباء المائية ٥٣ر٧٪ .

(١) الارقام من U.N. Energy Statistics Year book, op. cit. p. 760. والنسب من حساب الباحث .

وتحتل نيجيريا المركز الاول بين دول اقليم غرب افريقيا من حيث القدرة المركبة لتوليد الكهرباء اذ تمتلك بمفردها أكثر من نصف القدرة المركبة لتوليد الكهرباء في الاقليم ، وتأتي غانا في المركز الثاني اذ يصل نصيبها الى نحو ١٥.٥٪ وتأتي كوت ديفوار في المركز الثالث بنصيب يصل الى نحو ١٥٪ وبذلك يصل نصيب الدول الثلاث الى ما يقرب من ٨٤٪ من اجمالي القدرة المركبة في الاقليم .

٢ - الانتاج :

يختلف توزيع الانتاج الفعلي للكهرباء على مستوى الاقاليم الافريقية عن القدرة المركبة ويحتل اقليم جنوب افريقيا المركز الاول بين اقاليم القارة من حيث انتاج الكهرباء في سنة ١٩٩٠ فقد قدر نصيب الاقليم من انتاج الكهرباء في افريقيا بنحو ٥٩٪ من اجمالي الانتاج مع ملاحظة ان انتاج الكهرباء بالاقليم يتركز بصفة اساسية في الكهرباء الحرارية ويرجع ذلك لقلة المجارى المائية الدائمة الجريان التي تمكن من قيام مشروعات كبيرة لتوليد الكهرباء ومن ثم فان الكهرباء الحرارية تعد هي عماد الكهرباء المولدة في الاقليم اذ تساهم بنحو ٩١٪ بينما لا تساهم الكهرباء المائية الا بنحو ٧.٥٪ في عام ١٩٩٠ وتشارك الكهرباء النووية بالنسبة الباقية ..

ويحتل اقليم شمال افريقيا المركز الثاني بين اقاليم القارة الافريقية في انتاج الكهرباء حيث بلغ نصيبه في عام ١٩٩٠ نحو ٢٩٪ من اجمالي انتاج القارة الافريقية ، وتشارك الكهرباء الحرارية ايضا بالنصيب الاكبر من انتاج الكهرباء اذ تساهم بنحو ٨٩٪ وهذا راجع في الاساس الى قلة المجارى المائية الدائمة الجريان وان وجدت فهي قصيرة قليلة الصرف كما هو الحال في المملكة المغربية .

ويحتل اقليم غرب افريقيا المركز الثالث بين اقاليم القارة الافريقية اذ يقدر نصيب الاقليم بنحو ٦.٥٪ فقط من انتاج القارة الافريقية من الكهرباء وهذا نصيب قليل بالقياس لعدد الوحدات السياسية للاقليم ومساحته وعدد سكانه . وتشكل الكهرباء الحرارية نحو ٥٣٪ من اجمالي الكهرباء المنتجة بالاقليم على حين تشكل الكهرباء المائية النسبة الباقية .

ويتركز الانتاج بصفة أساسية في نيجيريا التي تساهم بنحو ٤٨٧٪ من اجمالي انتاج الاقليم ، ثم تأتي غانا في المركز الثاني بنصيب يصل الى ربع انتاج الاقليم من الكهرباء . وتأتي كوت ديفوار في المركز الثالث وتساهم الدول الثلاث المذكورة بنحو ٨٦٢٪ من اجمالي انتاج اقليم غرب افريقيا من الكهرباء .

وتجدر الإشارة الى ان نيجيريا تساهم بنحو ثلاثة أرباع انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية على حين تساهم غانا بنحو ٥٥٪ من انتاج الاقليم من الكهرباء المائية .

الكهرباء الحرارية في غرب افريقيا

Thermal Electricity in West Africa

بلغ انتاج الكهرباء الحرارية في الاقليم نحو ١٠ر٩ مليار ك.و.س سنة ١٩٩١^(١) وهي بذلك تشكل نحو ٥١٪ من اجمالي انتاج الاقليم من الكهرباء . وقد شهدت الكهرباء الحرارية تطورا كبيرا في السنوات الاخيرة وعلى سبيل المثال زاد الانتاج من ٦ مليار ك.و.س سنة ١٩٨٠ الى ١٠ر٢ مليار ك.و.س في سنة ١٩٨٣ واستمرت في النمو حتى حققت اعلى معدلات الانتاج في سنة ١٩٨٧ حيث بلغ الانتاج نحو ١١ر٢ مليار ك.و.س وهو أكبر حجم انتاج خلال الفترة من ٨٠ - ١٩٩١ .

ويمكن ان نلاحظ على الكهرباء الحرارية في الاقليم ما يلي :

في سنة ١٩٨٠ كانت الكهرباء الحرارية في الاقاليم مركزة بصفة اساسية في كل من نيجيريا والتي كانت تساهم بمفردها بنحو ٥٥٪ من اجمالي انتاج الكهرباء الحرارية (بلغ انتاجها من الكهرباء الحرارية نحو ٣٣ مليار ك.و.س في هذا العام) بينما كانت ليبيريا في المركز الثاني اذ بلغ انتاجها من الكهرباء الحرارية بنحو ١٠٪ من اجمالي انتاج الكهرباء الحرارية في الاقليم ثم السنغال في المركز الثالث بنصيب يصل الى نحو ٩٢٪ . وبذلك تساهم الدول الثلاث المذكورة بنحو ثلاثة أرباع انتاج الكهرباء الحرارية في الاقليم .

في سنة ١٩٨٥ بلغ اجمالي انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية نحو ١٠ر٧ مليار ك.و.س وبذلك كانت الكهرباء الحرارية تشكل نحو ٥٨٢٪

Ibid, p. 475.

(١)

من اجمالي انتاج الكهرباء في الاقليم • وكانت نيجيريا ايضا تحتل المركز الاول بين دول الاقليم في انتاج الكهرباء الحرارية اذ بلغ انتاجها نحو ٧٢٪ من اجمالي انتاج الاقليم وكانت السنغال في المركز الثاني بنصيب يصل الى نحو ٧٪ من اجمالي انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية ثم كوت ديفوار في المركز الثالث بنصيب يصل الى نحو ٢٫٦٪ من اجمالي انتاج الكهرباء الحرارية في الاقليم •

في سنة ١٩٩١ شكلت الكهرباء الحرارية المولدة في الاقليم نحو ٥١٪ من اجمالي الكهرباء المولدة فكانت نيجيريا تحتل المركز الاول بنسبة ٧١٪ من اجمالي انتاج الاقليم على حين احتلت كوت ديفوار المركز اثناني بنسبة ٢٫٧٪ من اجمالي انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية وجاءت السنغال في المركز الثالث بنسبة ٢٫٩٪ وبذلك يصل نصيب الدول الثلاث المذكورة الى نحو ٨٥٪ من اجمالي انتاج الكهرباء الحرارية في الاقليم ويمكن ان يتبين ذلك من الجدول لتالي :

انتاج الكهرباء الحرارية في غرب افريقيا (مليون ك.و.س) (١)

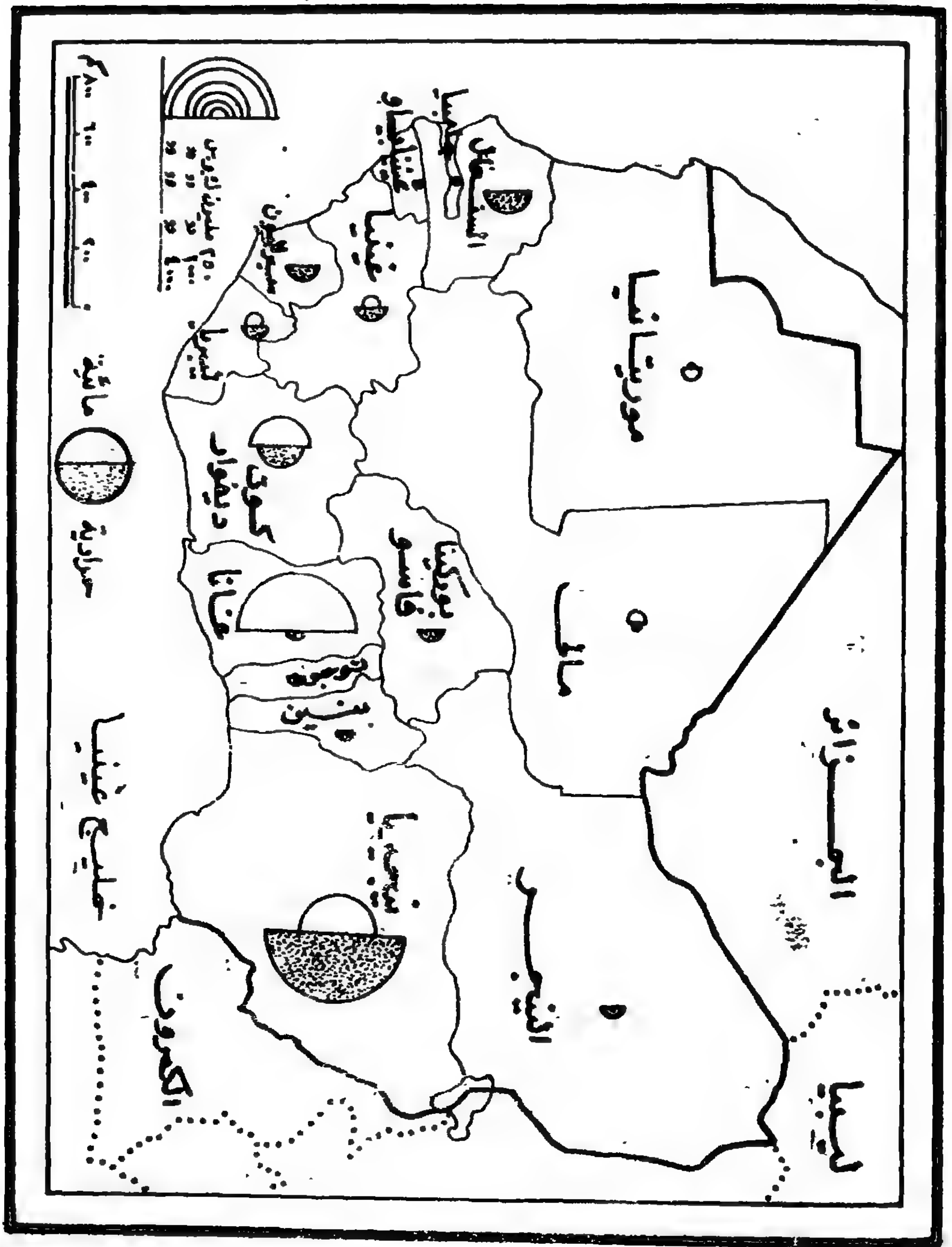
السنة	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥
الانتاج	٦٠٣٩	٦١٨٢	٦٣٠١	١٠٢٣٤	١٠٣٧١	١٠٧٢٥
السنة	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١
الانتاج	١٠٩٥٧	١١٢١٢	١١٠٦٤	١٠٨٥٠	١٠٧٦٥	١٠٩٢٠

الكهرباء المائية في غرب افريقيا :

شهد انتاج الكهرباء المائية في اقليم غرب افريقيا تذبذبا ملحوظا وذلك راجع في الاساس الى الذبذبات المناخية التي شهدتها المنطقة ولاسيما ظروف الجفاف التي شهدتها الاقليم خلال الاعوام ١٩٨٣ - ١٩٨٥

ويجدر الاشارة الى أن الاقليم حقق اعلى المعدلات في انتاج الكهرباء المائية في عام ١٩٨١ (١١٣١ مليار ك.و.س) بينما حقق أقل المعدلات خلال عام ١٩٨٤ (٦٠٥ مليار ك.و.س) وبذلك لم يمثل انتاج السنة الاخيرة الا أقل من نصف انتاج عام ١٩٨١ - وهو ما يمكن ملاحظته من الجدول التالي :

انتاج الكهرباء حسب النوع في دول غرب أفريقيا ١٩٩٠



انتاج الكهرباء المائية في غرب افريقيا (مليون ك.و.س)
١٩٨٠ - ١٩٩١

السنة :	١٩٨٠	١٩٨١	١٩٨٢	١٩٨٣	١٩٨٤	١٩٨٥	١٩٨٦
الانتاج :	١٠٦٤٤	١١٣٣٤	١١١١٩	٦٢٩٣	٥٥٥٧	٧٦٣٢	٨٤٩١
السنة :	١٩٨٧	١٩٨٨	١٩٨٩	١٩٩٠	١٩٩١		
الانتاج :	٨٦١١	٩٠٠٢	٩٧١٤	٩٦٦٢	١٠٤٧٤		

ومن الجدول يمكن أن نلاحظ الاتي :

بلغ اجمالي انتاج الكهرباء المائية نحو ١٠ر٦ / مليار ك.و.س في سنة ١٩٨٠ وهو ما يعادل نحو ٦٣ر٥ / من اجمالي انتاج الكهرباء في غرب افريقيا في هذا العام . وكانت غانا تأتي على رأس دول الاقليم في انتاج الكهرباء المائية اذ بلغ انتاجها نحو ٣ر٥ مليار ك.و.س وهو ما يعادل نحو نصف انتاج الاقليم . وكانت نيجيريا تحتل المركز الثاني بحجم انتاج قدر نحو ٣ر٦ مليار ك.و.س أي نحو ثلث انتاج الاقليم من الكهرباء المائية واحتلت كوت ديفوار المركز الثالث بحجم انتاج ١ر٤ مليار ك.و.س وهو ما يعادل ١٣ر٢ / من اجمالي انتاج الاقليم من الكهرباء المائية ، وبذلك تساهم الدول الثلاث المذكورة بنحو ٩٦ / من انتاج الاقليم من الكهرباء المائية في هذا العام .

* بلغ انتاج الاقليم ٧ر٦ مليار ك.و.س في سنة ١٩٨٥ وهو ما يعادل نحو ٤٢ / من انتاج الكهرباء في الاقليم وكانت غانا في المركز الاول بحجم انتاج قدر بنحو ٣ مليار ك.و.س بنسبة تصل ٣٩ر٥ / من انتاج الاقليم ، ونيجيريا في المركز الثاني بنسبة ٢٨ر٦ / وكوت ديفوار في المركز الثالث بحجم انتاج قدر بنحو ١ر٩ مليار ك.و.س أي ما يعادل ربع انتاج الاقليم وبذلك ساهمت الدول الثلاث المذكورة بنحو ٩٢ر٢ / من انتاج الاقليم من الكهرباء المائية (١) .

* في سنة ١٩٩١ حدث زيادة في انتاج الاقليم من الكهرباء المائية بالمقارنة بسنة ١٩٨٥ ، حيث بلغ انتاج الاقليم نحو ١٠ر٥ مليار ك.و.س وهو ما يعادل نحو ٤٩ / من انتاج الاقليم من الكهرباء في هذا العام

وقد تركز الانتاج في الدول الثلاث المذكورة سابقا وجاءت غانا في المركز الاول بحيث بلغ انتاجها نحو ٦١ مليار ك.و.س أى ما يعادل ٥٩٪ من انتاج الاقليم من الكهرباء المائية بينما احتلت نيجيريا المركز الثانى بحجم انتاج قدر بنحو ٢٢ مليار ك.و.س وهو ما يعادل أقل قليلا من خمس انتاج الاقليم وجاءت كوت ديفوار في المركز الثالث بين دول الاقليم اذ بلغ انتاجها نحو ١٦ مليار ك.و.س أى ما يعادل نحو ١٥٤٪ من انتاج الكهرباء المائية في غرب افريقيا وبذلك تساهم الدول الثلاث المذكورة بنسبة ٩٥٪ من انتاج غرب افريقيا من الكهرباء المائية .

توزيع انتاج الكهرباء في دول الاقليم :

يمكن تقسيم دول غرب افريقيا الى عدة فئات حسب حجم الانتاج في عام ١٩٩١ وهذه المجموعات هي :

أولا - الدول التى يزيد حجم انتاجها عن مليار ك.و.س سنويا :

وتضم هذه المجموعات ثلاث دول هي نيجيريا ، وغانا وكوت ديفوار وتساهم الدول الثلاث بنحو ٨٦٤٪ من اجمالى انتاج الكهرباء في الاقليم وتتميز هذه المجموعة بتنوع الكهرباء بها ما بين كهرباء مائية اذ تساهم بما يقرب من ٩٥٪ من اجمالى انتاج الاقليم منها بينما تساهم باكثر من ثلاثة ارباع انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية .

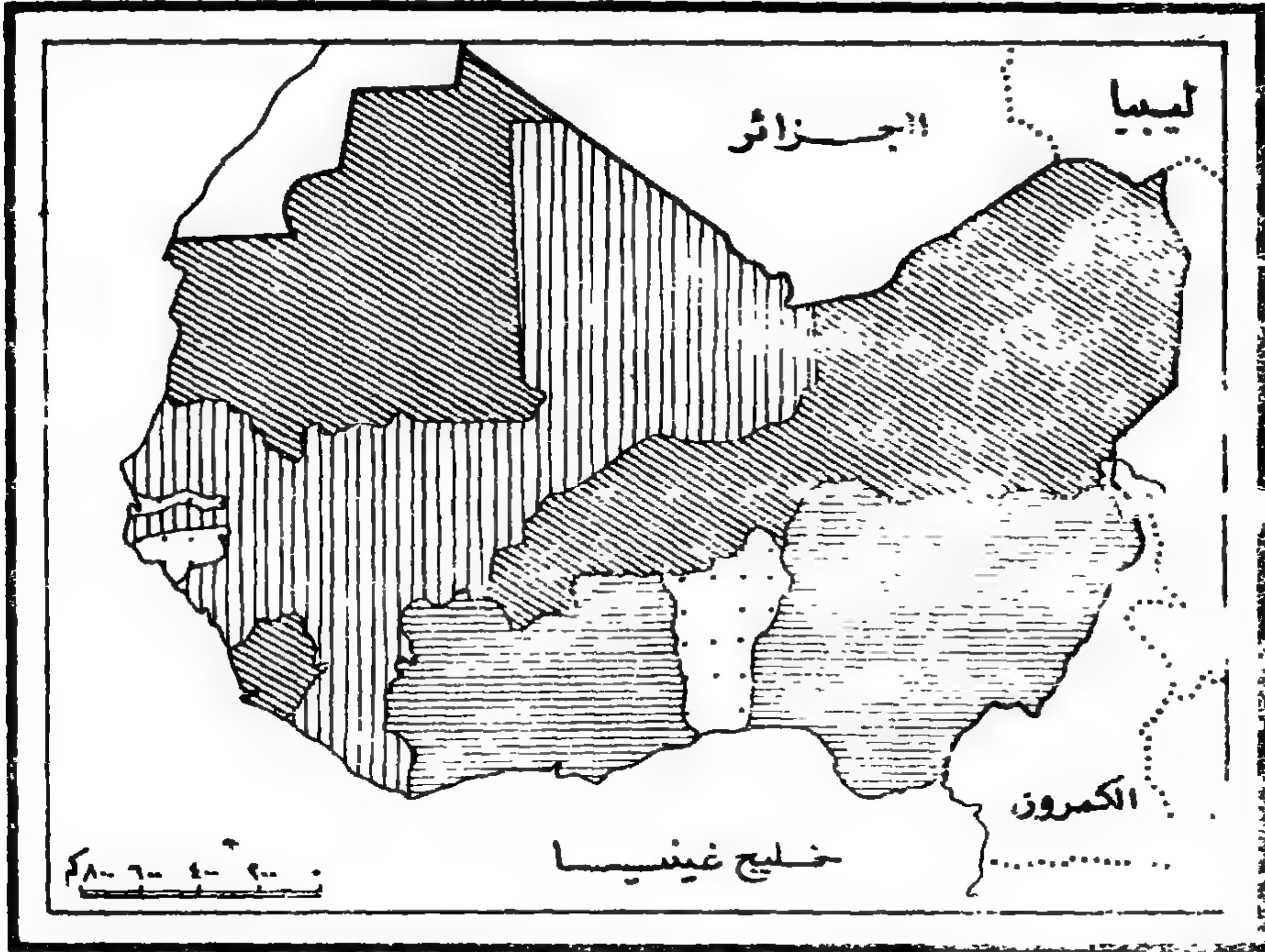
(١) نيجيريا :

بلغ انتاج الكهرباء في نيجيريا في سنة ١٩٩١ نحو ٩٩٥٥ مليون ك.و.س وهو ما يعادل حوالى ٤٧٪ من اجمالى انتاج اقليم غرب افريقيا من الكهرباء وتشارك الكهرباء الحرارية باكثر من ٣/٤ انتاج نيجيريا من الكهرباء وبالرغم من ذلك فان انتاج الكهرباء في نيجيريا لا يكفيها وفي حاجة شديدة لزيادة انتاجها من الكهرباء اذ أصبح من الاشياء المألوفة انقطاع الكهرباء يوميا في معظم الولايات^(١) .

ونظرا لتوفر الغاز الطبيعى والبتترول فان المحطات الحرارية التى تعمل بالغاز الطبيعى هى المنتج الاول للكهرباء في نيجيريا فقد قدر انتاج الغاز

Europa publications, Africa South of the Sahara, 19th edit., (١)
London 1990, p. 781.

تصنيف دول غرب أفريقيا الى فئات حسب إنتاج الكهرباء ١٩٩٠



> من مليار و٥٠٠ مليون سنوياً
 من ١٠٠ مليون ك.و.س. سنوياً
 من ١٠٠ مليون ك.و.س. سنوياً
 من ١٠٠ مليون ك.و.س. سنوياً

الطبيعي في سنة ١٩٨٠ بـ ٧٦٨١ بليون قدم ٣ لا يستغل منها سوى نحو ٨٦ مليون قدم ٣ فقط ويتم حرق الباقي دون الاستفادة منه . ويقدر ان المحطات الحرارية تستهلك نحو ٩٠٪ من اجمالي الغاز الطبيعي المستهلك في البلاد خلال تلك الفترة ويتم استهلاكها عن طريق هيئة الكهرباء النيجيرية : Nigerian Electric Power authority

بينما يستهلك الجزء الباقي عن طريق مستهلكين صغار لاسيما في الأنشطة الصناعية مثل مصانع البيرة والاسمنت والزجاج وخصوصا تلك الصناعات التي تتوطن بالقرب من حقول البترول والغاز في منطقة داتا النيجر .

وقد زاد استهلاك الغاز الطبيعي الى ما يعادل ١٥٪ من اجمالي الغاز المنتج في سنة ١٩٨٥ وهذه الزيادة يمكن ارجاعها في الاساس الى زيادة استهلاك الكهرباء الحرارية المولدة من محطات تعمل بالغاز للعمل على سد الطلب المتزايد من الكهرباء .

ومن المتوقع ان يستمر قطاع الكهرباء في احتلال المركز الاول في استهلاك الغاز الطبيعى في نيجيريا حتى نهاية هذا القرن ويمكن ان يتبين ذلك من الشكل والجدول التاليين :

**استهلاك الغاز الطبيعى في توليد الكهرباء في نيجيريا
١٩٨٠ - ٢٠١٠ (١)**

السنة	كميات الغاز المستهلكة (مليون طن معادل بترول)	% من اجمالى الاستهلاك المحلى
١٩٨٠	١١٠	٤١.٥١%
١٩٨٥	١٢٤٧	٤٥.٥
١٩٩٠	٤٣٤٧	٤٨.٩
١٩٩٥	٧١٥٨	٤٩.٥
٢٠٠٠	٧٤٣٢	٤١.٢
٢٠٠٥	٨٤٢٤	٣٥.٤
٢٠١٠	٨٩٣٥	٢٨.٨

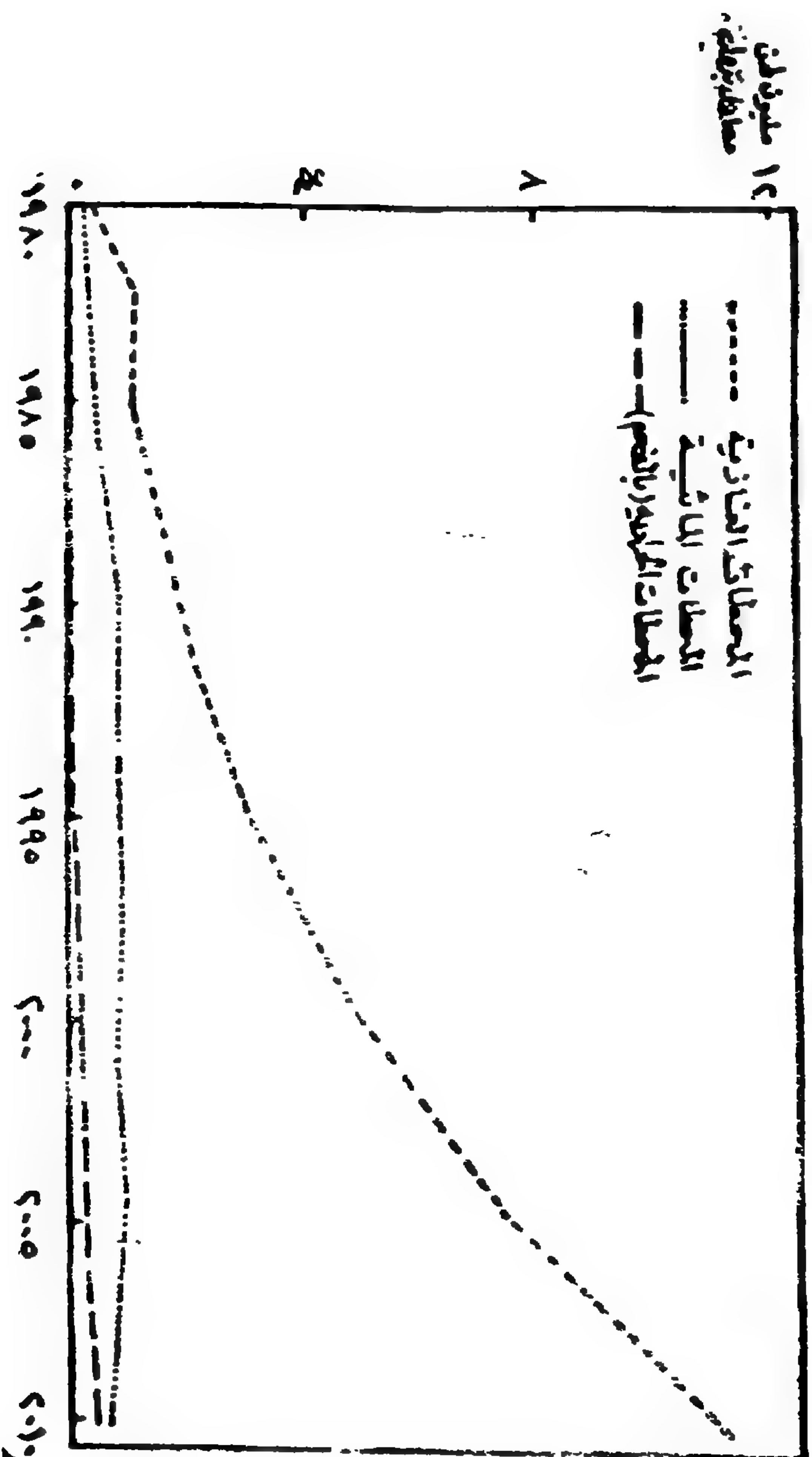
ومن المتوقع ان يستمر قطاع الكهرباء في استهلاك الجزء الاكبر من انتاج الغاز الطبيعى في نيجيريا حتى نهاية هذا القرن كما هو موضح في الشكل ، وربما يشجع استهلاك المحطات الحرارية التى تعمل بالغاز على مد شبكات نقل الغاز الطبيعى الى مناطق جديدة وبعيدة عن حقول الانتاج .

وقد أكدت بعض الدراسات ان نيجيريا ستصبح فى حاجة الى زيادة القدرة المركبة لتوليد الكهرباء باضافة نحو ٥٠٠ م. و جديدة وعند عقد مقارنة بين تكاليف اضافة هذه القدرة من خلال محطات حرارية تعمل بالغاز فان تكاليف سعر ك . و . س تقدر بنحو ٣ سنت امريكى ونحو ٨ سنت فى حالة انشاء محطات حرارية تعمل بالفحم المستخرج من المناجم السطحية المكشوفة : Open pit coal ونحو ٨ سنت فى حالة محطات حرارية تعمل بالفحم المعدل من الاعماق Under ground mines

وبناء على ما سبق فمن المتوقع ان يكون المستقبل فى توليد الكهرباء معتمدا على الغاز الطبيعى اذ من المقدر ان يزيد استهلاك المحطات الحرارية التى تعمل بالغاز من ١٥٥ مليون قدم^٣/ى فى سنة ١٩٨٥ الى نحو ٧٥٣ مليون قدم^٣/ى فى سنة ٢٠١٠ وذلك مع التوسع فى مد شبكات

Felix, b. Dayo & Anthony, O., Utilization of Nigerian Natural Gas Resources Energy Policy, April 1988, p. 125.

إستهلاك الفئان الطَّبِيعِي فِي تَوَلِيدِ الْكِرْبَاءِ فِي نِيَجِيَرِيَا



نقل الغاز للمحطات الحرارية البعيدة • من أوضح الامثلة على ذلك خط الانابيب الذى يتم من خلاله تغذية محطة Igbín بالقرب من لاجوس (١) •

ومن أهم المحطات الحرارية التى تعمل بالغاز محطة AFAN والتى تقدر قدرتها المركبة بنحو ٧٤٢ م.و ومحطة Saple ٦٩٦ م.و واصغرها محطة لاجوس القديمة ٦٠ م.و ومحطة Igbín وهى أكبرها من حيث القدرة اذ تصل قدرتها المركبة الى نحو ١٣٢٠ م.و ويتم تغذيتها بالغاز الطبيعى من حقل Escravos وهناك محطة حرارية تعمل بالفحم وتصل قدرتها المركبة الى نحو ١٥٠ م.و وتوجد على نهر Oji وهناك مجموعة أخرى من المحطات الحرارية الاصغر حجما •

اما عن الكهرباء المائية فقد بدأ العمل فى انشاء محطات توليد كهرومائية منذ ١٩٢٠ حيث افتتحت أول محطة فى منطقة هضبة جوس وخلال هذه الفترة كانت الكهرباء المائية هى أساس انتاج الكهرباء فى نيجيريا على الرغم من التوسع فى انتاج الكهرباء الحرارية لتلبية الطلب المتزايدة على الكهرباء •

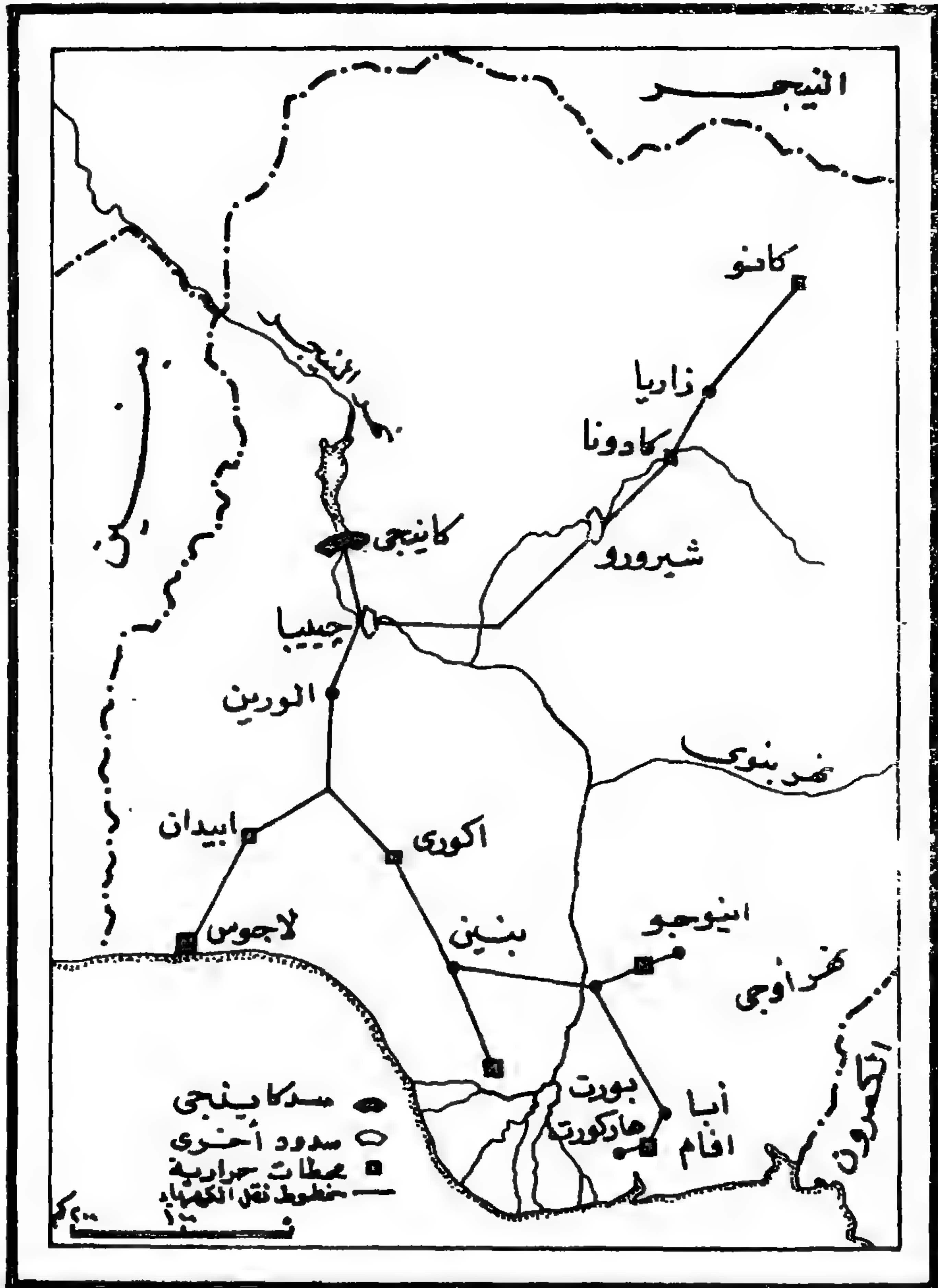
وفى سنة ١٩٥٣ انشأت الحكومة النيجيرية الهيئة الهندسية الاستشارية لدراسة ظروف توليد الطاقة الكهرومائية من كل من نهري النيجر وبنوى وخلال سنة ١٩٥٨ كانت الحكومة النيجيرية قد انتهت بمساعدة الخبرة البريطانية من اعداد الدراسات اللازمة لتوليد الكهرباء من النهرين ولكن يلاحظ انه خلال هذه الفترة تم اكتشاف البترول والغاز الطبيعى مما دفع الحكومة الى التوسع فى انشاء المحطات الحرارية المعتمدة على البترول والغاز الطبيعى المحلى (٢) •

وقد ترتب على ذلك انخفاض نصيب الكهرباء المائية من اجمالى انتاج الكهرباء حتى أصبحت لاتشكل سوى نحو ١٣.٥٪ من اجمالى البلاد من الكهرباء فقد استمرت نسبة مساهمة الكهرباء المائية فى الانخفاض حتى تم افتتاح اول مشروعات سدود نهر النيجر والمتمثل فى سد كاينجى حيث ارتفعت نسبة مساهمة الكهرباء المائية من ١١.٤٪ من

(١) Ibid. p. 125.

(٢) سلطان نولى حسن — مصادر الطاقة فى نيجيريا ، رسالة ماجستير غير منشورة — معهد البحوث والدراسات الافريقية — جامعة القاهرة ١٩٨٨ •

إنتاج ونقل الكهرباء في نيجيريا



اجمالى انتاج الكهرباء فى البلاد سنة ١٩٦٨ الى نحو ٧١٪ فى سنة ١٩٦٩ وهى السنة التى تم فيها افتتاح المشروع فقد ارتفع انتاج الكهرباء المائية من ١٢٦ مليون ك.و.س فى السنة الاولى الى نحو ٩٢٨ مليون ك.و.س فى السنة الاخيرة •

وقد اخذت نسبة الكهرباء المائية بالنسبة لاجمالى انتاج الكهرباء فى نيجيريا فى الانخفاض مرة ثانية بعد سنة ١٩٧٧ ولا يمكن ارجاع ذلك الى انخفاض الانتاج وانما يمكن ارجاعه الى التوسع الكبير فى انتاج الكهرباء الحرارية اعتمادا على البترول والغاز الطبيعى المحلى ويتضح ذلك من مقارنة انتاج الكهرباء الحرارية ما بين عامى ٧٧ - ١٩٨٤ حيث ارتفع الانتاج من ١١ مليار ك.و.س فى السنة الاولى بنسبة ٢٧١٪ من اجمالى انتاج الكهرباء الى نحو ٦٧٧ مليار ك.و.س فى السنة الاخيرة بنسبة تصل الى نحو ٧٦٣٪ من اجمالى انتاج الكهرباء (١) •

ويمكن القول ان اهم محطات توليد الكهرباء المائية فى نيجيريا تتمثل فى الآتى :

سد كاينجى تم الانتهاء من انشائه فى سنة ١٩٦٨ ويولد نحو ٩٦٠ م.و.

سد جيبا تم الانتهاء من انشائه فى سنة ١٩٨٢ ويولد نحو ٥٠٠ م.و.

سد شيرورو تم الانتهاء من انشائه فى سنة ١٩٨٦ ويولد نحو ٤٨٠ م.و.

هذا بالاضافة الى بعض المحطات الاخرى الصغيرة الحجم •

غانا :

قدر اجمالى انتاج الكهرباء فى غانا فى سنة ١٩٩١ بنحو ٦١٥٢ مليون ك.و.س وهو ما يعادل نحو ٢٩٪ من اجمالى انتاج غرب افريقيا من الكهرباء وتشكل الكهرباء المائية اكثر من ٩٩٪ من اجمالى الكهرباء المولدة بها وبمعنى آخر يمكن القول ان محطة سد اكسمبو هى اساس توليد الكهرباء فى غانا •

(١) المرجع السابق : ص ١٤٤ •

ويعتبر مشروع الفولتا من اكبر مشروعات توليد الطاقة الكهرومائية في غرب افريقيا ضمن اكبر هذه المشروعات في افريقيا المدارية كما ان تنفيذه يعد اكبر خطوة خطتها غانا في ميدان التنمية الاقتصادية عامة والتنمية الصناعية خاصة (١) .

وقد بدأ انشاء السد في عام ١٩٦٢ وتم الانتهاء منه في اواخر ١٩٦٥ وتم في البداية تشغيل ٤ ترينيات بلغت قدرتها نحو ٥٨٩ الف ك.و. واما الطاقة النهائية فقد بلغت نحو ٨٣٣ م.و. وبعد تشغيل وحدتين اخريتين ، والى الامام من السد تتكون بحيرة طولها ٣٥٠ ميلا وبمساحة تبلغ ٣٢٧٥ ميلا وهذه تخدم تلافى التذبذبات الفصلية في التصرفات لضمان وجود الماء اللازم لتوليد الكهرباء على مدار السنة .

وكان الهدف الاساسي من المشروع هو توفير الكهرباء اللازمة لسد حاجة مصهر البوكسيت والذي يستهلك بمفرده ما يقرب من نصف الكهرباء المولدة من السد .

وتجدر الاشارة الى ان هناك مجموعة من المحطات الحرارية الصغيرة ويعد اكثرها اهمية تلك المحطات المتوطنة في كل من اكرا وتيما والتي كانت اساس توليد الكهرباء قبل انشاء السد وتعد هاتين المحطتين ذات انتاج ضئيل الآن بالمقارنة بما يتم انتاجه من محطة او كسمبو (٢) .

في اوائل الثمانينيات مع حدوث الجفاف وانخفاض منسوب المياه في نهر الفولتا تم تشكيل هيئة نهر الفولتا Volta River Authority والتي تتولى ادارة وتوليد الكهرباء من بحيرة الفولتا والتي تم تشكيلها بعد سنوات الجفاف الذي اثر بشكل كبير على توليد الكهرباء المائية نتيجة لنقص التصرف المائي والذي ترتبت عليه انخفاض حجم المولد من الكهرباء ويمكن ملاحظة ذلك من الجدول التالي (٣) :

(١) محمد عبد الفنى سعودى : سد الفولتا أو (سد اكسمبو) .
مجلد معهد البحوث والدراسات الافريقية — العدد الثانى ١٩٧٣ ص ٤ .

(٢) A.M., O'Conner, The Geog. Of Tropical African dev. 2ed. (٢)
New York 1878, p. 126.

U.N. Energy Statistics Yearbook, op. cit., 1980-1992.

انتاج الكهرباء في غانا

١٩٨٠ - ١٩٩١

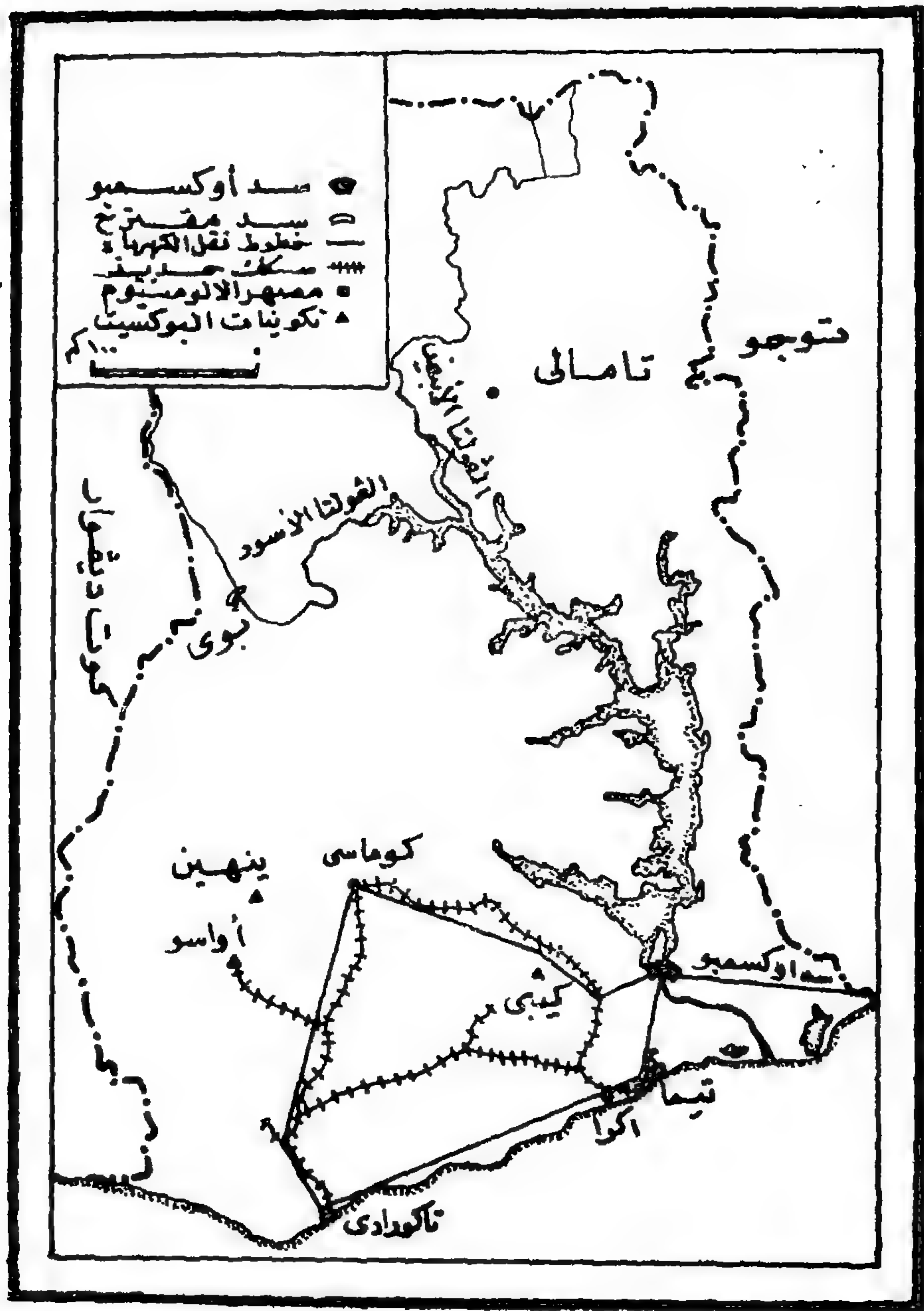
السنة	المائية	الحرارية	(مليون ك.و.س) الاجمالي
١٩٨٠	٥٢٧٦	٤١	٥٣١٧
١٩٨١	٥٣٤١	٤٠	٥٣٨١
١٩٨٢	٤٩٤١	٤٠	٤٩٨١
١٩٨٣	٢٥٤٨	٤٠	٢٥٨٨
١٩٨٤	١٧٩٠	٤٠	١٨٣٠
١٩٨٥	٢٩٩٦	٨١	٣٠٧٧
١٩٨٦	٤٤٣٥	٧٩	٤٥١٤
١٩٨٧	٤٦٧٦	٥٩	٤٧٣٥
١٩٨٨	٤٨٦٠	٥٨	٤٩١٥
١٩٨٩	٥٢٣١	٤٨	٥٢٧٩
١٩٩٠	٥٢٣٥	٥٣	٥٢٨٨
١٩٩١	٦١٠٨	٤٤	٦١٥٢

ومن الجدول يتبين أثر الجفاف ونقص التصرفات على توليد الكهرباء فقد انخفض الانتاج من ٩ر٤ مليار ك.و.س في سنة ١٩٨٢ الى نحو ٢ر٦ مليار ك.و.س في العام التالي ثم الى نحو ١ر٨ مليار ك.و.س في سنة ١٩٨٤ وهو أقل معدل انتاج للكهرباء المائية خلال الفترة المذكورة ومع تحسن الامطار منذ عام ١٩٨٤ ثم العودة الى معدلات الانتاج العالية وقد عملت الحكومة على زراعة نحو ١/٢ مليون شجرة حول بحر الفولتا من اجل العمل على خفض الفاقد عن طريق البخر .

وهناك مشروع من أجل توصيل الكهرباء المائية الى الاجزاء الشمالية لا سيما الى الاقاليم Upper West, Upper East لخفض الضغط على محطات الديزل الصغيرة التي تعمل في الشمال .

وهناك أيضا مجموعة من المشروعات من اهمها ربط شبكة توزيع الكهرباء في غانا مع شبكة توزيع الكهرباء في كوت ديفوار للعمل على زيادة تصدير الكهرباء الى الاخيرة ، وهناك ايضا خط لنقل الكهرباء من غانا الى بنين وتوجو وقد افتتح في سنة ١٩٧٢ بعد تنفيذ انشاء محطة كهرومائية بقدرة ٤٥٠م.و. في منطقة bui على نهر الفولتا الاسود

مشروعات السدود في غانا



والتي سيخصص انتاجها للتصدير وان كانت هناك صعوبات في التحويل (١) .

٣ - كوت ديفوار :

بلغ انتاجها من الكهرباء في سنة ١٩٩١ نحو ٢٣٧٦ مليون ك.و.س وهو ما يعادل نحو ١١٪ من اجمالي انتاج الكهرباء في اقليم غرب افريقيا وتشكل الكهرباء المائبة نحو ٢/٣ الكهرباء المولدة بينما تساهم الكهرباء الحرارية بالثلث الباقي .

وقد ساعد النمو الاقتصادي السريع في كوت ديفوار على زيادة انتاج الكهرباء سواء الحرارية أو المائبة ومن اوضح الامثلة على ذلك زيادة اجمالي انتاج الكهرباء من ١٧٤٣ مليون ك.و.س في سنة ١٩٨٠ الى نحو ٢٣٧٦ مليون ك.و.س في سنة ١٩٩١ .

وتعد محطة اييدجان والتي تم انشاؤها في سنة ١٩٦٤/٦٣ اكبر المحطات الحرارية في البلاد والتي تم زيادة قدرتها بمقدار ١٥٠ م.و.جديدة في عام ١٩٧٦ وتعتمد المحطة على الوقود المستورد من الخارج (٢) .

وهناك مشروعات جديدة لانشاء محطة تعمل بالغاز الطبيعي تصل قدرتها الى نحو ١٠٠ م.و. في منطقة Vridi

اما عن المحطات الكهرومائية فتعد محطة ايامي Ayame على نهر بيو bio اقدمها حيث تم افتتاحها في سنة ١٩٦٥ وتبعها انشاء محطة اخرى على نهر بنداما bandama في منطقة كوسو Kossow بقدرة ١٧٤ م.و.و. والتي افتتحت في سنة ١٩٧٣ وقد تكلفت حوالي ٩٠ مليون دولار وكونت بحيرة تقدر مساحتها نحو ١٧٥٠ كم^٢ هذا بالإضافة الى محطة اخرى على نهر تابو Taabo واخرى على نهر سسندار Sassandra (٣).

(١) Europa Publication, Africa South of the Sahara, op. cit. (١) p. 520.

A' Conner, op. cit. p. 127.

(٢).

(٣) Europa Publication, Africa South of the Sahara, op. cit. (٣) p. 414.

ثانيا : الدول التي يتراوح انتاجها بين ٣/٤ مليار الى ١/٤ مليار
ك.و.س سنويا .

وتضم هذه المجموعة اربع دول هي : السنغال وغينيا وليبيريا
ومالي . وتساهم هذه المجموعة بنحو ٩٤٪ من اجمالي انتاج الاقليم
ونحو ١٣٦٪ من اجمالي انتاج الكهرباء الحرارية في غرب افريقيا ونحو
٥٪ من اجمالي انتاج الكهرباء المائية بالاقليم .

١ - السنغال :

بلغ اجمالي انتاج الكهرباء في السنغال نحو ٧٥٦ مليون ك.و.س
في سنة ١٩٩١ وهو ما يعادل نحو ٣٥٪ من اجمالي انتاج الكهرباء في
غرب افريقيا وتأتي كلها من الكهرباء الحرارية التي تعتمد في توليدها
على الوقود المستورد من الخارج وتعتبر محطة Capdesbishes
احدتها والتي تصل قدرتها المركبة الى نحو ٤٠ م.و. ولكنها تعمل بنصف
قدرتها الآن . وقد افتتحت في سنة ١٩٨٨ . وقد بدأ العمل منذ سنة
١٩٨٢ في انشاء محطة كهرومائية في Manatali على نهر السنغال ،
كمشروع مشترك بين كل من السنغال ومالي وموريتانيا وتم الانتهاء
منه سنة ١٩٨٨ وكان من المخطط ان تساهم المحطة بنحو ٨٠٠ مليون
ك.و.س في اوائل سنة ١٩٩٠ والمشروع قائم على عدة مراحل تشمل
المرحلة الأولى في انشاء سد عند Djowa مصب نهر السنغال ولكن لم
يتم التنفيذ حتى الآن خوفا من التأثير على الزراعة التقليدية التي تقوم
اعتمادا على الفيضانات الموسمية .

٢ - غينيا :

بلغ اجمالي انتاجها من الكهرباء في سنة ١٩٩١ نحو ٥٢١ مليون
ك.و.س أي ما يعادل نحو ٢٤٪ من اجمالي الاقليم وتساهم الكهرباء
الحرارية بنحو ٢/٣ انتاج الكهرباء بينما تساهم المائية بالثلث
الباقى .

ويمكن ارجاع النمو الكبير في انتاج غينيا من الكهرباء الى تطور
انتاج الالومينا اذ تستهلك في صناعة تحويل البوكسيت الى الومينا نحو ٢/٣
الكهرباء المنتجة في البلاد . وتشارك شركات التعدين في انتاج ما يقرب

من ثلث الكهرباء المولدة في البلاد وهناك مشروعات عديدة من أجل توليد الكهرباء المائية منها مشروع على نهر Konkoure بقدرة ٧٥٠ م.و.و. من أجل خدمة مصاهر البوكسيت القريبة من المنطقة ولكن هناك مشاكل في التمويل •

٣ - ليبيريا :

بلغ اجمالي انتاج الكهرباء في ليبيريا نحو ٤٥٠ مليون ك.و.و.س وهو ما يعادل نحو ٢٪ من اجمالي انتاج الكهرباء في الاقليم • وتساهم الكهرباء الحرارية بنحو ثلثي الانتاج بينما تساهم الكهرباء المائية بالباقي • ويلاحظ ان الكهرباء المولدة في سنة ١٩٩١ لا تمثل سوى نصف انتاج ليبيريا من الكهرباء في سنة ١٩٨٠ ويرجع الانخفاض في الانتاج الى انخفاض انتاج محطة منروفيا أكبر المحطات الحرارية في البلاد مما ادى الى ضرورة تجديد المحطة حيث تم اعتماد مبلغ ٢٠٥ مليون دولار من أجل تطويرها بقطع الغيار اللازمة^(١) •

وتعد محطة Mt. Coffeeplant هي اساس توليد الكهرباء المائية في البلاد وان كان قد اصابها بعض الاعطال في الاعوام الاخيرة لا سيما بعد سنوات الجفاف ومن أوضح الأمثلة على ذلك انخفاض انتاج الكهرباء المائية من ٦٠٠ سنة ١٩٨٠ الى ٢٦٢ مليون ك.و.و.س سنة ١٩٨٥^(٢) •

٤ - مالي :

بلغ اجمالي انتاج الكهرباء في مالي نحو ٢٧٦ مليون ك.و.و.س وهو ما يعادل ١٣٪ من اجمالي انتاج الكهرباء في اقليم غرب افريقيا وتساهم الكهرباء المائية بنحو ٢/٣ انتاج الكهرباء والباقي من المحطات الحرارية •

وقد قدر عدد المحطات المائية بنحو محطتين تعد محطة Selingue اكبرها حجما وقد اقيمت في سنة ١٩٨٢ وساهمت في خفض واردات الكهرباء في سنة ١٩٨٨ تم افتتاح محطة manatali التي تمت بالاشتراك

(١) Europa Publication, Africa South of the Sahara, op. cit., p. 580.

Energy Statistics Yearbook 1980-1992.

(٢)

بين كل من مالي وموريتانيا حيث تستخدم مالي ما يقرب من نصف انتاجها بالاضافة الى ذلك هناك نحو ١٠ محطات حرارية •

ثالثا - الدول التي يقل انتاجها عن ١/٤ مليار حتى ١٠٠ مليون ك.و.س/سنويا :

وتضم هذه المجموعة اربع دول هي سيراليون والنيجر وبوركينا فاسو وموريتانيا وتساهم هذه المجموعة بنحو ٣٣٪ من اجمالي انتاج اقليم غرب افريقيا من الكهرباء ونحو ٦٢٪ من انتاج الاقليم من الكهرباء الحرارية ونحو ٢٪ من اجمالي انتاج الاقليم من الكهرباء المائية •

وتساهم سيراليون بنحو ٢٣٠ مليون ك.و.س من الكهرباء سنويا كلها من محطات حرارية وان كان من المخطط انشاء سد في منطقة Gunice من اجل توليد طاقة كهرومائية على حين قدر انتاج النيجر في سنة ١٩٩١ م بنحو ١٦٨ مليون ك.و.س تأتي ايضا من الكهرباء الحرارية والتي يتم توليدها اعتمادا على الفحم المنتج محليا وتعد محطة Arlit and Akouta التي تم افتتاحها في سنة ١٩٨١ م بقدر ١٦ م.و.س سنويا تم زيادتها الى نحو ٣٨ م.و.س في سنة ١٩٨٢ م وهي المحطة الرئيسية في انتاج الكهرباء في النيجر • وتعتمد النيجر في سد جزء كبير من حاجتها من الكهرباء على واردات الكهرباء من نيجيريا اذ ان هناك خط نقل كهرباء من نيجيريا الى النيجر (١) • وقد تم العمل على اضافة خط جديد لنقل الكهرباء لزيادة حصة النيجر وقد بدأ العمل به منذ سنة ١٩٨٨ م •

وتعمل النيجر الآن على انشاء محطة كهرومائية تصل قدرتها الى نحو ١٢٥ م.و.س وفي منطقة Kandadji وان كانت العقبة الرئيسية في تنفيذ المشروع تتمثل في التمويل • ومما تجدر الاشارة اليه ان شركات اليورانيوم تعد المستهلك الاول للكهرباء في النيجر مما أدى الى الاستيراد من الخارج اذ ان الانتاج المحلي لا يغطي سوى نصف الطلب (٢) •

تحتل النيجر المركز الثالث بين دول القارة الافريقية في انتاج اليورانيوم بعد الجابون ونامبيا وبلغ انتاجها في سنة ١٩٩١ نحو ٣ مليون

(١) Europa pulication, Africa South, of the Sahara, op. cit., (١) p. 750.

(٢) سلطان فولى - مصادر الطاقة بنيجريا ، مرجع سبق ذكره ص ١٨٨

طن متري وهو ما يعادل نحو ٣٠٠.١٪ من الانتاج العالمى وبالإضافة الى ذلك تأتي في المركز الثانى بعد جمهورية جنوب افريقيا في حجم الاحتياطي (١) •

ويصل انتاج بوركينا فاسو الى نحو ١٥٧ مليون ك.و.س من الكهرباء سنويا تأتي كلها ايضا من محطات حرارية وان كانت نية واتجاه نحو انشاء محطة كهرومائية تصل قدرتها الى نحو ١٥ م.و. على نهر Kompienga في شرق البلاد وقد بدأ التنفيذ بالفعل في عام ١٩٨٩ بتكاليف قدرت بنحو ٩٠ مليون دولار تم تمويلها عن طريق بنك التنمية الافريقية والمانيا وفرنسا وكندا والسعودية ، كما بدأ العمل بالفعل في محطة كهرومائية اخرى في منطقة Norkabe على نهر الفولتا الابيض بقدرة صغيرة تصل الى نحو ٧٥ م.و. وكذلك مشروع آخر لمحطة كهرومائية على نهر الفولتا الاسود •

وهناك ايضا اتفاق بين بوركينا فاسو وكوت ديفوار لانشاء خط نقل يصل طوله الى نحو ٢٢٥ كم ، كما تم زيادة قدرة خطوط نقل الكهرباء الآتية من غانا الى واجادوجو اذ ان انتاج بوركينا فاسو لا يكفيها وتستورد من غانا •

وتساهم موريتانيا بنحو ١٤٣ مليون ك.و.س من الكهرباء في سنة ١٩٩١ ، تساهم الكهرباء الحرارية باكثر من اربعة اخماسها ويأتي الباقي من الكهرباء المائية ومن المتوقع زيادة الانتاج مع افتتاح المحطة الحرارية الجديدة ذات القدرة ٢٨ م.و. والتي تم الانتهاء من انشائها في نواكشوط وقد تم تدبير المبالغ اللازمة لها عن طريق بنك التنمية الافريقية وفرنسا وبعض الدول العربية •

وتأتي الكهرباء المائية من محطة وحيدة توجد على نهر السنغال تحت اشراف مالى وموريتانيا وقد تم انشاء شبكة نقل وتوزيع الكهرباء المولدة من هذه المحطة حتى تتمكن موريتانيا من الحصول على حصتها من الكهرباء المولدة •

U.N. Statistical Yearbook, op. cit., p. 482.

(١)

رابعاً : مجموعة الدول محدودة الانتاج (انتاج كل منها اقل من ١٠٠ مليون ك.و.س / سنوياً) :

وتشمل هذه المجموعة خمس دول هي : جامبيا - توجو - غينيا بساو - راس فرد ، بنين وتساهم هذه المجموعة مجتمعة بأقل من ١٪ من اجمالي انتاج الكهرباء في اقليم غرب افريقيا ونحو ١.٨٪ من اجمالي انتاج الكهرباء الحرارية في الاقليم ونحو ٠.١٪ من الكهرباء المائية المنتجة في غرب افريقيا في سنة ١٩٩١ .

ومن اهم خصائص هذه المجموعة اعتمادها التام على الكهرباء المائية باستثناء توجو التي تساهم الكهرباء المائية بنحو ١٠٪ من انتاجها .

استهلاك الكهرباء في غرب افريقيا :

يعتبر اقليم غرب افريقيا من افقر اقاليم القارة الافريقية ويدل على ذلك انخفاض نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي (٤٠٤ دولار امريكي سنوياً) وهو من اقل المتوسطات على مستوى القارة الافريقية التي تتميز هي الاخرى بانخفاض نصيب الفرد من الدخل السنوي بالمقارنة بقارات العالم المختلفة .

وتعد كوت ديفوار اعلى دول اقليم غرب افريقيا في نصيب الفرد من الدخل القومي الذي قدر في سنة ١٩٩٠ بنحو ٨٤٩ دولار امريكي/سنوياً ، بينما تعد نيجيريا اقل دول الاقليم من حيث متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي في نفس العام والذي قدر بنحو ١٩٧ دولار امريكي وهو مستوى لم يتحقق في نيجيريا منذ الستينات .

ويمكن ان تتبين ذلك من الجدول التالي :

الدولة	المحلى (دولار أمريكى) (١)	نصيب الفرد من الناتج	نصيب الفرد من الكهرباء	الكهرباء المستهلكة مليون ك.و.س (٣)
بنين	٣٥٥	٤٣	٢٠٠	
بوركينافاسو	٢٢٣	١٧	١٥٥	
راس فرد	٨١٣	٩٧	٣٦	
كوت ديفوار	٨٤٩	١٩٧	٢٣٦٥	
جانيبسا	٣٣٤	٧٨	٦٧	
غانسا	٢٥٣	٣٣٣	٥٠.٣	
غينيا	٤٣٢	٩٠	٥١٨	
غينيا بياو	١٧٩	١٨	١٧	
ليبيريا	٤٩٧	٢١٩	٥٦٥	
مالى	٢٣٦	٢٣	٢١٤	
موريتانيا	٤٥٤	٦٩	١٤٠	

U.N. Trends in International distribution of Gross world Product, Special Issue, National account Statistics, New York, 1993.

U.N. Energy Statistics, Yearbook, Newyork. 1992.

U.N. Energy Statistics Yearbook New York 1990.

الدولة	نصيب الفرد من الناتج المحلي (دولار امريكي)	نصيب الفرد من الكهرباء ك و.و.س	الكهرباء المستهلكة مليون ك.و.س
النيجر	٢٦٦	٤٥	٢٥٠
نيجيريا	١٥٧	٩١	١٨٤٥
السنغال	٦٩٠	٩٣	٦٨٤
سريالون	٢٥١	٥٤	٢٢٤
توجو	٣٨١	٩٣	٢٣٠
متوسط	٤٠٤	٩٧٥	

وتجدر الإشارة الى ان نيجيريا شهدت منذ سنة ١٩٧٠ ارتفاعا ملحوظا في متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي واستمر هذا النمو في الارتفاع حتى سنة ١٩٨٠ ثم اخذ في الانخفاض بعد ذلك حتى حقق اقل معدلاته في سنة ١٩٩٠ . وقد قدر متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي في ١٩٧٠ بنحو ١٧٥ واستمر في النمو والزيادة حتى بلغ نحو ١١٥٥ في سنة ١٩٨٠ ويمكن ارجاع ذلك الى زيادة وارتفاع اسعار البترول منذ ما بعد ١٩٧٣ . ولكن أخذ متوسط نصيب الفرد في الانخفاض بعد ذلك منذ عام ١٩٨٧ مع الانخفاض الكبير في اسعار البترول حيث انخفض نصيب الفرد في نيجيريا من ٧٣٦ دولار امريكي في سنة ١٩٨٦ ليصل الى نحو ٣٦٧ دولار امريكي في سنة ١٩٨٧ ثم واصل الانخفاض حتى بلغ نحو ١٥٧ دولار امريكي في سنة ١٩٩٠ (١) . وربما ساعد على ذلك ضخامة عدد السكان حيث قدر عدد سكان نيجيريا في سنة ١٩٩١ بنحو ١١٢ر٢ مليون نسمة محتلة المركز الاول بين دول القارة (٢) . اما فيما يتعلق بنصيب الفرد من الكهرباء فقد قدر متوسط نصيب الفرد في العالم بنحو ٢٢٠٧ ك.و.س / سنويا وينخفض نصيب الفرد عن ذلك بكثير في القارة الافريقية حيث قدر متوسط نصيب الفرد من الكهرباء في افريقيا في سنة ١٩٩٠ بنحو ٨٤٦ أى أقل من خمس متوسط نصيب الفرد في العالم وعلى الجانب الاخر نلاحظ ان نصيب الفرد من الكهرباء في اقليم غرب افريقيا لا يزيد عن ٩٨ ك.و.س وهو أقل اقاليم القارة الافريقية من حيث نصيب الفرد من الكهرباء ويمكن ان يتبين ذلك من الجدول السابق ومن الشكل البياني .

ومن الجدول والشكل البياني نلاحظ ان غانا تحتل المركز الاول بين دول غرب افريقيا من حيث متوسط نصيب الفرد من الكهرباء اذ قدر نصيب الفرد بها بنحو ٣٣٣ ك.و.س / سنويا وتأتى في المركز الثانى لليبيا بمتوسط قدره ٢١٩ ك.و.س / سنويا وفي المركز الثالث تأتى كوت ديفوار بنصيب ١٩٧ ك.و.س .

وتحتل كل من بوركينا فاسو وغينيا بساو ومالى المراكز الثلاثة الاخيرة بين دول الاقليم من حيث متوسط نصيب الفرد من استهلاك

(١) U.N. Trends in International distribution of Gross World Product, Special Issue, op. cit., p. 340.

U.N. Demographie Year book New York, 1992.

(٢)

الكهرباء بمتوسط قدره ١٧ — ١٨ — ٢٣ ك.و.س/سنويا في عام ١٩٩٠ على الترتيب وهي بذلك تعد اقل دول القارة الافريقية والعالم من حيث متوسط نصيب الفرد من استهلاك الكهرباء .

الخلاصة :

يعد اقليم غرب افريقيا من افقر اقاليم القارة الافريقية في انتاج الكهرباء ، فعلى الرغم من ان الاقليم يضم نحو ١٦ وحدة سياسية أى ما يقل قليلا عن ثلث عدد الوحدات السياسية في القارة الا ان نصيبه من انتاج الكهرباء لا يعادل سوى نحو ٦.٥٪ من اجمالي انتاج القارة الافريقية من الكهرباء سنة ١٩٩٠ .

على الرغم من وقوع الاقليم في اقله عدا الاجزاء الشمالية في المنطقة الاستوائية والمدارية وبالتالي وفرة موارد المياه التي يمكن استغلالها في توليد طاقة كهرومائية رخيصة الا أن الكهرباء المائبة لا تشكل سوى ٤.٧٣٪ بينما تساهم الكهرباء الحرارية بالنسبة الباقية .

ان اقليم غرب افريقيا يضم ما يقرب من ٢٠٠ مليون نسمة أى حوالى ثلث سكان القارة الافريقية بل انه يضم اكبر دول القارة سكانا وهي نيجيريا وقد انعكس انخفاض انتاج الاقليم من الكهرباء على نصيب الفرد الذى يعد من اقل اقاليم القارة اذ يقدر متوسط نصيب الفرد من الكهرباء في الاقليم بنحو ٩٨ ك.و.س نصيبا وعلى مستوى القارة ٤٨٦ والعالم ٢٢٠٧ ك.و.س .

وعلى الرغم من هذا القدر المتواضع من الكهرباء المولدة بالاقليم الا ان الاستهلاك الاساسى لها ممثل في الاستهلاك الصناعى لا سيما صناعة اعداد الخامات ، بل ان الصناعة كانت هى اساس التوسع في انتاج الكهرباء كما هو الحال في غانا والنيجر ونيجيريا وغيرها ، وقد انعكس هذا على الاوضاع الاجتماعية في كافة دول الاقليم اذ تبين ان هناك مناطق عديدة في معظم دول الاقليم لم تصلها الكهرباء بعد ولا سيما في المناطق الريفية وان كنا نستطيع القول ان معظم دول الاقليم بدأت في التخطيط لمشروعات مد الكهرباء الى المناطق الريفية وهى المعروفة بمشروعات كهرباء الريف .

من الافضل لدول الاقليم اقامة مشروعات توليد كهرومائية أو حرارية مشتركة ضخمة حتى يمكن التغلب على مشكلات التمويل من جانب بالإضافة الى انخفاض تكاليف الوحدة المنتجة وقد تم الاتجاه الى هذا مؤخرا كما هو الحال في المشروع المشترك بين مالى وموريتانيا والسنغال هذا مما يساعد ايضا على التغلب على السوق المحدودة بالإضافة الى امكانية انشاء شبكة موحدة لنقل وتوزيع الكهرباء بين عدة دول •

وربما تساعد الاكتشافات الجديدة للبترول ايضا وتعطى مجالا للتوسع فى انشاء محطات حرارية اعتمادا على منتجات البترول أو الغاز الطبيعي وبالتالي فمن المتوقع زيادة نصيب الكهرباء الحرارية من اجمالى الكهرباء المولفة فى الاقليم •

المراجع العربية :

١ - سعيد أحمد عبده :

الطاقة الكهربائية في الوطن العربي مع التطبيق على مصر - جزان -
مركز بحوث الشرق الاوسط جامعة عين شمس - ١٩٨٣ .

٢ - :

جغرافية الطاقة الكهربائية في جنوبى - المملكة العربية السعودية -
مجلة معهد البحوث والدراسات العربية - العدد ١٦ - ١٩٨٨ .

٣ - :

انتاج واستهلاك الطاقة الكهربائية في دولة الامارات العربية المتحدة
١٩٧٢ - ١٩٨٣ . - دراسة في جغرافية الطاقة - معهد البحوث
والدراسات العربية - سلسلة الدراسات الخاصة رقم ٢٣ ، ١٩٨٧ .

٤ - سلطان فولى حسن :

مصادر الطاقة في نيجيريا - رسالة ماجستير غير منشورة - معهد
البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة - ١٩٨٨ .

٥ - :

سد اوين في اوغندا دراسة في الجغرافيا الاقتصادية - رسالة
دكتوراه معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة ١٩٩٢ .

٦ - محمد عبد الفنى سعودى :

سد الفولتا (سد أوكسمبو) مجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية
- جامعة القاهرة - العدد الثانى ١٩٧٣ .

المراجع الاجنبية :

1. Europa Publications, Africa South of the Sahara 19th edition, London, 1990.
2. Felix B. Dayo and Anthony O. A deybulugbe, Utilization of Nigerian Natural Gas Resources-Energy Policy-April 1988.
3. Iwayemi, Ikin, Energy in West Africa, Issues and Policy Sept., 1982.
4. O'conner A. M. The Geog. Of Tropical African devel. Approches, Energy Policy 2ed edition, New, York 1978.
5. Reuben K. Udo, Acomperhensive Geog. of West Africa Ibadan, 1978.
- 6 U.N. Demographic year book New York, 1992.
7. U.N. Energy Statistics Yearbook 1982-1992.
8. U.N. Industrial Statistics Yearbook New York 1992.
9. U.N. Statistical Year book New York 1992.
10. U.N. Trends in International distribution of Gross World product, special Issue National Accaunt Statistics New York 1993.
11. Wagland P.J., Kingi and the Niger dam Project, Geog. 1969.
12. Warren W.M. & Rubin W., «Dams in Africa» Desciplinary Study of man made lakes in Africa, London, 1968.

ELECTRICITY IN WEST AFRICA

The production and consumption of electrical energy is considered the main stand for both social and economic development in the majority of the world, among which, the countries of the Africa continent including the west African region. There has been found a relevant relationship between the increase of national income rate and the rate of electricity consumption thus it has become possible to measure the progress of the various countries including the consumption of electricity by individuals.

This research is an attempt to identify the production and consumption of electrical energy in its different shapes in West Africa region. It deals with the identification of energy resources in Africa from the view point of production and consumption. In addition, the production and consumption of electricity in the continent will be investigated briefly, Besides, the recognition of electricity production in west Africa will be investigated for both proudction total and type.

This study will principally focus on the west africa countries for the above mentioned criteria.

Dr. SULTAN FOLY

عرض لكتاب : المعالم الثالث : تحديد مبدئى فى الجغرافيا

بقلم ا.د. السعيد ابراهيم البدوى

عميد المعهد

The Thirld conceptual framwork in Geography

Second edition 1992

Micheal Barke & Greghare.

تأليف :

الاول يعمل فى قسم البيئة فى نيوكاسل والثانى فى قسم الجغرافيا
بكلية تربية دريشير .

القائسر :

وقد نشر الكتاب أول مرة عام ١٩٨٤م ويحتوى الكتاب على أحد عشرة
فصلا عدد صفحاتها ٣٠٣ صفحة بالاضافة الى مقدمتى الطبعتين الاولى
والثانية وقائمة بالمراجع والفهرس فى نهاية الكتاب .

الهدف من الكتاب :

جاء فى مقدمة الطبعة الاولى سنة ١٩٨٤ أن الهدف من الكتاب هو
ابرار التنوع فى دول العالم الثالث أو الدول التى يطلق عليها أنها أقل
تقدما less developed countries وتركيز الضوء على التنافس الواضع
بين العالم الثالث الاقل تقدما والعالم المتقدم .

وفى نفس الوقت ابرار التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والتغيرات
البيئية والسياسية التى حدثت فى العالم الثالث فى الفترة الاخيرة مع وجود
الخلفية الاستمرارية للفقر .

ويشير المؤلفان الى أن كلا من العالم الثالث والعالم المتقدم لا يؤثران
فقط كل منهما فى الآخر ولكنهما يعتمدان على بعضهما بشكل قوى
وفقا لمبدأ الاعتماد المتبادل interdependence المتزايد فى العالم الآن .

ويعترف المؤلفان بأن هناك الكثير من المشكلات التي جابهتهما منها قلة الاحصاءات الدقيقة بالإضافة الى تنوع الاتجاهات والأوضاع في العالم الثالث .

ويعترفان بأن النتيجة التي ترتبت على هذه المشكلات هي المعالجة العامة وان كان هناك انتقاء لبعض النتائج من داخل دول العالم الثالث . .
ورغم هذا فقد حفل الكتاب بمجموعة ممتازة من الخرائط تعبر عما جاء في الكتاب من أفكار . أما في مقدمة الطبعة الثانية فيذكر المؤلفان أنه قد حدثت خلال عقد الثمانينات في العالم الثالث مشكلات كثيرة وكبيرة منها الحروب والمجاعات والديون والكوارث .

ورغم ذلك يؤكد المؤلفان أن الصورة توحى بالتفاؤل لأن هناك تقدما بطيئا ولكنه محسوس في بعض المناطق في العالم الثالث .

ويستدرك المؤلفان بأنه رغم التعميم الذي لا يمكن تفاديه إلا أن هذه الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢م قد اشتملت على « دراسات حالة » Case Studies فيها تعميق لبعض الموضوعات .

وسوف أحاول في عجلة اللقاء الضوء على كل فصل من فصول الكتاب وابرئ أهم الأفكار الواردة فيه .

فقى الفصل الاول عن تحديد سمات العالم الثالث يشير المؤلفان الى أن عدد سكان العالم الثالث (أفريقيا + آسيا النامية + أمريكا اللاتينية) حوالى ٣٧٥٠ مليون نسمة ومع ذلك فإن هذا العدد الضخم لا ينتج إلا خمس ثروة العالم الآن الامر الذي يؤدي الى انخفاض مستوى المعيشة والفقر بين هؤلاء السكان .

ويبرز المؤلفان أن اللوحة المكانية للعالم الثالث تتضمن ثلاث أفكار رئيسية هي :

١ - على الرغم من الاطار العام للخلفية المستمرة للفقر والتخلف يوجد تنوع معقول في الظروف الطبيعية والبشرية وينطبق على هذه الظروف .

٢ - التغير الذى يحدث فى بعض الاحيان يكون بدرجة مذهلة حيث يغير الماضى ويكون الحاضر ويشجع على المستقبل .

٣ - الارتباط المتزايد بين الدول المتخلفة L.D.C. والدول الاكثر تقدما M.D.C. وفقا للمشاركة العالمية أو ما يمكن أن يطلق عليه التبعية المتبادلة interdependence

أما الفصل الثانى وهو بعنوان الموارد الطبيعية والتنمية فان المؤلفان يقرران منذ البداية أن الموارد الطبيعية والبشرية لا تتوزعان بعدل بين دول العالم لثالث .

ويؤكدان على أنه ليس من اليسير معالجة تأثير الموارد على التنمية بسبب صعوبة قياس وتقدير هذه الموارد وان كانا يعترفان بأن تأثير الموارد الطبيعية فى عملية التنمية Development process يكون واضحا فى مرحلة البداية وان كان هذا التأثير يقل فى المراحل التالية فى توجيه ودرجة التنمية بعد ذلك .

ويختتم المؤلفان هذا الفصل بأبراز الموارد المناخية وموارد التربة والنبات ويلقيان الضوء على الكوارث البيئية Environmental Hazards مثل التصحر واحتثاث الغابات والزراعة الجائرة Over cultivation الرعى الجائر Over grazing ويشيران الى « اقليم الساحل » فى افريقيا باعتباره المثل البارز على ذلك (خريطة الكوارث الطبيعية أو خريطة درجات التصحر) .

أما الفصل الثالث فقد تناول أثر العوامل البشرية على التنمية حيث يذكر المؤلفان أنه ليس من السهل الجزم بتحديد اسباب وظروف التخلف فى العالم الثالث ، وان كان من المعقول الربط بين هذه الظروف البشرية وهذا التخلف حيث ان تأثيرها أكبر من الظروف الطبيعية وان كان من الصعوبة بمكان تحديد أثر العامل الفردى البشرى .

كما أن هناك آراء أيضا حول العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الداخلية وكذلك الخارجية والعلاقة بين دول العالم الثالث المتخلف ودول العالم المتقدم •

ومع ذلك فإن العوامل البشرية لم تكن في الغالب معوقة أو محددة للتنمية ويشير الى ذلك تحسن التعليم والصحة بين سكان دول العالم الثالث يمكن ان تؤهل هذه الدول على الاقل نظريا لمواصلة التقدم والتنمية (انظر شكل ٣ - ١ - دائرة الفقر ص ٤٣) •

وفي الفصل الرابع يعالج الكتاب نظم الزراعة Agricultural Systems

حيث يذكر المؤلفان أن تنوع نظم الزراعة في العالم الثالث يرجع الى تأثير الظروف الطبيعية وخصوصا المناخ والتربة وكذلك العوامل البشرية وبالتخصيص الملكية الزراعية والأسواق ، وقد حدث تغير في الزراعة متمثلا في زيادة الكثافة الزراعية وتحولها نحو المحاصيل التجارية وكذلك الاتجاه نحو القطاع الخاص والمزارع الصغيرة وقد أقدم الزراع على زراعة المحاصيل التجارية من أجل زيادة انتاج المحصول وبالتالي زيادة الدخل ، ولكن تذبذب أسعار هذه المحاصيل أدت الى مشكلات كثيرة سواء للزراع أو التجار ويوضح المؤلفان أن هناك عوامل عديدة تؤثر على تطوير وتنمية المحاصيل التجارية منها التجارة الدولية وسهولة النقل والمواصلات واتساع الاسواق المحلية بالاضافة الى سياسات الحكومات الوطنية • وقد أوضحت الدراسة أن الزراعة المتنقلة توجد حيثما توجد كثافة منخفضة في السكان ، أما المناطق الاعلى كثافة سكانية فانها تؤدي أيضا الى تكثيف الزراعة واختصار فترة راحة الارض • وأهم محاصيل الزراعة الكثيفة هو محصول الارز • أما من ناحية الملكية الزراعية فهي عموما صغيرة وان كانت توجد ملكيات زراعية واسعة في أمريكا اللاتينية ويلاحظ أن المناطق الكثيفة زراعا الملكية فيها محدودة كما أن نسبة كبيرة من المزارعين ليس لهم أرض ويعملون اجراء •

ويعالج الفصل الخامس مسألة هامة وهى الانتاج الزراعى والاصلاح الزراعى ويبرز المؤلفان أنه على الرغم من التوسع فى الانتاج الزراعى فى العالم الثالث الا ان نقص الغذاء مازال شائعا . وعلى الرغم من أن الثورة الخضراء Green revolution قد زادت الانتاج الزراعى مثلا فى الهند واندونيسيا الا أن مناطق أخرى فى العالم مثل افريقيا جنوب الصحراء نجد أن معدل زيادة الغذاء فيها أقل من معدل تزايد السكان ، ولذا كان السؤال الملح :

هل الارض المستغلة تستغل كما يجب ؟ مثال ذلك أن ١٤٪ من مساحة العالم الثالث تستخدم لزراعة المحصولات التجارية من أجل الحصول على سلع مستوردة بدلا من زراعة المحصولات الغذائية التى هم فى أشد الحاجة اليها والتى ينبغى أن تزرع على نطاق واسع والحاجة ملحة الآن لتغطية الامن الغذائى الذى لا يتأتى الا باتباع أنماط جديدة للانتاج الزراعى . وأنه لابد من استراتيجية زراعية جديدة تقتضى الآتى :

١ - الانتقال من نظام زراعة المحصولات التجارية الى المحصولات الغذائية .

٢ - الانتقال من نظام المزارع الواسعة الى المزارع الصغيرة .

٣ - اتباع تكنولوجيا زراعية تتلاءم مع البيئة .

٤ - توزيع أفضل للملكيات الزراعية .

أما بالنسبة لموضوع الاصلاح الزراعى فان المؤلفان يقدمان وجهات النظر المختلفة فى هذا المجال حيث يذكر البعض أن الثورة الخضراء أدت الى سد الفجوة الغذائية فى العالم الثالث مثل تاوان ، كوريا الجنوبية ، الهند ، باكستان ، المكسيك . فى حين ينتقد البعض الآخر ذلك على أساس أن زيادة الانتاج الزراعى قد تجمدت خلال الثمانينات وأن الجفاف والقحط وجرف التربة قد ساعد على زيادة حد المشكلة حيث

تناقص نصيب الفرد من الغذاء في افريقيا في خلال السبعينات والثمانينات .
أما في امريكا اللاتينية فالنسبة متكافئة . كذلك هناك ادعاء بأن الثورة
الخضراء قد أطلقت الكثير من الآثار الايكولوجية والاجتماعية والاقتصادية
من عقابها مثل تركيز الملكية الزراعية وايجاد البطالة والاجراء الذين
لا أرض لهم Landlessness وبالتالي زيادة الفجوة بين الاغنياء والفقراء ،
وبدلاً من معالجة الفقر نجد أن الثورة الخضراء قد أوجدته فعلاً .

(انظر خريطة انواع الزراعة في العالم الثالث ص ٧٢ من الكتاب) .

وفي الفصل السادس : يعالج المؤلفان في عجلة سريعة الموارد المعدنية
وانصناعة التحويلية في العالم الثالث ويتضح من خلال العرض والمناقشة
أن تنمية الصناعة في العالم الثالث تعاني من مشكلات عديدة ويمكن تلخيص
بعض من هذه المشكلات في الاتي :

اولا : مشكلات مرتبطة بالناس (السكان) :

(أ) مشكلة التدريب والتجهيز والايدي العاملة الملائمة ، اذ ينبغي
توجيه استثمارات كبيرة للتدريب والتعليم ، وهذا يستدعي وقتاً قد يطول
كما أنه يمكن أن يؤدي الى مشكلات خاصة بالتغير والتلاؤم الاجتماعي
Social change مثال ذلك صعوبة التأقلم السريع من جانب القادمين
من الريف للعمل في المصانع .

(ب) نقص المقاولين ، وهم الذين لديهم استعداد للمخاطرة واستحداث
وسائل تنمية حديثة ومع ذلك يوجد مثال هونج كونج التي قفزت في
الصناعة التحويلية ، ولكن هذه التجربة لم تدرس جيداً ، حيث أن الاعتقاد
السائد في دول العالم الثالث أن ملكية الارض وما تدره من أموال يمكن
انحصول بها على وسائل الرفاهية المستوردة دون تجشم مسقة الاستثمار
الصناعي المحلي .

(ج) نقص القوة الشرائية وسيادة الفقر وعدم سيادة العدالة وهذا
يعني أن معظم الثروة مركزة في أيدي نسبة محدودة من السكان ، هذا
في حين أن الاغلبية فقيرة ، وبالتالي فإن سوق السلع الصناعية محدود
رغم ضخامة عدد السكان .

ثانيا : مشكلات مرتبطة برأس المال :

(أ) يوجد نقص في رأس المال رغم أن الصناعات الحديثة تحتاج الى استثمار أعلى في رأس المال بالنسبة للفرد عما كان سائدا في الماضي وربما بالنسبة للعامل في العالم الثالث أكثر منه في العالم المتقدم نجد أن رأس المال محدود ، كما أنه خاضع للمضاربة .

(ب) يمكن تشجيع رأس المال الخارجى اذا كان هناك قليل من رأس المال الداخلى ، ولكن دول العالم الثالث لا تساعد على رأس المال الخارجى ، رغم ان هذه الاستثمارات هامة في العمليات الاولى Priming «actions» خصوصا في مجالات البنية الاساسية الهامة مثل السكك الحديدية والطرق وتطوير الموانئ والمطارات ، اذ أن هذه الاعمال ذات أهمية كبيرة في تطوير القطاعات الاقتصادية المختلفة .

ثالثا : مشكلات مرتبطة بالاقتصاد العالمى :

(أ) في القرن الثالث عشر لم تكن هناك منافسة أمام الدول الصناعية في كثير من المنتجات ، ولذلك كانت تجرى التجارب بحريه ، أما الآن فان الدول الحديثة التى تطور صناعاتها تجد منافسة شديدة من الدول المماثلة لها وكذلك من الدول المتقدمة صناعيا .

(ب) وبسبب هذا ، وكذلك نظرا لضيق السوق المتمثل في الاحتياجات المحلية فقد بذلت محاولات كثيرة لتوسيع السوق عن طريق تكوين أسواق أكبر مثل السوق الحرة في أمريكا اللاتينية Latin American Free Trade Assoc. والسوق المشترك لدول شرق افريقيا E.A. Common Market ولكن هذه التجمعات في الغالب تنهار أما بسبب حماية الصناعات الوطنية أو عدم الاستقرار السياسى كما حدث في شرق افريقيا .

(ج) تعتمد معظم مكونات الصناعة Assets في العالم الثالث على المنتجات الأولية ، ولكن هذه المنتجات - للمقارنة بالماضى - وبإستثناء البترول ، لم تعد لها أهمية كبيرة في التصنيع فقد اتجه العالم العربى نحو

المنتجات الصناعية (التركيبية) Synthetic products وقلل بقدر واضح
من استخدام المنتجات الخام .

(د) كذلك فإن الاتجاه نحو الميكنة الالية Automation في العالم
وحتى في دول العالم الثالث - أصبح يهدد استخدام القوى العاملة على
نطاق واسع نتيجة لاستخدام التقنيه العاليه ، على الرغم من أن النسبة
المستخدمة من الأيدي العاملة في الصناعة محدوده أصلا مثال ذلك صناعة
البترول في فنزويلا حيث انخفضت العمالة المستخدمة في الاقليم الغربى
(مراكيبو) ولذلك لجأت الحكومة الى بناء مدينة جديدة هي التبلازا
EL Tablaza وذلك من أجل تنويع الصناعة واستيعاب المزيد من الأيدي
العاملة .

رابعا : حلقة الفقر : The circle of poverty

معظم دول العالم الثالث أصبحت أسيره لدائرة الفقر الجهنمية ولم
يستطع أن يكسر هذه الحلقة الا عدد محدود من الدول مثل هونج كونج،
تايبوان ، هنا نجد أن الفائض محدود وبالتالي فإن نسبة التراكم اللازمة
كرأس مال للتصنيع محدودة جدا . ومن أجل هذا استمر تشغيل العمالة
الكثيفة labour - intensive occupation رغم ضآلة الانتاجية
وانخفاض الدخل ، وتحاول دول محدودة للغاية من العالم الثالث الافلات
من هذه العملية الدائرية circular process

(انظر شكل حلقة الفقر ص ٤٣ من الكتاب ، وكذلك خريطة القيمة
المضافة للفرد بالنسبة للصناعة التحويلية ص ٣٢) .

وفي الفصل السابع يعالج المؤلفان موضوع النقل والسياحة في العالم
الثالث ويؤكدان منذ البداية على أهمية النقل لدول العالم الثالث وأنه
ينبغى أن يكون الهدف الأساسى لهذه الدول هو التكامل في نظم النقل
فيها وفيما بينهما Complementarity in their transport system

حيث أن هذا غير موجود أو منقوص على الأقل في عديد من الحالات ومن أمثلة ذلك ما حدث في كولومبيا من عدم التكامل بين المواصلات النهرية والبرية والبحرية •

ويلاحظ المؤلفان أن الاستثمار في دول العالم الثالث غالباً ما يكون على نطاق كبير أو كتلى massive scale وربما تشمل إنشاء مشروعات ذات أهمية كبيرة ، كذلك فإن المؤسسات أو المنظمات الدولية – مثل البنك الدولي – تساهم في استثمارات النقل ، ولكن بينما نجد اسهامات وانجازات بارزة في استثمارات النقل ورسم سياسة وتخطيط في الدول العالم الثالث فإن الدوافع وراء ذلك غالباً ما تكون موضع تساؤل ، مثلاً كان وراء برنامج إنشاء الطريق البرازيلي الضخم الرغبة السياسية في إقامة نوع من التكامل الاقتصادي الفعلى بين أنحاء القطر •

كذلك فإن الحكومة الماليزية كان دافعها لتطوير ميناء بورت كيلانج port kilang (سويت هام سابقاً Swetham) أساساً هو الدافع السياسى ، والآن بعد استقلال سنغافورة فانهم يرغبون في تحدى تفوقها بتطوير مينائهم الدولى الخاص بماليزيا •

أما بالنسبة للسياحة فإن المؤلفين يناقشان الفوائد ومشاكل السياحة على الرغم من أن هناك شكاً في أن السياحة يمكن أن تقدم اضافة كبيرة انى اقتصاديات عديد من دول العالم الثالث ، ويعلق المؤلفان على ذلك بقولهما أن التركيز على مشكلات السياحة يناقض الحماس الجارف، للسياحة من جانب حكومات العالم الثالث التى تحبذها وتشجعهما •

وفى بعض الحالات نجد أن عدد السياح يفوق السكان الاصليين ومثال لذلك جزر برمودا وبهاما حيث تصل نسبة السياح ٨ الى ١ بالنسبة لعدد السكان ، وينعكس هذا على حياة هؤلاء السكان الأصليين وطرق معيشتهم التى تصاب بالدمار نتيجة لهذه العملية •

وهناك رأى لبعض الباحثين يحذر مما أطلقوا عليه « تأثير المظاهر » demonstration effect حيث أن حياة البذخ التي يعيشها السياح واستهلاك السلع المستوردة لها تأثيرها الاجتماعي على السكان الوطنيين الذين يحاولون ويرغبون في المشاركة في استهلاك هذه السلع الكمالية .

ويذكر هذا الرأى ان هذه الرغبات الاستهلاكية Consumption desires سواء أكانت مفروضة أو مقتبسة من الغنى العابر فان هذا يعتبر عائقا امام التنمية الاساسية التي تعتمد على الذات ، وتتعارض مع نجاح التنمية ذات المدى الطويل في البرامج ، بل ان بعض الكتاب يتمادون في ذلك لدرجة أنهم يطلقون على هذا الاتجاه السياحي بأنه شكل من أشكال الاستعمار (انظر خريطة كثافة الطرق ص ١٥٦ وكذلك خريطة السياحة ص ١٧٧) .

وقد خص المؤلفان الفصل الثامن للسكان في العالم الثالث حيث يشيران الى أنه رغم أن معدل النمو السكاني في العالم الثالث ينخفض على ما يبدو في بعض أجزاء منه، إلا أن مستوى التزايد السكاني مازال في حالة خطره ، ومازالت الجهود مستمرة من أجل زيادة مصادر الغذاء والسيطرة على هذا النمو السكاني عن طريق تنظيم الأمره ويرى بعض الباحثين أن زيادة معدلات النمو الاقتصادي والتنمية في العالم الثالث وكذلك ازدياد انتشار « النمط الغربي » في المعيشة والاستهلاك يمكن أن يشجع السكان على تكوين أسر محدودة العدد ، كذلك فان انتشار الخدمات الصحية (الطبية) يمكن أن يقلل من الحاجة الى الأسر الكبيرة العدد .

وفي هذه الحال فان عملية التنمية نفسها هي التي سوف تؤدي الى تنظيم وضبط النمو السكاني وذلك على أساس أن هذا ما تم في العالم المتقدم وأن نفس النظام سوف ينتقل الى العالم الثالث .

وهناك امكانية أن مثل هذه العملية يمكن أن تحدث فعلا ، ومع هذا ينبغي أن نقرر (المؤلفان) أنه في عديد من أجزاء العالم الثالث فان احتمالات مجرد انجاز نمو اقتصادي وتنمية لشكل متواضع يبدو بعيد المنال .

ويؤكد المؤلفان على أن هناك حقيقة واضحة وهي أن وجود عدد ضخم من الاطفال في العالم الثالث يعتبر ورطة فعلية اذاً وجود هذا العدد

الضخم من الاطفال يعنى ارتفاع معدل الاعالة High dependency ratio على الرغم من أن هؤلاء الاطفال سوف يصبحون أيدي عاملة وفيرة في المستقبل .

كذلك فان وجود نسبة مرتفعة من البطالة تؤدي الى ايجاد مشكلات في جميع الخدمات الاخرى ورغم أن الباحثة بوسرب Boserup تشير الى أن نمو السكان سوف يحفز الى التنمية الا أن النقطة الاساسية في حجتها هي أن السكان ينبغي أن يكون معدل النمو لديهم بطيء ، ومن هنا نجد أن المشكلة في العالم الثالث أن نمو السكان يزداد بسرعة وأن نسبة الاعالة مرتفعة وهذا في حد ذاته يقف عقبة امام التنمية .

ويختتم المؤلفان هذا الفصل بأن هناك فجوة بين معدلات نمو السكان في دول العالم الثالث وبين الموارد ، ولا تملك هذه الدول من الموارد ما يحفظ للسكان مستوى معيشى معقول .

وتبدو أعراض هذا الموقف في المجاعات الدورية التي تهر كيان عديد من دول العالم الثالث من وقت لآخر ، يضاف الى ذلك انخفاض القيمة الغذائية للعديد من السكان وبالتالي سوء التغذية ونقص المناعة للأمراض .

ويبدو عدم التوازن بين معدل نمو السكان والغذاء في هجرة السكان سواء للبحث عن أرض جديدة للزراعة أو للحصول على عمل في المدينة .

وتكون النتيجة ظهور البطالة في المدن التي تشير بدورها الى عدم وجود التوازن المشار اليه وأخيرا فان الديون التي تثقل كاهل دول العالم الثالث تعتبر نتاجا للاسحوة بين معدل نمو السكان وموارد الغذاء والنتيجة العامة اننى يمكن الوصول اليها لسكان العالم الثالث غالبا ما تكون ذات صبغة متشائمة .

ومن هنا فان أفضل ما يؤمل هو أن يظل الوضع ثابتا ، وأن أى تحسن ملحوظ في فرص الحياة لمعظم سكان العالم الثالث يظل أملا بعيد المنال .

وفي الفصل التاسع الخاص بالتنمية الحضرية فان المؤلفان يوضحان النقاط الاساسية التالية :

اولا : اتجاهات سكان الحضر :

اذ يذكر المؤلفان أن أعلى معدل لسكنى الحضر تتمركز في الدول الأكثر تقدما في حين ان اغلبية سكان العالم الثالث سكان ريف ، ولكن رغم ذلك يوجد زيادة ضخمة في سكان مدن العالم الثالث في الفترة الأخيرة كما يوجد تنوع واختلاف في نسبة سكان الحضر داخل دول العالم الثالث ويرجع السبب في هذا التنوع الى الانماط التاريخية للتطور والتنمية ويشير المؤلفان الى أنه رغم أن المدن الكبرى في العالم الثالث تستحوذ على نسبة كبيرة من زيادة سكان الحضر الا ان المدن الصغرى ايضا تستحوذ على نسبة ملحوظة جدا .

وليس هناك اتفاق واضح عما اذا كان ذلك يرجع الى التأثير النسبي للهجرة من الريف الى الحضر أم أن ذلك بسبب الزيادة الطبيعية لسكان الحضر انفسهم ام للتأثيرين معا .

وتشير المعلومات المتاحة الى أهمية الزيادة الطبيعية لسكان الحضر عن الهجرة من الريف في معظم الاقاليم ، ماعدا تلك التي مازالت في المراحل المبكرة للنمو الحضري .

ثانيا : النظم الحضرية :

يشير التأثير المتبادل بين الحضر والأقاليم المجاورة (الظهير) الى أنها تكون جزءا من نظام عام له تركيبة معينة حديها المتطرفين هما النمط الاولى Primate pattern ونمط آخر يتطابق مع قاعدة الرتبة الحجم Rank size rule

ويرى الباحثان أنه لا يمكن تفسير طبيعة النظام الحضري في أى دوة بواسطة المعايير البسيطة للتنمية الاقتصادية الجارية .

وأن تنمية نظام حضري متوازن Balanced urban system (قاعدة الحجم الرتبة) يعتمد على درجة التكامل والمشاركة interdependence داخل القطر ، ودرجة كثافة الاحتكاك بالخارج ، وأنه لا يوجد تفوق primacy وتوزيع حجم رتبة تبادل بشكل مطلق لنظام حضري وطنى . وتوضح الاتجاهات الخاصة بالتغير في توزيع الرتبة الحجم في عدد من الاقطار منذ عام ١٩٥٠م أن نمو قد حدث في عدد من المدن ذات الاحجام المتوسطة .

ثالثا : النظام في محك العمل : The system in action

يؤثر حجم المدن في النظام الحضري القبائمي في الدولة على درجة الهجرة ، وهنا يفرق المؤلفان بين الهجرة المرحلية step migration والهجرة المباشرة direct وهي شائعة أيضا في دول العالم الثالث ويشيران الى أن الهجرة المرحلية تساعد على الانتقال التدريجي في حين ان الهجرة المباشرة تجعل المهاجرين الريفيين يحملون عاداتهم وقيمهم الريفية معهم مباشرة الى المدينة .

ويرتبط التدفق flow الخاص بالسلع والمعلومات بتركيبة النظام الحضري ، ولهذا فان المناطق الحضرية الاضخم هي التي تسيطر على حساب المناطق الحضرية الاصغر .

ومع ذلك فانه في بعض دول العالم الثالث نجد أن طبيعة النظام الحضري يمكن أن يكون له معنى فقط لبعض الجماعات مثال ذلك هؤلاء الذين يشتركون في القطاع الاقتصادي « الحديث » ولهذا يمكن أن نلاحظ في دول العالم الثالث نمطين اقتصاديين (ثنائية) أحدهما حديث والآخر تقليدي .

حيث يتركز النمط الحديث في العواصم والمدن الكبرى ، في حين يوجد النمط التقليدي في المدن الصغرى والريف . ولكن رغم أن النمط التقليدي ينظر اليه على أنه نمط متخلف من الناحية الاقتصادية الا أنه يقوم بوظائف اجتماعية عديدة وايجابية بالمعنى الاجتماعي ، كما أنه يمكن أن يلائم نفسه مع التطورات الحديثة .

رابعا : مدن العالم الثالث هل هي ولودة أم طفيلية :

generative or parasitic

يؤكد المؤلفان على أن الاماكن الحضرية ذات وظائف هامة في عملية التنمية ، وقد أظهرت الدراسات في عام ١٩٦٠ ان العمالة محدودة في المجال الصناعي في مدن العالم الثالث ، في حين أن البعض الآخر يرى أن هؤلاء المهاجرين من الريف قاسوا الامر من مشكلة الاسكان المخيفة وكذلك من الظروف الاجتماعية الصعبة في المدن التي هاجروا اليها ، ولذا فهناك من يرى أن العديد من مدن العالم الثالث قد أصبحت مكتظة

بسكانها over - urbanised ولهذه الاسباب وغيرها فان فكرة مساهمة المدن في التنمية في دول العالم الثالث قد أصبحت قابلة للنقاش والجدل .

وفي نفس الوقت هناك دراسات حديثة تحمل وجهة نظر ايجابية ظهرت مرة أخرى تعتمد على دراسات تفصيلية لما يطلق عليه مدن الاكواخ shanty - towns

ومن ثم فان الكثير من الانتقادات الموجهة الى الحضرية في العالم الثالث انتقادات لها وزنها (انظر خريطة ص ٢١٨ عن نسبة سكان الحضر في العالم سنة ١٩٨٥ م) .

وفي الفصل العاشر يعالج المؤلفان موضوع أشكال العمران forms of settlement في دول العالم الثالث .

يركز المؤلفان في هذا الفصل على قضية رئيسية وهي : هل هناك تقارب أو التقاء بين اشكال العمران في العالم الغربي المتقدم أم تباعد وتنافر ؟ ويخلصان في النهاية الى ان المؤشرات تدل بوضوح على وجود التقاء أو تقارب ، ولكن رغم أن القوى الرأسمالية الغربية قد اثرت بشكل واضح في مدن العالم الثالث الا ان الدليل يشير ايضا الى ان هذه المدن تتشكل وفقا للخطوط العربية ، بل على العكس من ذلك فان مثل هذه القوى الرأسمالية قد تعدلت وفقا للمفهوم السائد في العالم الثالث ، ويرجع هذا الى اربعة اسباب اساسية :

١ - اتساع وتنوع الاسكان منخفضي التكاليف ، وهذا في حد ذاته يعتبر شكلا حضريا رئيسيا لا يوجد نظير مباشر له في العالم الغربي حيث ان اتساع مجال هذا النوع من الاسكان بشكل واضح ، وكذلك تنوع الاستجابات لمشكلة الاسكان وما يحيط بها في العالم الثالث ، يؤدي هذا الى ان الالتقاء الحضري بين مدن العالمين الثالث والغربي غير متوقع .

٢ - العلاقة بين التحضر والتغير الاجتماعي :

حيث ان المدينة في الغرب تعتبر بمثابة منتج للتغير في العلاقات الاجتماعية ، حيث أن الاسرة « النووية » الصغيرة وطريقة الحياة الأكثر « خصوصية » تعمل محل الاسرة الكبيرة الممتدة وطريقة الحياة المشتركة

العامة • أما في مدن العالم الثالث فانه من الصعوبة الاعتراف بهذه العملية، بل في بعض الحالات نجد أن العلاقات الاجتماعية التي تتميز بها القرى تبدو سائدة أيضا •

٣ - حيوية « الدورة الدنيا » vitality of the lower circuit

إذا كان قد حدث تقارب فعلا بين نمطى الحضر في العالم الثالث والعالم الغربى فإن المتوقع أن تحل « الدورة العليا » upper circuit محل « الدورة الدنيا » أى أن يحل القطاع الصناعى والتجارة والخدمات محل القطاع التقليدى الخاص بنظام « المعيشة » والتجارة المتواضعة • ولكن الواقع فعلا هو أن الأخير مازال ينمو ويزدهر وربما يرجع هذا أساسا الى دورة الاجتماعى والحضارى ، وكذلك وظيفته الاقتصادية • بل انها على العكس قد استطاعت الى حد ما أن تتأقلم مع دوره العليا ، مثال ذلك اصلاح بعض الأجهزة مثل الراديو الترانزستور •

٤ - قوة التقاليد وتأثيرها على شكل الحضر :

لوحظ من خلال دراسة مررفولوجية مدن العالم الثالث أن كثيرا من العناصر الوطنية في النمط الحضرى مازالت تعيش منتعشة مع الاضافات الأكثر حداثة ، مثال ذلك المركزان التوأمان اللذان يخصصان رجال الأعمال في مدينة أبادان twin business centres وفى أماكن أخرى يمكن أن يكون من التقليدى مستوردا مع قدوم الاستعمار الغربى ، ومثال ذلك امريكا اللاتينية والهند ، ولكن مختلف العناصر مازالت قائمة وتبدو قيمتها • مثل هذه الملامح تعتبر مكونات أساسية لشكل الحضر ، ولم يحل محلها بصفة كلية الشكل المضاد ، وهو النموذج الغربى ومثاله وظيفة bid - rent « المزايدات والمناقصات » ولهذا فان الخلاصة تتمثل في أنه رغم التغير السريع في مدن العالم الثالث الا أنها لم تتغير لكى تصبح تقليدا للمدينة الغربية الصناعية •

تراجع خريطة ض ٢٦٨ عن المدن الصفيح والاكواخ في العالم الثالث
أما في الفصل الجادى عشر والأخير فيتناول المؤلفان موضوعا هاما وهو :
الاعتماد المتبادل في التجارة ، المساعدات ، والتقنية •

Interdependence, Trade Aid Technology.

أولا : نمط التجارة الدولية :

تحتل الدول المتخلفة مكانة ضعيفة في التعامل المالي والدولي ، وتستقطب الدول الغنية الصناعية التي تسيطر على التجارة الدولية تجارة الدول المتخلفة . ويلاحظ المؤلفان أنه يغلب على تجارة دول العالم الثالث ثلاثة أنواع :

- (أ) قليل من هذه الدول تصدر سلعا مصنعة .
 - (ب) يسيطر على تجارة دول الأوبك تصدير البترول .
 - (ج) تصدر معظم دول العالم الثالث السلع الغذائية وغير البترولية .
- وفي مقابل استيراد السلع المصنعة تصدر دول العالم الثالث المنتجات الأولية الى دول العالم المتقدم التي تستورد منها ، وبالتالي يمكن أن نقول أنه يوجد نوع من المشاركة أو الاعتماد المتبادل .

ومن الملاحظ أيضا أن معظم دول العالم الثالث تعتمد بشدة على عدد محدود من الصادرات الأولية ، كما أنها تتعامل مع عدد محدود من الدول تجاريا . ومن المعروف أن أسعار المواد الخام الأولية ذات أسعار منخفضة وتنخفض لتقلبات سعرية واسعة . وهذا في حين أن أسعار المصنوعات في ارتفاع مستمر ، وبالتالي حدث تدهور كبير في الميزان التجاري الخاص بدول العالم الثالث . ولقد حاولت هذه الدول تحسين هذا الميزان عن طريق عقد اتفاقات سلمية مختلفة كما حاولت ازالة العوائق التجارية واجراءات « التحديد » ذات الأنواع المختلفة من أجل اقامة علاقات أفضل من الأسواق العالمية . وبين ناحية أخرى فإن هذه الدول حاولت اقامة علاقات تجارية واقتصادية فيما بينها من أجل عدم الاعتماد الكامل على دول العالم المتقدم ، ولكن هذه المحاولات لم تعط الا مردودا محدودا .

ثانيا : المساعدات الدولية :

ينظر الى المساعدات على أنها استراتيجية تقل لموارد الدول الغنية الى الدول الفقيرة وهناك مصدران لهذه المساعدات الدولية هما :

- (أ) مساعدات حقيقية تشمل المساعدات الرسمية Official development assistane واختصارا ODA وكذلك مساعدات خيرية تطوعية .

(ب) قروض خاصة private loans وتختلف هذه المساعدات تبعاً للمبلغ الاجمالى أو للنسبة المئوية من الدخل القومى للدول التى تساعد أو بالنسبة لعدد السكان فى الدول المعطية per capita ، ولكن معظم هذه المساعدات لا تذهب حيث ينبغى أن تكون (الدول الأفقر) كما أن الجزء الأكبر من هذه المساعدات الرسمية يرتبط بشراء سلع وخدمات من الدول الغنية .

أما المساعدات الخاصة فانها تخصص للدول التى تستطيع أن تسدد قروض هذه المساعدات فيما بعد ولكن فى الوقت الذى يمكن أن تقوم فيه المساعدات بكسر حلقة الفقر فى دول العالم الثالث فانها أيضا يمكن أن يساء توزيعها ، كما أنها يمكن ان تعوق أو تضر بالتنمية الاقتصادية - الاجتماعية فى دول العالم الثالث .

ثالثا : ديون العالم الثالث :

تعانى دول العالم الثالث من الديون التى اقترضتها سواء من البنوك أو الحكومات الغربية وتقاس امكانية كل دولة من دول العالم الثالث لدفع الديون وفقا لمعايير مختلفة منها نسبة الدين الى الدخل القومى الكلى debt / G.N.P. ratio أو فوائد الدين الى الصادرات debt / export ratio أو فوائد خدمة الدين debt / service ratio وتعتبر النسبة الأخيرة ذات أهمية كبيرة .

ومن الواضح أن أزمة الديون كانت نتيجة للآتى :

- (أ) حاجة دول العالم الثالث لتنمية رأس المال .
- (ب) الامكانية العالية لدول الغرب لاعطاء القروض .
- (ج) انخفاض وعدم توازن الميزان التجارى للدول المتخلفة .
- (د) ارتفاع نسبة فوائد الديون .

ومن الملاحظ أنه رغم أن معظم حجم الديون يتركز فى الدول ذات الدخل المتوسط فى أمريكا اللاتينية مثل البرازيل ، المكسيك ، الأرجنتين .

ورغم أن الدول الافريقية تقترض بنسبة أقل من مجموع الديون العالمية إلا أنها تعاني أيضا من هذه الديون • ولتخفيف حدة أزمة الديون يقترح المؤلفان ما يأتي :

- ١ - تقليل الاتفاق المظلي •
- ٢ - زيادة تدفق المساعدات الرسمية لدول العالم الثالث •
- ٣ - تخفيض فوائد القروض الخاصة •
- ٤ - إلغاء بعض الديون طويلة الأجل •
- ٥ - إعادة جدولة الديون •
- ٦ - مبادلة الديون في دول العالم الثالث في مقابل ضمان حمايتها للنبيئة •

وقد أورد المؤلفان دراسة حالة يوليفيا باعتبارها من الدول ذات الدخل المنخفض والتي تعاني بشده من أزمة الديون وكذلك لابرار أن الاجراءات التي اتخذتها الحكومة من اجل تقليل حمل هذه الديون - أدت الى زيادة الفقر بين فئات السكان الأكثر فقرا •

رابعا : نقل التكنولوجيا :

يعتبر نقل التكنولوجيا عنصرا هاما من عناصر التجارة من الدول المتقدمة الى الدول المتخلفة ومن المعروف أن الدول المتقدمة تسيطر على أساليب وسائل التكنولوجيا الحديثة •

كذلك من المعروف أيضا أن التكنولوجيا تزيد من تكثيف رأس المال في العمل وتقلل من الأيدي العاملة ، وبالتالي فانها ذات فائدة للدول المتقدمة إلا أنها على العكس من ذلك قد لا تتلاءم مع ظروف الدول المتخلفة بسبب فائض الأيدي العاملة بها ، ومن ثم فإن التكنولوجيا المتوسطة قد تكون أكثر فائدة لهذه الدول • ولكن التحول من استخدام التكنولوجيا العالية الى المتوسطة تقابلها مشكلات سياسية وتنظيمية متعددة •

خامسا : المشاركة العالمية :

يمكن أن يكون التعاون (المشاركة) بين الشمال والجنوب حلا لمشاكل العالم ، كما أن التجارة العالمية والتدفق المالى العالمى يمكن أن يساعد على التقريب بين الشمال الغنى المتقدم وبين الجنوب الفقير المتخلف وذلك من أجل المشاركة المتبادلة وان كانت غير متساوية أما المشاركة الحقيقية أو المتوازنة فانها تتطلب تغييرا جذريا فى كل النظام الاقتصادى العالمى مع مزيد من المساعدات وتجارة أفضل مع دول العالم الثالث •

(أنظر خريطة ص ٢٩٢ عن توزيع المساعدات الرسمية فى العالم الثالث سنة ١٩٨٦ ، وكذلك خريطة ص ٢٩٤ عن أهم الدول المدينة فى العالم الثالث وفقا لمجموع الديون الخارجية العامة والخاصة سنة ١٩٨٧) •

والحمد لله أولا وأخيرا ،،،

تم الطبع بمركز جامعة القاهرة
للطباعة والنشر
مدير عام المطبعة
البرنس حدوده حسين
١٩٩٦/٧/١٧